www.christianlib.com

القرآن

تحليل وبيان

٢

محمد المسيح

مالك مسلماني

www.christianlib.com

القرآن

تحليل وبيان

٢

تأليف

مالك مسلماني

محمد المسيح

www.christianlib.com

القرآن

تَحلِيلٌ وبَيَان

٢

WATERLIFE
PUBLISHING

www.christianlib.com

WaterLifePublishing © جميع حقوق الطبع محفوظة. 2018

اسم الكتاب: «القرآن: تحليل وبيان»
تأليف: مالك مسلماني، ومحمد المسيِّح
الطبعة الأولى: يناير ٢٠١٨
(الترقيم الدولي) ISBN: 978-1-935577-52-2
Printed in Canada

استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا Water Life Publishing، لا يجوز، دون الحصول على إذن خطي من الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، إلا كما هو منصوص عليه في شروط وأحكام قوانين النشر وحقوق الطبع الدولية والمحلية.
للحصول على هذا الإذن ولمزيد من الاستفسارات، يرجى الاتصال بـ Water Life Publishing لتقديم طلب الحصول على
البريد الإلكتروني: Orders@WaterLifePublishing.com

www.christianlib.com

الفهرســت

www.christianlib.com

فهرست الكتاب

مقدمة المجلد الثاني ١١

مقدمة في القراءات المختلفة للقرآن ١٧
ما استجد في دراسة القراءات المختلفة في الجزء الثاني ١٨
منهجية التحليل ١٩
الجديد في تناول القراءات ٢٠
المخطوطات القرآنية القديمة ٢١
إشكاليات النص القرآني ٢٢
التنقيط ٢٢
التشكيل ٢٢
تعدد القراءات للكلمة الواحدة ٢٣
إبدال التاء المربوطة بألف ٢٣
أصل حرف الألف ٢٤
التاء في آخر الكلمة ٢٥

www.christianlib.com

الهمزة ٢٦
التهميز وكرسي الهمزة ٢٨
إضافة الأحرف ٢٩
غياب الأحرف ٢٩
إلتصاق الأحرف ٢٩
أخطاء الرسم ٣٠
الكلمات المركبة ٣٠
الترادف والإضافة ٣٠
قراءات مختلفة كليًا ٣١
مصطلحات مفتاحية ٣٢
الخلاصة ٣٣

كيف تقرأ هذا الكتاب ٣٥

تحليل وبيـان النص القرآني ٣٩
سورة يونس ٤١
سورة هود ٧٧
سورة يوسف ١٠٧
سورة الرعد ١٣٥
سورة إبراهيم ١٤٩
سورة الحجر ١٦٣
سورة النحل ١٨٣
سورة الإسراء ٢٠٩
سورة الكهف ٢٤٥
سورة مريم ٢٨١
سورة طه ٣٠٩
سورة الأنبياء ٣٣٣
سورة الحج ٣٥٥
سورة المؤمنون ٣٧٥
سورة النور ٣٩٩
سورة الفرقان ٤٢٩

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمة المجلد الثاني

www.christianlib.com

مقدمة المجلد الثاني

نتناول في الجزء الثاني من هذا الكتاب، تسع عشرة سورة (من السورة العاشرة إلى السورة الخامسة والعشرين)، وهذا ما يغطي تقريباً الثلث الثاني من القرآن. وهذ الجزء متابعة لمشروع يدرس القرآن: لغةً، ومضمونًا، وتاريخًا. والكتاب يحتوي على الأقسام التالية: القراءات (محمد المسيِّح)؛ الناسخ والمنسوخ، والتحليل النقدي (مالك مِسلماني).

تطوير في القراءات

يعكس تطور القراءات وتعددها التعدد في المصاحف، كما يكشف عملية الصراع في قلب السلطة الدينية والسياسية للإسلام من أجل توحيد النص القرآني وإنتاج نص رسمي[1]؛ وبالتالي، فإن القراءات تكتسب أهمية خاصة من حيث كونها الحقل الذي يكشف عدم وجود قرآن

١. انظر السيوطي، الإتقان ٣٨٩، والسجستاني، كتاب المصاحف ١٩٦.

www.christianlib.com

واحد، لا بل إن القراءات تكشف أنه على مدى تاريخ الإسلام لم تتمكن السلطات الإسلامية من اعتماد نسخة مرجعية واحدة.

بما أن للقراءات أهمية عالية، كان لزاماً علينا تطوير معالجتها بالكتاب، وذلك بإضافة المنهجية التالية:

توسيع نطاق المراجع لتشمل المخطوطات؛

اتباع مقاربة مختلفة في معالجة مادة القراءات[٢].

لماذا الاختيارية في التعليق على الآيات القرآنية

لعل بعض القرّاء سيتساءلون لماذا لا يعالج الكتاب كامل الآيات القرآنية، بل اكتفى بمعالجة انتقائية:

الانتقائية في تناول هذين البندين فرضه الكم الكبير للروايات في المصادر، ولو بُسطت كل المادة المتوفرة في المصادر الإسلامية لتضاعف حجم كتابنا مرات عدة، ولهذا بعد أن تم دراسة كل المادة المتوفرة وغربلتها. وقد تمت عملية اختيار البيانات للكتاب على مبدأين:

أولاً، تمثيلي، إذ تقوم العناصر المختارة بتمثيل كل المادة؛

ثانيًا، إن كل العناصر المهمة والضرورية للبحث الموضوعي تم أدارجها واستقصاؤها في كتاب «القرآن تحليـلٌ وبيـان».

عندما تكون الانتقائية قائمة على هذين البندين، ويتوثق من أن كل الروايات بُحثت ودُرست علمياً، المواد بشكل موضوعي، وبعيداً عن خطر السقوط في التحييز أو الذاتية.

على مدار صفحات الكتاب سوف يلاحظ القارئ وجود ملاحظات تحمل حكم قيمة[٣] في كل أقسام الكتاب، ولعل بعض القراء سيطرح سؤالاً: ألا يبعد أيُ حكم قيمة الكتابَ عن الموضوعية؟

في الحقيقة، الموضوعية في البحث الاجتماعي لا تعني عدم تقييم أحداث التاريخ. فالتاريخ يقوم به فاعلون بشريون. وحينما ندخل مجال التاريخ البشري، فإن الباحث إذ يحلل التاريخ

٢. انظر «مقدمة في القراءات المختلفة للقرآن»، صفحة ١٨.

3. value judgment.

www.christianlib.com

ويتناوله، فإن عليه أيضاً أن يقيّم الفاعلين به، ولكن بشرط أن يكون التقييم حسب معايير عصر الشخصيات قيد الدَّرس؛ ولهذا، حيثما يقرأ القارئ حكم قيمة في كتابنا، فإن الهدف منه هو إعطاء قيمة الحدث في حينه، فلم نطبق معايير العصر الحديث، بل أي تقييم موجود في الكتاب يعتمد على ما هو موجود في القرن السابع الميلادي، عصر الدعوة المحمدية، فعندما يتناول الباحث الآية ٣ من سورة التوبة التي تخيّر المشركين إما قبول الإسلام وإما الحرب، فهل يمكن ألا يعبر عن موقف نقدي بناءً على معايير العصر الذي عاش فيه محمد؟ لا بل عما هو سائد في نفس مدينة محمد ـ مكة، حيث كان المشركون يتقبلون مبدأ تنوع الإيمان ولم تنشأ فيما بينهم حروب على مبدأ ديني. وهل يمكن للباحث أن لا يعلق نقدياً على منح الرجل حق ضرب زوجته (النساء ٤: ٣٤)؟ إن أمثال المعايير التي تدخل في صميم العلاقات الإنسانية لا يمكن تناولها بدون حكم قيمة. وأي كتابة تتناول الإنسان والمجتمع يجب أن يكون فيها حكم قيمة على هذا الموقف أو ذاك السلوك، وأي تخل عن تقييم التاريخ، هو لاموضوعية، بل حتي عدم صدق مع الذات والقارئ. الموضوعية تفترض أن نحكم على الفاعلين ضمن عصرهم. والحياد لا يعني السلبية في تفسير الأحداث، أو تجاهل تقييم الحدث التاريخي، أو عدم توصيف البشر الفاعلين بصناعة التاريخ: ديكتاتور، مصلح، معادي للإنسانية، إنساني، وغيرها من التوصيفات.

إن دور الإسلام في الحياة الاجتماعية للمسلمين كبير، ودوره في الميدان الدولي شديد الأهمية والخطور سواء عبر تأثير الدول الإسلامية في مجال السياسة الدولية والوزن الديمغرافي والمالي لها، أو عبر حضور جاليات كبيرة مسلمة في العالم الغربي. إن هذا الحضور للإسلام في العالم المعاصر يجعل كتابنا (بأقسامه ودراساته المختلفة) ذا أهمية كبيرة للقارئ المعني بمعرفة المزيد عن الإسلام، وأيضاً، للقارئ المهتم بفهم العالم المعاصر والسياسة العالمية من خلال معرفة المزيد عن محور الإسلام ـ ألا وهو القرآن.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمة في
القراءات المختلفة للقرآن

www.christianlib.com

مقدمة في القراءات المختلفة للقرآن

ما استجد في دراسة القراءات المختلفة في الجزء الثاني

تحدثنا في مقدمة قراءات القرآن في المجلد الأول[1] عن مفهوم القراءات المختلفة المعترف بها، والتي يَزعم كثيرون أنها ظهرت في زمان محمد. كما تناولنا القراءات السبع، والعشر، والأربع عشرة، وكيف توسعت تلك القراءات من سبعة إلى أن بلغ عددها خمسين قراءة[2]، مما جعل علماء الإسلام ينتبهون الى هذه المعضلة، فاعتبروا أن كل قراءة زادت عن القراءات المعترف بها هي قراءة «شاذة». وسنجد من خلال تحليل هذه القراءات الشاذة أن «كثيراً منها، مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه»، كما ذكر ابن جنيّ[3].

---

١. انظر «القراءات المختلفة للقرآن»، المجلد الأول من هذا الكتاب.

٢. الأشوح، إعجاز القراءات ٦١-٦٣.

٣. ابن جني، المحتسب ١: ٣٢.

www.christianlib.com

ولدراسة القراءات القرآنية المختلفة فائدتان أساسيتان:

الفائدة الأولى: تتمثل في أن التدقيق في مقارنة القراءات، يتيح التعرف على ظواهر لغوية قديمة لم تعد موجودة. وفي هذا الكتاب، سوف نرى كيف أن رسم المصحف يختلف في بعض الأمور عما نتداوله في كتابتنا للغة العربية الحديثة.

الفائدة الثانية: فتكمن في كون دراسة القراءات المختلفة تميط اللثام عن ادّعاء «الإعجاز» اللغوي للقرآن[٤]، وقد عرضنا العديد من الأمثلة التي توضح التضارب في المعاني نتيجةً لاختلاف القراءات. ومن الأمثلة الشهيرة على ذلك آية الروم ٣٠: ٢ التي تُقرأ بطريقتين؛ بحيث أنه من غير المعروف ما إذا «غَلَبَتِ» الروم، أم «غُلِبَتِ» الروم[٥]؟

في كلا المجلّدين الأولِ والثاني، تبين دراسة القراءاتِ المختلفة تبايناتٍ لغويةً أو نحويةً أو صرفيةً مهمةً للقراءاتِ الأكثرِ اتصالاً بالآية المختارة. كما تشمل بعض هذه المقارناتِ اختلافاتٍ واضحة بين نصِّ المخطوطاتِ القرآنيةِ القديمةِ والنص القرآني الحالي.

وفيما يلي توضيح للمنهجية التي اتبعناها في تحليل القراءات المختلفة للقرآن[٦]، وأهم المصادر الإسلامية التي اعتمدنا عليها في الدراسة. كما سنتناول أبرز ما استجد في معالجتنا للقراءات. وفي النهاية، سوف نستجلي بعض المصطلحات والتعبيرات المتداولة في المصادر الإسلامية، حتى يتمكن القارئ غير المتخصص من متابعة التحليل بصورة أكثر وضوحاً ويسراً.

منهجية التحليل

اخترنا في هذا الكتاب إدراج بعض النماذج من القراءات المختلفة، ولم نتطرق الى مناقشة كافة القراءات، كي لا نرهق القارئ الكريم بما تكرر منها، خصوصاً عندما لا يتغير المعنى ولا الرسم، واكتفينا بما هو مُهِمٌ مناقشته. ولتحليل هذه القراءات اتَّبعنا المنهجية التالية:

٤. انظر «القراءات المختلفة للقرآن»، في المجلد الأول من هذا الكتاب.
٥. انظر «القراءات المختلفة للقرآن»، في المجلد الأول من هذا الكتاب.
٦. ملحوظة: نتناول باقتضاب بعض الأمثلة التي توضح الإشكاليات الخاصة بالقراءات المختلفة. وللمزيد من التفاصيل عن هذه الأمثلة، الرجاء الرجوع إلى التعليق على قراءات تلك الآيات في مواضعها بالكتاب.

www.christianlib.com

- التركيز على رسم المصحف[٧]، مستعينين بخط «الرسم العثماني» بقراءة حفص[٨].
- الرجوع إلى المصادر الإسلامية المتخصصة والموثقة، التي تتناول القراءات المختلفة بالتحليل والمقارنة. ومن أهمها: الخطيب، معجم القراءات، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري، والخصائص والمحتسب لابن جني، وكتاب المصاحف للسجستاني، مع الاستعانة بمعجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، مع د. عبد العال سالم مكرم.
- استطلاع تفسير الآية في القراءات المختلفة، من أمهات المراجع والتفاسير الإسلامية مثل: الطبري، الزمخشري، الرازي، القرطبي، ابو حيان، ابن كثير، ابن الجوزي، البيضاوي، الشنقيطي، وابن عاشور؛ للوقوف على المعاني المتعددة التي أعطاها هؤلاء المفسرون للآية بقراءاتها المختلفة.
- الوقوف على أهم القراءات التي ذكرها المفسرون، ثم ترجيح ما هو مناسب أكثر للسياق العام للآيات وللسورة برمتها، حتى يتم استجلاء المعنى المراد.
- تحليل ونقد القراءات، مستعينين بالمراجع سالفة الذكر، وبالمخطوطات القرآنية القديمة، مع بعض الأبحاث الحديثة التي تتناولها.

الجديد في تناول القراءات

لحسم بعض القراءات، لجأنا إلى إلقاء نظرة دقيقة على المخطوطات القرآنية الأولى، مثل مخطوطة باريس[٩]، والبريطانية[١٠]، وسمرقند، وصنعاء[١١]، والقاهرة[١٢]، وطوبي قابي، وسان بترسبورغ[١٣]، ومجموعة مخطوطات منغانا[١٤]؛ آخذين بعين الاعتبار رسم المصحف العثماني.

٧. ورسم المصحف هو الخط أو الرسم الذي كُتِبَ به مصحف عثمان عند جمعه الأخير الذي كان خالياً من قواعد علامات التشكيل، مثل: الفتحة، الضمة، والتنقيط، والتهميز وغيرها (الداني، المحكم ٨، ١٨، والنيسابوري، المستدرك ٢: ٢٥١).

٨. المصحف بقراءة حفص.

9. MS. Arabe 328a (PNF), Paris, France.

10. MS. Or. 2165, (BL), London, UK.

11. Sanā DAM 1-27.1,01-25.1,01-29.1 Yemen.

١٢. مصحف المشهد الحسيني.

13. E20, San Petersburg, Russia.

14. Mingana Arabic 1572 (Hijāzī).

www.christianlib.com

المخطوطات القرآنية القديمة

أتاحت دراسة المخطوطات، الاقتراب من القراءات القديمة للمصحف، والتعرف على ما استجد من قراءات لاحقة. فالقراءة بدون تهميز مثلاً هي الأقرب إلى الأصل. وعند دراسة مخطوطة صنعاء، تبين لنا عدم صحة الإدعاء بأن مصاحف كمصحف ابن مسعود ومصحف أُبي تحوي قراءات شاذة، لا لشيء، إلا لأنها لا توافق رسم المصحف العثماني. فمخطوطة صنعاء بالذات تحوي الكثير من الاختلافات مع مصحف عثمان. وكمثال على ذلك[١٥] سورة التوبة ٩: ١١:

- ‹...فإخوانكم في الدين **ونفصل** الآيات **لقوم يعلمون**›.
- «...فإخوانكم في الدين **ومواليكم يفصل الله** الآيات **لعلكم تعقلون**»[١٦].

كما أتاحت لنا دراسة المخطوطات اكتشاف إمكانية وقوع لجنة عثمان في الخطأ أثناء جمع القرآن. فعلى سبيل المثال، أخطأ كاتب مخطوطة سمرقند، فكتب «**هَذا** نَاقَةُ اللهِ» (الأعراف ٧:٧٣) بدلا من ‹هذه›، خلافاً لباقي المخطوطات التي كتبت ‹**هَذه** نَاقَةُ اللهِ›. وقد يكون سبب هذا الخطأ هو عدم وجود قاعدة واحدة للتعبير في النص القرآني، (كما يتضح من الجدول التالي). فتارة تكتب الكلمة بألف مثلًا وتارة بالهاء أو التاء المربوطة، مما أدى لاختلاف القراء في قراءة الكثير من هذه الكلمات. وكمثال على ذلك نجد عبارة ‹**هَذَا** رَحْمَةٌ› (الكهف ١٨: ٩٨)، قرأها ابن أبي عبلة: «**هذه** رحمة».

ولا يتسع المجال هنا لذكر باقي ما تكشف عنه المخطوطات من إشكاليات القراءات المختلفة.

---

١٥. وتوجد أمثلة أخرى كثيرة.

16. E. Puin, II. Zum Koran, Fol. 4v Z.10-11, p 552.

www.christianlib.com

إشكاليات النص القرآني

سوف يركز التعليق على القراءات المختلفة في الجزء الثاني على واحد أو أكثر من الإشكاليات التالية:

التنقيط

جاء في المصادر الإسلامية أن المصاحف الأولى كانت خالية من التنقيط والتشكيل والتهميز[١٧]. وهذا ما يظهر جلياً في المخطوطات القديمة، مثل مخطوطة باريس، ومخطوطة سمرقند. الأمر الذي أدى إلى الكثير من الاختلاف في القراءات فيما بعد عند إضافة التنقيط.

والأمثلة التالية توضح بعض الاختلافات التي حدثت عند إضافة التنقيط للنص القرآني الخالي من التنقيط. وهي اختلافات حدثت نتيجةً فهم كل قارىء لنص الآية غير المنقط:

- ‹سكم›: ‹لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا› (النور ٢٤: ٦٣)، إن اختلاف وضع النقطة في القراءات بين «نبيكم» في قراءة معينة، و«بينكم» في قراءة أخرى، يؤدي إلى اختلاف كامل في معنى الآية.
- ‹عسا›: ‹وجاءوا أباهم عشاء يبكون› (يوسف ١٢: ١٦)، ليست هذه الكلمة سوى «غِشاً»[١٨]. والكلمة تتماشى مع سياق النص، كما سنوضح في حينه.

التشكيل

إن اختلاف القراءات بسبب التشكيل شائع جداً، وبالطبع منه ما لا يُؤثر، ولكن ما يهمنا هو التشكيل الذي يغير المعنى الإجمالي للكلمة والآية. وكمثال على ذلك، لدينا الآية التي تقول: ‹خِفْتُ الموالي من ورائي› (مريم ١٩: ٥)؛ ففعل ‹خِفْتُ› ما هو سوى «خَفَّتِ»، وذلك تماشياً مع سياق المعنى[١٩].

تعدد القراءات للكلمة الواحدة

تكشف القراءات العديدة المختلفة للكلمة الواحدة مدى شك، والتباس، وارتباك المفسرين المسلمين عند محاولاتهم لتقديم المعنى المقصود للنصوص الغامضة. وللأسف، فالقراءات العديدة الواردة في تلك التفسيرات تجعل تحديد المعنى المقصود أكثر صعوبة.

---

١٧. الداني، المحكم ٨، ١٨، والنيسابوري، المستدرك ٢: ٢٥١.

١٨. انظر التعليق على قراءات يوسف ١٢: ١٦، صفحة ١١٣.

١٩. انظر التعليق على قراءات مريم ١٩: ٥، صفحة ٢٨٤.

www.christianlib.com

وعلى سبيل المثال، فقد تعددت القراءات المختلفة لبعض كلمات الآيات القرآنية بشكل لافت للنظر؛ وكمثال على ذلك، كلمة ‹ادرك› (النمل ٢٧: ٦٦)؛ وكذلك كلمة: ‹وصلوات› (الحج ٢٢: ٤٠). فعدد القراءات المختلفة لهاتين الكلمتين بلغ ست عشرة، وثماني عشرة قراءة على التوالي، بالإضافة إلى القراءة الشائعة!

إبدال التاء المربوطة بألف

نجد في رسم المصحف لبعض الكلمات، أن التاء المربوطة تُستبدل بألف. كما أن اسم الإشارة المذكر يُستبدل بالمؤنث، أو العكس، لذات الكلمة في المخطوطة نفسها، وأحياناً في نفس السورة، دون تبرير. مع أن العقيدة الإسلامية تؤكد أن معجزة القرآن هي في لغته! وعلى سبيل المثال، جاء في سورة الكهف ١٨: ٩٨، عبارة ‹هَذَا رَحْمَةٌ› بدلاً من «هذه رحمة». وفي مخطوطة سمرقند لسورة الأعراف ٧٣:٧ عبارة «هذا ناقة»، بدلاً من ‹هذه ناقة›. وتجدر الاشارة الى أن نفس العبارة، وفي ذات المخطوطة، وردت في سورة هود ٦٤:١١ «هذه ناقة» بالشكل الصحيح. أما إبدال التاء المربوطة بألف، فتم توضيحه في الجدول التالي:

www.christianlib.com

اسم السورة	ترتيب المصحف	آية	النص مع الكلمة	مقابلها
			إبدال التاء المربوطة بألف والعكس في النص القرآني	
مريم	١٩	١١	فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا	عشية (النازعات ٧٩: ٤٦)
مريم	١٩	٦٢	لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا	عشية (النازعات ٧٩: ٤٦)
الفرقان	٢٥	٤٩	لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا	بلداً (البقرة ٢: ١٢٦)
الروم	٣٠	١٨	وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ	عشية (النازعات ٧٩: ٤٦)
غافر	٤٠	٤٦	النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ	غدوة وعشية (النازعات ٧٩: ٤٦)
الزخرف	٤٣	١١	وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ	بلداً (البقرة ٢: ١٢٦)
ق	٥٠	١١	رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ	بلداً (البقرة ٢: ١٢٦)

أصل حرف الألف

تغيرت طريقة كتابة أصل ألف المد لذات الكلمة في المواضع المختلفة من القرآن، كما يلي:

- أصله واو: بحسب المراجع الإسلامية، يكون أصل ألف المد واواً في بعض الأحيان[٢٠].

وكمثال على ذلك، كلمة «صلاة»، «زكاة»، و«حياة» التي كتبت في الأصل «صلوة»، و«زكوة»، و«حيوة» على التوالي، كما في رسم المصحف.

٢٠. ابن قتيبة، أدب الكاتب ٢٤٧.

www.christianlib.com

ولكن في الواقع هناك عشوائية في وضع الواو محل الألف أو العكس في بعض المواضع الأخرى. فعلى سبيل المثال، كلمة «الْمَلَأُ» جاءت في (المؤمنون ٢٣: ٢٤) بالواو ‹الْمَلَؤُا›، أما في الآية ٣٣ من نفس السورة، فجاءت بالألف ‹الْمَلَأُ› دون أي سبب منطقي معقول لتبرير هذه العشوائية. وفي مثالٍ آخر، نجد رسم المصحف لكلمة «أبناء» في النور ٢٤: ٣١ بالألف ‹أَبْنَآءِ›، أما في المائدة ٥: ١٨ ‹أَبْنَـٰٓؤُا› فقد وردت بالواو دون أي قاعدة واضحة، وبما يتعارض مع بعض المخطوطات القرآنية القديمة أيضاً[21].

- أصله ياء: هناك الكثير من الكلمات في المصحف، أصل ألف المدّ فيها هو ياء، وكمثال على ذلك: ‹فسوىهن› (البقرة ٢: ٢٩)، التي تُقرأ «فسواهن». وسيتعرض المجلد الثالث من هذا الكتاب لقراءة مماثلة هي ‹عفرىت› (النمل ٢٧: ٣٩)، التي قرأها ابن مسعود وابن السميفع: «عفراة»[22].

- **أصله مد في وسط الكلمة**: في رسم المصحف، نجد أن ألف المدّ في وسط الكلمة تكتب أحياناً وتهمل أحياناً أخرى، دون أي قاعدة تبرر هذا الأمر؛ وهذا يسبب إشكالية في معرفة مدلول الكلمة، مما يؤثر بالتالي على فهم معنى الآية من حيث:
  - **الإفراد أم الجمع**: وكمثال على ذلك كلمة ‹الكتب›، حيث رأينا في يونس ١٠: ٩٤ هذه الإشكالية التي تدعو للتساؤل عن أصل الكلمة: «الكتاب» أم «الكُتب»؟
  - **الفعل أم الفاعل**: إذ يبقى المقصود من الكلمة مبهماً، كما في يونس ١٠: ٧٦، التي لا يُفهم منها ما اذا كان المقصود هو الفعل: ‹لسحر› أم الفاعل: «الساحر»؟

التاء في آخر الكلمة

وفقاً لمبادىء قواعد النحو، فالكلمة التي تنتهي بحرف التاء، تكتب بحسب إمكانية الوقوف عليها:

- فإذا أمكن الوقوف عليها بالهاء، فتُكتب بتاء مربوطة (ة)، مثل شجرة، إمرأة، قرة.
- وإذا لم يُمكن الوقوف عليها بالهاء، فحينئذٍ تكتب بالتاء المفتوحة (ت)، مثل بنت.

٢١. انظر قراءات المؤمنون ٢٣: ٢٤، صفحة ٣٨٦.
٢٢. ابن الجوزي، زاد المسير ٦: ١٧٤.

www.christianlib.com

ولكن هذه القاعدة لا توافق حرف المصحف، حيث أن عبارة «نعمة الله» في القراءة الشائعة لآية البقرة ٢: ٢٣١ قد كُتِبت ‹نعمت الله›[٢٣]، بينما قرأها ابن كثير وآخرون بالهاء: «نعمهْ الله»[٢٤]، كما وردت في الآية ٢١١ من نفس السورة ‹نعمة الله›.

وبناء على ما ورد في القرآن، حاول الفقهاء وضع قاعدة نحوية، مفادها أن الكلمة التي يمكن الوقوف عليها بالهاء، ويليها مضاف إليه مثل عبارة ‹نعمة الله›، يمكن كتابة الاسم فيها بالتاء المربوطة أو بالتاء المبسوطة. ولكن رسم القرآن لا يخضع لهذه القاعدة بشكل دائم، بحيث نجد أن كلمة ‹بيِّنَتٍ› في عبارة ‹أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ› (فاطر ٣٥: ٤٠) قد كتبت بتاء مبسوطة، على رغم الوقوف عليها بالهاء، وورود جار ومجرور بعدها وليس مضافاً إليه. إلا أن نفس هذه الكلمة وردت أيضاً في عبارة ‹عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِ› (هود ١١:١٧) بالتاء المربوطة.

الهمزة

بدراسة القراءات المختلفة في المصادر الإسلامية يتبين عدم أهمية وجود الهمزة في النصوص القرآنية:

- كلمة ‹قُرْءآنِ› في سورة الحجر ١٥: ١، قرأها ابن كثير وابن محيصن بصيغتها القديمة «قُرَانِ»[٢٥] قبل إضافة التهميز. وقد تكرر هذا الاختلاف في العديد من السور؛ ومنها على سبيل المثال لا الحصر: النحل ١٦: ٩٨، طه ٢٠: ٢، الفرقان ٢٥: ٣٠، النمل ٢٧: ١.
- كلمة ‹دَكَّاءَ› في الكهف ١٨: ٩٨، ليست سوى: «دَكًّا»، كما قرأها ابن كثير[٢٦].

وعن التهميز في المصاحف القديمة، يذكر الدكتور طيّار آلتى قولاج عن مخطوطة طوبي قابي على سبيل المثال: «ليس هناك مكان للهمزات في أي موضع من المصحف»[٢٧]، والواقع، فالهمزة قد أُضيفت لاحقاً من قبل الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى علامات التشكيل التي عُرفت بشكل الشِعْر[٢٨].

وكما رأينا، فلا وجود للهمز في المصاحف الأولى، ومن جهة أخرى نرى أن اللهجة العربية في شمال أفريقيا، بل ومعظم اللهجات العامية في باقي الدول العربية، حافظت حتى يومنا هذا

---

٢٣. ‹واذكروا نعمت الله عليكم›.
٢٤. الخطيب، معجم القراءات ١: ٣١٨.
٢٥. نفس المصدر ٣: ٥٠٨، ٥٥٣.
٢٦. نفس المصدر ٥: ٣١٢.
٢٧. مصحف طوبي قابي ٩٤.
٢٨. الداني، المحكم ص: ٢٢-٢٣. الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٠٠هـ/٧١٨ م - ١٧٣هـ/ ٧٩١م.

www.christianlib.com

على طابعها الأصلي، بدون تهميز. وقد دخل الإسلام باللسان العربي أولاً لهذه البلاد قبل أن يضع الفراهيدي التهميز، فانتشر اللسان العربي الأصلي، بدون تهميز. وعندما أضيفت الهمزة لاحقًا، أصبحت هي لغة الثقافة، مع حفاظ معظم الناطقين بالعربية على اللهجة الأصلية التي ينطقونها تلقائيًا.

مقارنة بين اللغة العربية الأصلية التي ليس بها تهميز والفصحى	
اللهجة العربية الأصلية	اللغة العربية الفصحى
فار	فأر
لولو	لؤلؤ
عيشة	عائشة
سما زرقا	سماء زرقاء
عشا	عشاء
ديب	ذئب

وعلى العموم، فإن اللهجات العربية احتفظت بهذا التسهيل. فكلمة «فأر» تُلفظ «فار»، واسم «عَائِشَة» عند المغاربة «عَايْشَه» وعند المشارقة «عِيشَه».

وما زالت بعض الكلمات كما جاءت وقت دخول الإسلام إلى شمال إفريقيا قبل التنقيط والتهميز، ككلمة ‹سوءة›[٢٩] التي في القرآن. فهي كلمة في اللهجة عند المغاربة من دون همزٍ «سَوَّه»، وتعني عندهم «عورة الشخص، أو بمعنى آخر مؤخرته». والغريب هنا هو أن هذه الكلمة ‹سوءة› جاءت في مصاحف المغاربة الحالية بقراءة ورش بالهمزة رغم أنها لم تكن كذلك في مصحف مكناس ،[٣٠] أقدم مصحف مغربي موجود!

٢٩. المائدة ٥: ٣١.

٣٠. مصحف مكناس الرقعة ٤٥/ أ بالخط الكوفي. ليست النقطة التي على الواو والهاء همزة، إنما تنقيط أبي الأسود الدؤلي.

www.christianlib.com

التهميز وكرسي الهمزة

هناك قراءات تدل على أن الهمزة ابتكار متأخر، حيث وردت العديد من القراءات المختلفة، ومن بينها قراءة ورش عن عاصم على سبيل المثال، بدون تهميز.

قبلها	الآية	حفص: قراءة	حفص: رسم المصحف	ورش: قراءة	ورش: رسم المصحف
ضم	البقرة ٢: ٣	يُؤمِنُونَ	يُؤْمِنُونَ	يُومِنُونَ	يُومِنُونَ
فتح	يوسف ١٢: ١٣	يَأْكُلَهُ	يَأْكُلَهُ	يَاكُلَهُ	يَاكُلَهُ
كسر	يوسف ١٢: ١٣	الذِّئْبُ	ٱلذِّئْبُ	الذِّيبُ	ٱلذِّيبُ

ويلاحظ أن حروف المدّ من «ألف» و«واو» و«ياء» في المصاحف الأولى، قد تحولت لاحقًا، ودون سابق إنذار، إلى كراسٍ للهمزة. وتخبرنا المصادر الإسلامية أنه ما همز محمد ولا صحابته ولا الخلفاء، «وإنما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم»[٣١].

ومن بين الكلمات التي جاءت في القرآن بهمزة من دون كرسي، كما جاء في سورة التوبة على سبيل المثال، ‹يُضَٰهِـُٔونَ›،[٣٢] حيث يمكن قراءتها «يُضَاهُونَ» كقراءة أبو عمرو وابن عمار وبن كثير وغيرهم، بمعنى يُشابهون،[٣٣] أو كلمة: ‹خَٰطِـِٔينَ›[٣٤] يمكن قراءتها «خَاطِيَن» كقراءة أبي جعفر،[٣٥] أو ككلمة: ‹فَمَالِـُٔونَ›[٣٦] يمكن قراءتها «فَمَالُونَ» كقراءة ابن عمار من دون تهميز.[٣٧] والأمثلة كثيرة جدًا.

٣١. النيسابوري، المستدرك ٢: ٢٥١، السيوطي، الإتقان ٦٢٧.
٣٢. التوبة ٩: ٣٠.
٣٣. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٣٧١.
٣٤. القصص ٢٨: ٨.
٣٥. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٩.
٣٦. الواقعة ٥٦: ٥٣.
٣٧. الخطيب، معجم القراءات ٩: ٣٠٥.

www.christianlib.com

إضافة الأحرف

وكمثال على ذلك قراءة الجمهور ‹ننجي المؤمنين› (الأنبياء ٢١: ٨٨)، حيث اختلفت هذه القراءة عن رسم المصحف العثماني ‹ىحى›، بإضافة حرف النون في المصحف الحالي،[٣٨] حيث تظهر الكلمة بطريقة شاذة معلقة بالشكل التالي ‹نُـنْجِى›. وقرأها آخرون «نَجّى المؤمنين».[٣٩] وأيضًا «نُجّي المؤمنين»![٤٠] يبدو أن هذه الكلمة كانت في الأصل «نُجِى»، انظر التعليق على (الأنبياء ٢١: ٨٨)، صفحة ٣٤٤.

غياب الأحرف

كلمة ‹أيُّهَ›، وردت في القرآن ثلاث مراتٍ فقط، بينما ‹أيُّهَا› بالألف وردت في أكثر من مائة موضع في القرآن، فما هو سبب إسقاط الألف؟[٤١]

التصاق الأحرف

فيما يلي بعض الأمثلة التي تطرق إليها ابن عباس، والتي توضح هذه الإشكالية:

- كلمة ‹وقضى› في الإسراء ١٧: ٢٣، هي «ووصى»؛ التصقت الواو بما بعدها فصارت «وقضى»، حيث ظن القراء أنها حرف القاف، فوصلوها، ثم نُقِطّت فيما بعد.
- كلمة ‹تستأنسوا› في النور ٢٤: ٢٧، قرأها: «تستأذنوا»، مخبراً أن الكاتب قد أخطأ في نقل هذه الكلمة. وقد زعم ابن عطية الأندلسي أنها قراءة ضعيفة، كما أن القول بأن الكاتب قد أخطا هو قول لايصح عن ابن عباس[٤٢]، وأضاف أنها تحمل على التفسير! إلا أن ما يدحض قول ابن عطية وجود قراءة أبي بن كعب وغيره، والأهم هو أنها موجودة أيضًا في مصحف ابن مسعود[٤٣].

---

٣٨. المصحف بقراءة حفص.

٣٩. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣١١ .

٤٠. نفس المصدر ٦: ٣١١ ، قارن القرطبي، تفسير ١٤: ٢٧٦.

٤١. انظر التعليق على قراءات (النور ٢٤: ٣١)، صفحة ٤١٧.

٤٢. ابن عطية، المحرر الوجيز ٤: ١٧٦.

٤٣. ابن كثير، تفسير ١٠: ٢٠٧.

www.christianlib.com

أخطاء الرسم

نسوق فيما يلي بعض الأمثلة التي توضح تلك الأخطاء:

- كلمة ‹يَاْيْـَٔسِ› في الرعد ١٣: ٣١: يرى ابن عباس أن أصل هذه الكلمة «يَتبيَّن»، معلقًا أن كاتب المصحف كتبها «وهو ناعسٌ»[٤٤].
- كلمة ‹هَـٰذَٰنِ› في طه ٢٠: ٦٣: قالت عنها عائشة أن «هذا خطأ من الكاتب»[٤٥]، وأما أبو عمرو ابن العلاء وعيسى بن عمر فقد «ذهبا إلى أنه غلط من الكاتب كما قالت عائشة»[٤٦]، وعلق عليها عثمان قائلًا «هذا خطأ من الكاتب...في المصحف لحن وستقيمه العرب بألسنتهم»[٤٧]. ومن الجدير بالذكر أن كل هؤلاء قد قرأوا: «إن هذين لساحران»[٤٨].

الكلمات المركبة

نذكر منها على سبيل المثال ‹ويكأن› في القصص ٢٨: ٨٢. فقد وقف قتيبة في قراءته على «وي» ثم «كأن»، وهو عند الزجاج «أجود الكلام، ومعناه التنبيه والتندُّم»[٤٩].

الترادف والإضافة

وكمثال على الترادف:

- ‹فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ› في القصص ٢٨: ١٧، قرأها ابن مسعود: «فَلَا تَجْعَلْنِي ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ»[٥٠].
- ‹قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ› في الشعراء ٢٦: ٢٠، قرأها ابن مسعود في مصحفه: « قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الجاهلين»[٥١].

---

٤٤. الطبري، تفسير ١٣: ٥٣٧. انظر قراءات ١٣: ٣١، صفحة ١٤٥.
٤٥. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٤٥١.
٤٦. نفس المصدر.
٤٧. القرطبي، تفسير ١٤: ٩٠.
٤٨. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٤٥١، ٤٥٢. انظر التعليق على قراءات طه ٢٠: ٦٣، صفحة ٢٧.
٤٩. الخطيب، معجم القراءات ٧: ٧٧.
٥٠. الطبري، تفسير ١٨: ١٩١.
٥١. القرطبي، تفسير ١٦: ١٧.

www.christianlib.com

أما عن الإضافة فنسوق المثالين التاليين:

- ‹وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ› في هود ١١: ٧١، حيث قرأ ابن مسعود: «وامرأته قائمة وهو قاعد»[٥٢]، حيث عبارة «وهو قاعد» غير موجودة في مصحف عثمان.
- ‹يأخذ كُلَّ سَفِينَةٍ› في الكهف ١٨: ٧٩، قرأها أبيّ بن كعب «يأخذ كُلَّ سَفِينَةٍ صالحةٍ»[٥٣]، فكلمة «صالحةٍ» لاترد في قراءة الجماعة.

قراءات مختلفة كليًا

جاءت بعض القراءات بكلمات مغايرة تماماً لقراءة الجماعة. وكمثال على ذلك: ‹والنجوم مسخرات› (النحل ١٦: ١٢)، حيث جاء في مصحف ابن مسعود: «والرياح مسخرات»[٥٤].

---

٥٢. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٩٨.
٥٣. نفس المصدر ٥: ٢٨٣.
٥٤. السجستاني، كتاب المصاحف ٣٢٠.

www.christianlib.com

مصطلحات مفتاحية

هناك بعض المصطلحات الإسلامية من المفيد للقارىء الاطلاع عليها في دراسته للقراءات المختلفة. ونوضح هنا مدلول بعض هذه المصطلحات والتعبيرات حتى يتسنى فهم مغزاها:

- **القراءات المختلفة**: لتعريف هذا المصطلح، الرجاء الرجوع إلى «القراءات المختلفة للقرآن»[٥٥].
- **قراءة فلان، ومصحف فلان**: هناك فرق بين قراءة عثمان ومصحف عثمان، أو قراءة ابن مسعود (أو أُبي أو غيره) ومصحفه.
  - **قراءة عثمان ومصحف عثمان**[٥٦]: قراءة عثمان هي القراءة الشخصية التي كان يقرأ بها. وكمثال على ذلك ما رأيناه في الكهف ١٨: ٧٩ «يأخذ كُلَّ سَفِينَةٍ صالحةٍ»، خلافاً لما هو موجود في المصحف العثماني: ‹يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ›. وقد أُطلق اسم عثمان على هذا المصحف، لأنه كتب في عهده وبأمرٍ منه. وهذا الاختلاف مقبول، حيث أنه لم يكتب هذا المصحف بنفسه.
  - **قراءة ابن مسعود ومصحف ابن مسعود**: بحسب المصادر الإسلامية، فإن لابن مسعود بعض القراءات التي تختلف عن مصحفه. وكمثال على ذلك في الكهف ١٨: ١٦ ‹وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ›، حيث جاءت قراءته «وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ»[٥٧]، وأما في مصحفه فنجد «وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِنَا»[٥٨]. ومن الملاحظ أن هذه القراءات غالباً ما تقترب من قراءة رسم المصحف. والقول بالاختلاف بين قراءة ابن مسعود ومصحف ابن مسعود هو أمر غير معقول؛ لأنه كيف يكتب المرءُ شيئاً ثم يقرأ بغيره، ولاسيما عندما يتعلق الأمر بالمصحف؟ والظاهر أن هذه القراءات قد نسبت إليه، في محاولة للتقليل من شأن مصحف ابن مسعود، وبهدف توحيد النص القرآني. وهذا الأمر ينطبق كذلك على قراءة أُبي ومصحفه، وغيرهما من أصحاب المصاحف. (انظر القراءات المختلفة للآية (هود ١١: ٧١)، والآية (النور ٢٤: ٣٥ ب)، صفحة ٩٥، وصفحة ٤٢١ على الترتيب).

٥٥. انظر المجلد الأول من هذا الكتاب.

٥٦. والمقصود هو المصحف الذي أمر عثمان بجمعه وشكل لجنة لهذا العمل برئاسة زيد بن ثابت، فيما اصطلح على تسميته بمصحف عثمان.

٥٧. الطبري، تفسير ١٥: ١٨٢.

٥٨. الخطيب، معجم القراءات ٥: ١٦١.

www.christianlib.com

- **القراءة الشائعة للقرآن**: استخدمنا تعبير «القراءة الشائعة للقرآن» حين تعذر وجود مصدر يثبت كون هذه القراءة هي قراءة الجماعة. والمقصود به «قراءة حفص عن عاصم»، وهي القراءة الأكثر شهرة وانتشاراً بين المسلمين في وقتنا الحاضر، وتحتل الصدارة بين القراءات الأخرى؛ كقراءة وَرش، والدُّوري، وشعبَة، وخلف، وقالون، والسُّوسي. والجدير بالذكر أن معظم التفاسير القرآنية، والدراسات والأبحاث الإسلامية، وترجمات معاني القرآن، اعتمدت على هذه القراءة.

الخلاصة

إنّ دراسةَ القراءاتِ المختلفةِ مُهمّةٌ على مستوياتٍ ثلاثةٍ. إذْ تتحدّى القراءاتُ المختلفةُ، في جوهرِها، العقيدةَ الإسلاميةَ التي تزعمُ أن القرآنَ كان وحيًا أو إعلانًا من اللهِ كلمةً فكلمةً، وحرفًا فحرفًا. فالفروقاتُ في القراءاتِ تشكّكُ في العصمةِ المزعومةِ.

وفضلًا عن ذلك، فإن القراءاتِ تقدّمُ، من ناحيةٍ تاريخيةٍ، نافذةً مزعجةً جدًا على الماضي، لأنّ «الوثائقَ الشفويةَ» للمخطوطاتِ القرآنيةِ القديمةِ لم تَعُدْ موجودةً.

والآن، قمنا في المجلّدِ الثاني بمقارنةِ القراءاتِ المختلفةِ مع المخطوطاتِ القرآنيةِ «غيرِ المشكّلةِ» التي اكتُشفتْ، لغرضِ تَتَبُّعِ أصلِ الاختلافاتِ فيها وعُمرِها وتطوّرِها. وستعكسُ التعليقاتُ والتفاسيرُ لآياتٍ مختارةٍ هنا في هذا المجلّدِ التحليلَ الغنيَّ الذي توفّرُه هذه المصادرُ الإضافيةُ، ما يقدّمُ للقرّاءِ عمقًا أكبرَ في فَهمِ كيفيةِ حدوثِ هذه الاختلافاتِ، وأيضًا توضيح لأهميّتِها.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

كيف تقرأ هذا الكتاب

www.christianlib.com

كيف تقرأ هذا الكتاب

تسهيلاً على القارئ فقد ربطنا تعليقات الأقسام الثلاثة للكتاب: «القراءات المختلفة»، و«الناسخ والمنسوخ»، و«التحليل النقدي» بنص القرآن الموجود في الأعلى من خلال ألوان ورموز تساعد القارئ على ربط التعليق بالجزء المقصود من نص القرآن كما يتضح من النماذج الموضحة في الصفحة التالية.

الرموز المستخدمة في الكتاب لبيان نوع الدراسة

التحليل النقدي: يشار إليه بزخارف مطبوعة باللون الأحمر، على الشكل التالي: ١٨: ٢٤-٢٥، أما نص الآية القرآنية موضوع التحليل فيكون باللون الأحمر. وكمثال في الآيتين الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين من سورة الكهف:

إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾

القراءات المختلفة: يشار إليها بزخارف مطبوعة باللون الأزرق، على الشكل التالي: ١٨: ٢٦، أما نص الآية القرآنية موضوع دراسة «القراءات المختلفة» فيكون باللون الأزرق. وكمثال ففي الآية السادسة والعشرين من سورة الكهف، يكون التعليق على قراءات ‹أبصر به وأسمع›:

قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾.

الناسخ والمنسوخ: يشار إليه بزخارف مطبوعة باللون الأخضر، على الشكل التالي: ١٨: ٢٩، ويشار بخط أخضر أسفل الجزء المنسوخ من نص الآية القرآنية. وكمثال على ذلك، فالجزء ‹فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُر› من الآية التاسعة والعشرين من سورة الكهف، هو منسوخ:

وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا... ﴿٢٩﴾

www.christianlib.com

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ
أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾
قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا
يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن
دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ
عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ
فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا

١٨: ٢٤-٢٥

يروي هذا النص قصة أصحاب الكهف على أنها قصة تاريخية. ولكن عندما نرجع للتاريخ، نجد أن القصة القرآنية تعود بأصولها إلى أساطير معروفة في المصادر المسيحية بقصة «السّبعة النّيام» المتداولة قبل الإسلام. وقد رجح ابن عاشور أن مصدر قصة أهل الكهف هو «النصارى» إذ ذكر أن «قريشاً استقوا من اليهود شيئاً ومن النصارى شيئًا، فقد كانت لقريش مخالطة مع نصارى الشام في رحلتهم الصيفية إلى الشام، لأن قصة أهل الكهف لم تكن من أمور بني إسرائيل، وانما هي من شؤون النصارى».

١٨:٢٦

قراءة الجماعة: «﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ على التعجب. ويرى البعض الآخر احتمال أن الفعلين وردا في صيغة الأمر. وقرأ عيسى بن عمر «﴿أَسْمِعَ بِهِ وأَبْصَرَ﴾» بصيغة الخبر.

مما يرجح أنه كان للقراء الحرية في اختيار الأسلوب المناسب بحسب ذوقهم الشخصي.

١٨:٢٩

في الآية يُترَك للإنسان حرية الإيمان أو عدمه، إلا أن هذا الاختيار قد نُسخ بآية: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الإنسان ٧٦: ٣٠).

www.christianlib.com

www.christianlib.com

تحليل وبيان النص القرآني

www.christianlib.com

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ
إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ
عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ٢ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ
يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ
فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ
يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ

١٠: ٢

أ. ‹عَجَبًا›

هناك اختلاف في قراءة «عجب» ما بين النصب والرفع يؤدي إلى اختلاف المعنى والتفسير:

- قراءة الجماعة ‹عَجَبًا›[١]، بالنصب على أن الكلمة خبر «كان»، وتقديرها: أَكَانَ وَحْيُنَا عَجَبًا[٢].
- وقرأ ابن مسعود وابن عباس: «عَجَبٌ» بالرفع[٣]، على أنه اسم «كان»، وما سبقه خبر[٤].

سؤال: فهل كان الوحيُ عَجَبًا؟ أم حدث للناس عجبٌ؟

١. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٤٩٠.
٢. نفس المصدر، وقارن: العكبري، إعراب القراءات الشواذ ١: ٦٣٧، عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٥٧.
٣. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٥٧، وقارن: العكبري، إعراب القراءات الشواذ ١: ٦٣٧.
٤. العكبري، إعراب القراءات الشواذ ١: ٦٣٧.

www.christianlib.com

ب. ‹إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ›

- القراءة الشائعة: ‹إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ›، بصيغة التوكيد.
- وقرأ الأعمش: «مَا هَذاَ إِلاَّ سَاحِرٌ»، حيث تعني هذه القراءة أن قريشاً قالت أن محمدًا ما هو إلا ساحر فحسب، باستخدام أسلوب القصر[٥].
- وقرأها نافع وآخرون: «إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ»[٦]، باستخدام قراءة مختلفة المعنى والمدلول.
- وقرأ أُبي بن كعب: «مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ»، وهي كذلك في مصحفه[٧].

القراءة الشائعة وقراءة الأعمش تشيران إلى أن صاحب الرسالة ساحرٌ، ربما لأن طريقة تلقي محمد «الوحي» تشبه تمامًا طريقة تلقي السحرة والكهان التنبؤات؛ من الدخول في غيبوبة، أو شبه غيبوبة وتعرق، والنطق بأسلوب خاص في الكلام يسمى بسجع الكهان. وقد اتهمت قريش محمدًا بأنه «كاهن»، كما تشير آية الطور ٥٢: ٢٩، «وبأنه يقول القرآن على نمط سجع الكهان»[٨]. أما الفرق بين قراءة «ساحر» وقراءة «سحر» هو نتيجة أن رسم المصاحف الأولى لا يظهر ألف المد إلا نادرًا في معظم الكلمات التي بها مدّ في وسط الكلمة، وأيضًا خلوها من التنقيط والتشكيل[٩].

وهنا نتساءل: هل كان للقراء الأوائل كامل الحرية في اختيار التعبير أو المرادف الذي يتماشى مع ذوقهم الأدبي والفكري ومفهومهم الشخصي للآية؟

٥. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٤٩١. قارن: عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٥٨.
٦. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٥٨.
٧. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٤٩١. قارن: عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٥٨.
٨. جواد علي، المفصل ٦: ٧٥٦-٧٥٧.
٩. الداني، المحكم ٢٢-٢٣.

www.christianlib.com

مقدمـــــة

سُمّيت السورة بسورة يونس، لأنها الوحيدة التي أخبرت عن أن قوم يونس آمنوا بعد تهديدهم بنزول العذاب، فعفا الله عنهم (آية ٩٨). ويرى ابن عاشور: «أنها أُضيفت إلى يونس تمييزًا لها عن أخواتها الأربع المفتتحة بـ «الر»، ولذلك أُضيفت كل واحدة منها إلى نبي أو قوم نبي، عوضًا عن أن يقال: الر الأولى والر الثانية» (ابن عاشور ١١: ٧٧).

سورة يُونس مكية باتفاق جمهور العلماء، ولكن بعضهم دفع بوجود عدد من الآياتِ المدنية فيها (ابن عاشور ١١: ٧٧_٧٨):

- قال رأي إن الآية ٤٠ مدنية.
- ويقول رأيٌ آخر إن الآيات الأربعين الأولى مكية، والباقي منها مدنية.
- في حين يُروى أن الآيات المدنية هي (٩٤ _ ٩٥) فحسب.
- ويُروَى عن ابن عباس أن الآيات (٩٤ _ ٩٧) مدنية.
- كما ذهب بعضهم إلى أنها مدنية بجملتها.

إن الذين رجحوا مدنية هذه الآيات أو تلك استندوا في رأيهم إلى أنها تحتوي على إشارات إلى اليهود. لكن نولدكه (Nöldeke)لا يؤيد هذا الرأي، بل يتبنّى القول بأن السورة مكية بجملتها (نولدكه ١٤٢)، لأن الإشارة إلى اليهود ليست أساسًا كافيًا لاعتبار الآيات مدنية. ومحمد كان على اتصال باليهود، ووفقًا لبعض الروايات، فإنّ نقاشًا كان يجرى بينه وبينهم في مكة (Wherry II: 321).

تعالج السورة مسائل تخص العقيدة، وفيها مجادلات ضد منتقدي محمد (الآيات ١٥، ١٨، ٢٠)، وتأكيد على فرادة القرآن (٣٨).

وإضافة لذكر قصة قوم يُونس، تذكر السورة قصة نوح (٧١ _ ٧٤)، وموسى (٧٥ _ ٩٢).

www.christianlib.com

يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ
لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ
ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا
وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾
أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ
أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم
بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ
يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا
كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ
مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾
وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ
غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا
مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ

www.christianlib.com

١٠: ٥

- قراءة الجماعة ﴿ضِيَاءً﴾ بياء قبل الألف[١٠].
- وقرأها ابن كثير وقنبل وآخرون: «﴿ضِئَاءً﴾ بهمزتين، الأولى قبل الألف بدل الياء»[١١]، والثانية بعد الألف، وهي قراءة غريبة أنكرها ابن منظور في معجم «لسان العرب»، حيث قال: «وأما الضياء، فلا همز في يائه»[١٢].

يقول آلتي قولاج عن مخطوطة طوب قابي : «ليس هناك مكان للهمزات في أي موضع من المصحف»[١٣]، وهذا ما ينطبق على كل المصاحف والمخطوطات القديمة. وأوضح قولاج شيئًا هامًا قائلا: «والواضح أن مصحف طوب قابى قد جرى استنساخه قبل زمن طويل يسبق تحويل الفروق الموجودة في القراءات الصحيحة إلى نظام معروف»[١٤]، ونحن نشاطره الرأي فيما يخص رسم الهمزة الذي جاء متأخرًا وبالضبط في عهد الفراهيدي[١٥]. ولا زالت اللهجات العربية تحتفظ بالنطق الأصلي للكلمة «ضيا» دون همز، وقد قدم الدكتور آلتي قولاج بعض الأمثلة، فالكلمات: «(الرءيا، نساءنا، يستنبئونك[١٦]، مستهزؤن) وردت على شكل (الريا، نسانا، يستنبونك، مستهزون)»[١٧]. وعلى هذا تكون القراءتان غير أصليتين وإنما كان من المفترض أن تكون القراءة بدون تهميز ﴿ضِيًا﴾.

١٠: ١٥

قال محمد في هذه الآية إنه يخشى عواقب ارتكاب المعاصى والذنوب، إلا أن إعلان محمد عن خشيته قد مضى عهده، بعدما نُسِخت دواعي خوفه بالآية التي تقول: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ [يا محمد] مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح ٤٨: ٢)[١٨]. ويُفهم من النسخ أنه كأنما قد صار لمحمد الحق أن يفعل ما يشاء بدون خوف العواقب، ما دام الله ـ من منظوره ـ قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر.

---

١٠. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٤٩٦.
١١. نفس المصدر ٣: ٤٩٦-٤٩٧. قارن: عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٥٩.
١٢. ابن منظور، لسان العرب ٢٦١٨.
١٣. مصحف طوب قابي ٩٤.
١٤. نفس المصدر ٨٦.
١٥. الخليل بن أحمد الفراهيدي ٧١٨م-٧٨٨م.
١٦. الهمزة في هذه الكلمة ليس لها كرسي ولا نبرة في رسم المصحف!
١٧. مصحف طوب قابي ٩٤.
١٨. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤١، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٣.

www.christianlib.com

مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٦ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ١٧ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا
يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٨
وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن
رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٩ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ٢٠
وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ
ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ٢١

١٦:١٠

- قراءة الجماعة: ‹وَلَا أَدْرَاكُمْ›[١٩]، من دَرَى الشيءَ أي عَلِمَهُ[٢٠].
- وقرأ الحسن البصري: «وَلَا أَدْرَأْكُمْ»[٢١]، من الدَّرْءِ، وهو الدَّفْعُ[٢٢].
- أما الشنبوذي فقد قرأها: «لَأَنْذَرْتُكُم»، من الإنذار[٢٣].

---

١٩. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٥١١.
٢٠. نفس المصدر ٣: ٥١٢. قارن: العكبري، إعراب القراءات الشواذ ١: ٦٤٠، عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٦٣-٦٤.
٢١. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٥١٣. قارن: العكبري، إعراب القراءات الشواذ ١: ٦٤٠، عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٦٣-٦٤.
٢٢. نفس المصادر.
٢٣. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٥١٤.

www.christianlib.com

الكلمة في رسم المصحف «ادريكم»، فأبدلت قراءة الجماعة الياء بالألف، ثم قرأ الحسن البصري هذه الألف بالهمز، دون مراعاة لوجود الياء برسم المصحف. أما قراءة الشنبوذي فهي توافق سياق الآية بأن محمدًا نذير، مما يثير الشك حول معرفة القرّاء أصل قراءة النص القرآني.

١٠: ٢٠

تعلن الآية أن على محمد الانتظار ليرى تعاملات الله مع المشركين، ولم تقم بتهديد المشركين[٢٤]، ولكن بعد ذلك جاءت آية السيف لتنسخ الحاجة إلى معجزة للبرهان على نبوة محمد، حيث صار السيف هو البرهان.

١٠: ٢٠

تخبرنا الآية أن القرشيين قالوا: لو أُنزل على محمد معجزة؛ برهانًا على صحة نبوته. فكانت إجابة محمد أن هذا الطلب هو من أمور الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وأضاف قائلاً: فانتظروا، وأنا معكم منتظر حدوث هذا الأمر.

لا شك أن هذا الرد لم يشفِ ظمأ قريش، وإلاّ لكانت قد آمنت بدعوة محمد بعد هذا الجواب، ولا بدّ أن القرشيين طرحوا التساؤل التالي: إن كان محمد يتصل بالله بواسطة الوحي، فلِمَ لم يأت لهم بالبرهان القاطع، سيما أنه كان يدعي أنه نبي مرسل من الله.

١٠: ٢١

تقول الآية إن للمشركين مكرًا في حق الله، ثم تضيف القول إن على محمدٍ أن يخبرهم بأن الله يفوقهم سرعةً في المكر: ‹قُلِ: الله أَسْرَعُ مَكْراً›. وكما جاء لدى الطبري، فإن محمدًا أُمر أن يقول إن الله أسرع منكم في المكر، «واسْتِدراجًا لكم وعقوبةً»[٢٥].

وهذا تصور تجديفي في حق الله، لأنه جعل الله والمشركين وكأنهم في حلبة صراع، ثم ينجح الله في نهاية المطاف في أن يبز المشركين في سباق المكر!

٢٤. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٣، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤١.
٢٥. الطبري، تفسير ١٢: ١٤٥.

www.christianlib.com

هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ
بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن
كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ
أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾

٢١:١٠

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا›.
- وجاء في مصحف أُبيّ بن كعب: «يا أيها الناس إن اللهَ أَسْرَعُ مَكْرًا وَإِنَّ رُسُلَهُ لَدَيْكُم»[٢٦].

في القراءة الشائعة أمر من صاحب القرآن لمحمد بالقول ‹اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا›، أما مصحف أبيّ بن كعب فيخبرنا أن محمدًا هو الذي أخبر الناس بأن‹اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا›، وهذا اختلاف في المعنى إلا إذا كان هناك فرق زمني بين القراءتين، حيث تأتي القراءة الشائعة أولًا، فيقول صاحب القرآن: ‹قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ›، ثم يأتي مصحف أبيّ بن كعب[٢٧] فينفذ محمد الأمر بمخاطبة مَنْ حوله فيقول: «**يا أيها الناس إن اللهَ أَسْرَعُ مَكْرًا وَإِنَّ رُسُلَهُ لَدَيْكُم يَكْتُبُونَ**» وفي هذه الحالة، من المفترض أن أُبيّ بن كعب لم يسمع حديث «جبريل» لمحمد وإنما سمع محمدًا يقول: «...**يا أيها الناس**...» و«...**رُسُلَهُ لَدَيْكُم**...» فدونها في مصحفه على أساس أن كل ما قاله محمد في هذه الآية هو وحيٌ، وهذا لا يعني أن أُبي بن كعب قد أساء فهم محمد، بدليل ما ورد في (النجم ٥٣: ٣-٤) الذي يفيد أن كل ما نطق به محمد عند تلاوته للقرآن هو وحيٌ. ونرى أن ما جاء في مصحف أُبي بن كعب هو الأرجح لوجود نفس الخطاب «...يا أيها الناس...» في الآية ٢٣.

---

٢٦. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٥١٩، وعمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٦٦.
٢٧. نفس المصادر.

www.christianlib.com

١٠: ٢٢

أ. ‹يُسَيِّرُكُم... كُنْتُمْ› و ‹وَجَرَيْنَ بِهِم...وَفَرِحُواْ بِهَا›

تقول الآية: ‹يُسَيِّرُكُم... كُنْتُمْ› ‹وَجَرَيْنَ بِهِم...وَفَرِحُواْ بِهَا› والمقصود «وَجَرَيْنَ بِكم...وَفَرِحْتُم بِهَا». لا شك أن مسئولية هذا الخطأ يتحملها مَن دوّنوا القرآن. ولمّا كان من الصعب إصلاحُ ذلك بعد انتشار المصحف، فإن علماء الإسلام اضطروا لإيجاد مخارج لأخطاء من هذا النوع، فبرروا عبث الضمائر في هذه الآية بالالتفات، فنقرأ: «‹وَجَرَيْنَ بِهِم›: عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة كأنه يذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم» . ويضيف الشيخ زَاده على شرح البيضاوي: «للمبالغة والتقبيح»[٢٨].

ونسأل: هل التعبير عن المبالغة يحتاج لتغيير صيغ الضمائر من المخاطَب إلى الغائب، بما يؤدي إلى التباس المعنى في ذهن القارئ؟

ب. ‹جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ›

جاء وصف الرِّيح في (يونس ١٠: ٢٢) بالتذكير: ‹جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ›، وفي (الأنبياء ٢١: ٨١) جاء بالتأنيث: ‹وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً›، فأي اللفظين أصح، أو أيهما أكثر بلاغةً؟

١٠: ٢٢

أ. ‹يُسَيِّرُكُمْ›

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹يُسَيِّرُكُمْ›.
- وقرأ الحسن وزيد بن ثابت وأبو جعفر وابن مسعود وآخرون: «يُنْشِرُكُمْ» من «أَنْشَرَ» أي: أحيا[٢٩]. وهي كذلك بالشين في مصاحف أهل الشام[٣٠].
- وقد قرأ بعض الشاميين: «يُنَشِّرُكُمْ» بتشديد الشين، وهو للتكثير»[٣١].

---

٢٨. الحنفي، حاشية محيي الدين شيخ زاده ٤: ٥٥٧.
٢٩. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٥٢١. انظر عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٦٦-٦٧.
٣٠. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٥٢١.
٣١. نفس المصدر.

www.christianlib.com

تصور عن كيفية تحول «ينشركم» إلى «يسيركم»

- ىسـركم: بناءً على ما صرح به السجستاني، فنبرة النون في الكلمة كانت تسبق السين (ىسـ). وكما هو معروف فالمصاحف الأولى لم تكن منقطة[٣٢].
- (ىسـركم): من المفترض أن يرسم حرف السين بتدرج في أسنانه، نزولاً من الكبير إلى الصغير (سـ)، بحيث يسهل تحديد حرف السين. ولكن يبدو أن كاتب المصحف لم يُراع تدرج حرف السين، فساوى بين كل النبرات (ىسـ)، بحيث بات يصعب التمييز بين الأحرف وترتيبها.
- (ىسـركم): وفيما بعد التبس على النساخ تحديد موضع النبرة، فوضعوها بعد السين (ىسـ). ويخبرنا السجستاني، في باب «ما غيّر الحجاج في مصحف عثمان»، أن من بين ما غيره: «هو الذي يُنَشِّرُكُمْ ، فغيرّه يُسَيِّرُكُمْ»[٣٣].

وهو ما يتبين من مخطوطات القرآن القديمة، حيث اختلفت فيما بينها بالنسبة لهذه الكلمة كما يتضح في الجدول التالي:

ينشركم		يسيركم	
المخطوطة	الرقعة	المخطوطة	الرقعة
البريطانية	15v Or. 2165	مخطوطة القاهرة	351v المشهد الحسيني
باريس	46r Arabe 328a		
صنعاء	Ms. Sanaa 01-29-2	مصحف مكناس	142r
طوب قابي	130r HS 44/32		

٣٢. الداني، المحكم ١٨.
٣٣. السجستاني، كتاب المصاحف ٤٦٣؛ الخطيب، معجم القراءات ٣: ٥٢١.

www.christianlib.com

ليس هناك شك في وجود كلمة ينشركم في مصاحف أهل الشام، وهو ما تؤكده المخطوطات القديمة للقرآن، كمخطوطة باريس والبريطانية، كما يتضح من الجدول أعلاه، ولاسيما كونها كتبت بالخط الحجازي الذي هو أقدم من الخط الكوفي. وبالرغم من أن مصحف المشهد الحسيني جاء بكلمة يسيركم متماشيًا مع الرأي القائل بتغيير الحجاج لهذه الكلمة، إلا أن ما يدعو للاستغراب هو وجود كلمة ينشركم في مصحف طوب قابي، وإحدى مخطوطات صنعاء، الذي هو أحدث من مصحف المشهد الحسيني، مما يشكك في مقولة أن الحجاج ابن يوسف الثقفي هو من قام بتحريف هذه الكلمة في القرآن.

ونتساءل:

١. ما الذي يفسّرُ وجودَ قراءات مختلفة للكلمةِ غيرِ المنقطةِ (ىسـركم) في المخطوطاتِ القرآنيةِ اللاحقةِ؟ هل كانت تلك تغييراتٍ غيرَ مقصودةٍ أجراها النسّاخُ الذين عجزوا عن فهم تلك الكلمةِ غيرِ المنقطةِ بنجاحٍ، أم كانت تنقيحًا متعمدًا قامَ به قادةٌ مسلمون في محاولاتِهم في إجراءِ تحسيناتِ اللغةِ على اللغة وتحسين النصِّ (أم كليهما)؟

٢. هل هذه الحالةُ مقصورةٌ على هذه الآيةِ، أم أن هنالك كلماتٍ أخرى في مواضعَ أخرى من القرآنِ تخلقُ مشكلاتٍ مشابهةً في القراءاتِ والمخطوطاتِ اللاحقةِ؟

٣. ماذا تعني هذه الاختلافات والتغييراتُ المتعمّدةُ المحتملةُ في ما يتعلقُ بعصمةِ القرآنِ المزعومةِ؟

ب. ‹جَاءتْهَا›

- قراءة الجماعة: ‹جَاءتْهَا› بصيغة المفرد والضمير يعود على الْفُلْكِ[٣٤].
- وقرأ ابن أبي عبلة: «جَاءتْهم» على الجمع، والضمير يعود على أصحاب الْفُلْكِ[٣٥].

٣٤. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٥٢٢.

٣٥. العكبري، إعراب القراءات الشواذ ١: ٦٤١.

www.christianlib.com

فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ
عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ ٢٣ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ
نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا
وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا
حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤
وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥ ۞ لِّلَّذِينَ
أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا
وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ
ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا
ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ
شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ٢٨ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن
كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ٢٩ هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ

٢٣:١٠

تقول الآية: ‹يَبْغُونَ...بِغَيْرِ الحَقِّ›، مع أنّ فعل «بغى» يعني تجاوز الحق والتعدي، أيْ أنه يحمل دلالةً سلبيةً بحد ذاته، وبالتالي لا معنى لإضافة عبارة ‹بِغَيْرِ الحَقِّ›.

www.christianlib.com

أهمل المفسرون هذه النقطة، إلاّ أن أحد المدافعين قال: «قد يكون الفساد بالحق كاستيلاء المسلمين على أرض الكفار وهدم دورهم وإحراق زروعهم وقطع أشجارهم، كما فعل [محمد] ببني قريظة»[٣٦]. تبرير يقنع مَن يعتقد أن هدم الدور وإحراق الأشجار وغيرها من المنكرات هو فساد بالحق، ولكن هل يقبل العقل السليم مقولة وجود فساد بالحق؟

١٠:٢٨

تقول الآية إن الله يكلم الناس يوم القيامة: ‹وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ› (يونس ١٠: ٢٨)، وتؤكد آية أخرى هذا الأمر: ‹فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ› (الحِجْر ١٥: ٩٢).

لكننا نقرأ أن الله لا يكلم الناس يوم القيامة: ‹وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ› (البقرة ٢: ١٧٤)، ويعاد التأكيد: ‹فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ› (الرحمن ٥٥: ٣٩).

والسؤال هو: هل يكلم اللهُ الناس يوم القيامة أم لا؟

١٠:٣٠

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹تَبلُواْ›.
- قرأ ابن كثير ونافع وغيرهما: «تَبْلُو» بمعنى تختبر ما قدّمت النفس من عمل[٣٧].
- وقد روي عن عاصم أنه قرأها: «نَبْلُو»[٣٨] بنون التعظيم.
- أما حمزة والكسائي وآخرون فقرأوها: «تَتْلُوا»[٣٩] بتاءين[٤٠]، بمعنى التلاوة والقراءة.

يمكن القبول باختلاف صيغة القراءات سهوًا بين «تَبْلُوا» و«نَبْلُو»، ما دام أن أصل الكلمة في رسم المصحف ‹ىىلوا› لم يتغير. والقراءة بتغيير معنى الكلمة من «تَبْلُوا» إلى «تَتْلُوا»،تبين أن هذا

---

٣٦. الرازي، غرائب آي التنزيل ١٨٥.
٣٧. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٥٣٨.
٣٨. الرازي، تفسير ١٧: ٨٩.
٣٩. نفس المصدر.
٤٠. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٥٣٧-٥٣٨، أي تتبع وتطلب ما أسلفت من أعمالها.

www.christianlib.com

التغيير كان نتيجة لاختلاف تنقيط الكلمة، مما يؤكد أن القرآن لم يكن (قبل التنقيط والتشكيل) محفوظًا في الصُّدورِ، وإنما مخطوطًا على السطورِ.

ويلاحظ وجود ألفٌ بعد الواو في الرسم العثماني رغم أن الفعل في صيغة الإفراد. وبحسب قواعد اللغة، فمن الخطأ وضع الألف في هذه الحالة. إلا أن هذه الظاهرة تكررت عدة مرات في رسم المصحف، بحسب المخطوطات القديمة للقرآن، كما نرى من الجدول التالي:

نماذج إشكالية الألف الزائدة بعد الواو في المخطوطات القديمة للقرآن

الكلمة	الآية القرآنية	المصدر
يربوا	الروم ٣٠: ٣٩	الروم ٣٠: ٣٩: المشهد الحسيني ٦٩٥ أ؛ طوب قابي ٢٦١ ب
يتلوا	البقرة ٢: ١٢٩، ١٥١؛ آل عمران ٣: ١٦٤؛ القصص ٢٨: ٥٩؛ الجمعة ٦٢: ٢؛ الطلاق ٦٥: ١١؛ البينة ٩٨: ٢	**البقرة ٢: ١٢٩**: المشهد الحسيني ٢١ ب، طوب قابي ١٢ أ؛ **البقرة ٢: ١٥١**: المشهد الحسيني ٢٥ ب، طوب قابي ١٤ أ؛ **آل عمران ٣: ١٦٤**: المشهد الحسيني ٩١ أ، طوب قابي ٤٤ أ، سمرقند ١٤٣، باريس ٣٢٨أ ٧ب؛ **القصص ٢٨: ٥٩**: المشهد الحسيني ٦٦٧ أ، طوب قابي ٢٥١ أ؛ **الجمعة ٦٢: ٢**: المشهد الحسيني ٩٨٥ ب، طوب قابي ٣٦٨ ب؛ **الطلاق ٦٥: ١١**: المشهد الحسيني ٩٩٩ أ، طوب قابي ٣٧٣ ب، Ms. Sanaa 12-16-1؛ **البينة ٩٨: ٢**: المشهد الحسيني ١٠٧٧ ب، طوب قابي ٤٠٤ أ، Ms. Sanaa 17-15-10
يمحوا	الرعد ١٣: ٣٩	**الرعد ١٣: ٣٩**: المشهد الحسيني ٤٣٨ أ؛ طوب قابي ١٥٩ أ، باريس ٣٢٨أ ٥١ ب، Ms. Sanaa 16-16-4 ، Ms. Sanaa 10-?-a (UNESCO CD Nr. 46)، البريطانية ٢٩ ب
يدعوا	البقرة ٢: ٢٢١؛ يونس ١٠: ٢٥؛ الحج ٢٢: ١٢-١٣؛ فاطر ٣٥: ٦؛ الزمر ٣٩: ٨؛ الأحقاف ٤٦: ٥؛ الانشقاق ٨٤: ١١	**البقرة ٢: ٢٢١**: المشهد الحسيني ٤٠ ب، طوب قابي ٢١ ب؛ **يونس ١٠: ٢٥**: المشهد الحسيني ٣٥١ أ، طوب قابي ١٣٠ ب، باريس ٣٢٨أ ٤٦ ب، البريطانية ١٥ ب؛ **الحج ٢٢: ١٢-١٣**: المشهد الحسيني ٥٦٨ أ، طوب قابي ٢١٠ ب، البريطانية ٥٩ أ؛ **فاطر ٣٥: ٦**: المشهد الحسيني ٧٥٠ ب، طوب قابي ٢٨٠ أ؛ **الزمر ٣٩: ٨**: المشهد الحسيني ٧٩٩ ب، طوب قابي ٢٩٧ ب، باريس ٣٢٨أ ٥٦ ب، سمرقند ٦٧٧؛ **الأحقاف ٤٦: ٥**: المشهد الحسيني ٨٨٤ ب، طوب قابي ٣٢٩ ب؛ **الانشقاق ٨٤: ١١**: المشهد الحسيني ١٠٦١ ب، طوب قابي ٣٩٧ ب، Ms. Sanaa 20-?-a (UNESCO CD Nr. 36-38)
أندعوا	الأنعام ٦: ٧١	**الأنعام ٦: ٧١**: المشهد الحسيني ٢٠٢ ب، طوب قابي ٨٤ أ، باريس ٣٢٨أ ٢٥ أ، سمرقند ٢٨٧
أدعوا	الرعد ١٣: ٣٦	**الرعد ١٣: ٣٦**: المشهد الحسيني ٤٣٧ ب، طوب قابي ١٥٩ أ، باريس ٣٢٨أ ٥١ ب، Ms. Sanaa 16-16-4 ، Ms. Sanaa 10-?-a (UNESCO CD Nr. 46)، البريطانية ٢٩ ب
تعفوا	النساء ٤: ١٤٩؛ التغابن ٦٤: ١٤	**النساء ٤: ١٤٩**: المشهد الحسيني ١٤٠ ب، طوب قابي ٦٣ ب، باريس ٣٢٨أ ١٩ أ؛ **التغابن ٦٤: ١٤**: المشهد الحسيني ٩٩٤ أ، طوب قابي ٣٧١ ب
يعفوا	البقرة ٢: ٢٣٧؛ المائدة ٥: ١٥؛ الشورى ٤٢: ٢٥، ٣٠، **وما يدعو للدهشة أن نفس هذه الكلمة وردت بدون ألف «يعفو» في النساء ٤: ٩٩**	**البقرة ٢: ٢٣٧**: المشهد الحسيني ٤٥ ب، طوب قابي ٢٤ أ؛ **المائدة ٥: ١٥**: المشهد الحسيني ١٥٥ ب، طوب قابي ٦٧ ب، باريس ٣٢٨أ ٢٢ أ؛ **الشورى ٤٢: ٢٥**: المشهد الحسيني ٨٥٣ أ، طوب قابي ٣١٧ ب، سمرقند ٧٠٥؛ **الشورى ٤٢: ٣٠**: المشهد الحسيني ٨٥٤ ب، طوب قابي ٣١٨ أ، سمرقند ٧٠٧؛ **النساء ٤: ٩٩**: المشهد الحسيني ١٢٧ أ، طوب قابي ٥٨ ب، باريس ٣٢٨أ ١٦ ب، Ms. Sanaa 12-29-1، سمرقند ٢٠٣

www.christianlib.com

وعلى النقيض، فقد وردت بعض الكلمات بواو الجماعة من دون الألف، خلافًا للقاعدة اللغوية المعروفة، كما يتضح من الجدول التالي:

نماذج إشكالية الألف الناقصة بعد واو الجماعة في المخطوطات القديمة للقرآن		
الكلمة	**الآية القرآنية**	**المصدر**
باءو	البقرة ٢: ٦١ ؛ آل عمران ٣: ١١٢	البقرة ٢: ٦١: المشهد الحسيني ١٠ أ؛ سمرقند ٩ أ، طوب قابي ٦ أ، **آل عمران ٣: ١١٢:** المشهد الحسيني ٧٩ أ، طوب قابي ٣٩ ب، Ms. Sanaa 12-15-1، باريس ٣٢٨أ ٥أ
فاءو	البقرة ٢: ٢٢٦	المشهد الحسيني ٤١ ب، طوب قابي ٢٢ أ
جاءو	آل عمران ٣: ١٨٤؛ الأعراف ٧: ١١٦؛ يوسف ١٢: ١٦؛ النور ٢٤: ١١، ١٣؛ الفرقان ٢٥: ٤؛ النمل ٢٧: ٨٤؛ الحشر ٥٩: ١٠.	**آل عمران ٣: ١٨٤:** المشهد الحسيني ٩٥ ب، طوب قابي ٤٦ أ، باريس ٣٢٨أ ٨ ب، سمرقند ٧٥ أ؛ **الأعراف ٧: ١١٦:** المشهد الحسيني ٢٦٢ ب؛ طوب قابي ١٠١ ب، باريس ٣٢٨أ ٣٥ أ، البريطانية Or 2165 ٣ ب؛ **يوسف ١٢: ١٦:** المشهد الحسيني ٤٠٦ أ، طوب قابي ١٤٧ ب، البريطانية Or 2165 ٢٤ أ؛ **النور ٢٤: ١١:** المشهد الحسيني ٥٩٧ أ، طوب قابي ٢٢٢ ب؛ **الفرقان ٢٥: ٤:** المشهد الحسيني ٦١٢ ب؛ طوب قابي ٢٢٩ أ، Ms. Sanaa 15-24-1، Ms. Sanaa 20-30-1؛ البريطانية Or 2165 ٧٠ أ؛ **النمل ٢٧: ٨٤:** المشهد الحسيني ٦٥٦ ب، طوب قابي ٢٤٥ ب، البريطانية Or 2165 ٨٠ ب؛ **الحشر ٥٩: ١٠:** المشهد الحسيني ٩٨٧ أ، طوب قابي ٣٦٣ ب
سعو	سبأ ٣٤: ٥	سبأ ٣٤: ٥: المشهد الحسيني ٧٤٢ ب، البريطانية Or 2165 ٩٨ ب

ولمحاولة تبرير هذه الاستثناءات، ذهب الداني إلى القول إن المصاحف اتّفقت على حذف الألف بعد واو الجماعة في أصلين: ‹جاءو› و‹باءو›.[٤١] إلا أن واقع المخطوطات لا يتفق مع هذا الطرح. فعلى سبيل المثال، وردت كلمة ‹جاءوا›[٤٢] في مصحف القاهرة بألف بعد الواو[٤٣]. ويلاحظ أيضًا أن كلمة ‹سعوا›[٤٤] وردت بالألف في إحدى مخطوطات صنعاء[٤٥]، كما جاءت بالألف في مصحف طوب قابي أيضًا[٤٦]، وكذلك وردت كلمة ‹سعوا› في آية (الحج ٢٢: ٥١) بالألف في العديد من المخطوطات[٤٧].

---

٤١ انظر الداني، المقنع ٢٨٤.

٤٢. (يوسف ١٢: ١٦).

٤٣. انظر مصحف المشهد الحسيني ١: ٤٠٤، الرقعة ٤٠٤/أ، حيث يُلاحظ أن ألف كلمة ‹جاءوا› وردت في بداية السطر التالي.

٤٤. (سبأ ٣٤: ٥).

45 DAM 20-33.1: Sura 33:71- Sura 34:9 (UNESCO Image No. 045022B).

٤٦. مصحف طوب قابي ٥٥٤، الرقعة ٢٧٥ ب.

٤٧. مصحف المشهد الحسيني ٥٧٧ ب، مصحف طوب قابي ٢١٣ ب، البريطانية ٦١ أ.

www.christianlib.com

إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ
ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا
تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ
تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾
قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ
قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ
أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ
ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

ومن الواضح أن الرسم العثماني لا يخضع لقواعد اللغة العربية الصحيحة المتفق عليها، وبالتالي جاء متمردًا فوضويًا لايمكن البناء عليه. وإذا احتج أحدهم بالقول إن قواعد اللغة قد تبلورت بعد تدوين المصحف، فإن هذا الاحتجاج يبدو مستغربًا، لما يؤمن به سائر المسلمين بأن هذا القرآن نزل كدرة التاج في عصر الفصاحة والبلاغة، بل كان «معجزة» لغوية. لكن علماء اللغة اللاحقين قاموا بإجراء تحسينات عديدة عليه مثل التنقيط، والتشكيل، وقواعد الإملاء!

ونتساءل: لماذا اختار الوحي الإسلامي لغة غير ناضجة في إبلاغ رسالته «للعالمين»؟

www.christianlib.com

١٠:٣٣

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹كَلِمَتُ›، بالإفراد.
- قرأها نافع وبعض القراء: «كَلِمَاتُ» بالجمع[٤٨].

ذكر الخطيب أن من قرأ بالإفراد هم في الوقف فريقان: فريق قرأها بالهاء كَلِمَهْ، «لغة قريش»، والفريق الثاني قرأها بالتاء المبسوطة أو المفتوحة ‹كَلِمَتْ›، «موافقة لصريح الرسم، وهي لغة طيء»[٤٩].

إذا كانت كتابة «كَلِمَتْ» على هذه الصورة بلغة طيء كما يدعي الخطيب، فما هو رأيه في آية ‹إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ...› (هود ١١: ١١٩)؟ فهل اختلط الأمر على صاحب القرآن بين «لغة» (لهجة) طيء و«لغة» مكة؟ فالرسم العثماني للمصحف لا يفرق بين التاء المربوطة (ة) والتاء المفتوحة أو المبسوطة (ت)، مثل ‹كَلِمَتُ› و‹كَلِمَة› (يونس ١٠: ٣٣، وهود ١١ : ١١٩) وكذلك ‹شَجَرَةُ الزقوم› و‹شَجَرَتُ الزقوم› (الصافات ٣٧ :٦٢، و الدخان ٤٤ :٤٣). وقد حاول الطبري تبرير هذا بقوله: «وَمَا كَانَ مُضَافًا فَجَائِزٌ بِالْهَاءِ وَالتَّاءِ»[٥٠]. ولكن هذه القاعدة ليست ثابتة، بسبب وجود استثناءات، ككلمة بينة ‹عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِنْهُ› (فاطر ٣٥ :٤٠) التي يليها جار ومجرور وليس مضاف إليه.

١٠:٣٦

- قراءة الجماعة: ‹يَفْعَلُونَ› بياء الغائب[٥١]، والمقصود: المشركون.
- وقرأها ابن مسعود: «تَفْعَلُونَ» بتاء الخطاب. والمقصود: المسلمون[٥٢].

وهناك العديد من الأمثلة على هذا النوع من اختلاف القراءات؛ ولكننا نكتفي بذكر الآية الثامنة عشرة من نفس السورة (يونس ١٠: ١٨). فعدد كبير من القرّاء يتلون كلمة ‹يُشْرِكُونَ› بالياء، إلا أن حمزة والكسائي وخلف والأعمش يتلونها «تُشْرِكُونَ» بالتاء[٥٣].

٤٨. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٥٤١.
٤٩. نفس المصدر ٣: ٥٤١-٥٤٢.
٥٠. الطبري، تفسير ٢٢: ٥١.
٥١. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٥٥٢.
٥٢. نفس المصدر. قارن: الزمخشري، الكشاف ٣: ١٣٦.
٥٣. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٦٥.

وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ
يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ
ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ
كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنۡهُم مَّن
يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤٠﴾
وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠
بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ
كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ
لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ
يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ
بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ
بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤٦﴾

جاءت هذه الاختلافات في القراءات نتيجة لغياب التنقيط في المصاحف الأولى للقرآن، مما يشكك في القول بأن القرآن كان محفوظًا في الصدور.

١٠: ٣٧، ٩٤

تعلن الآية (٣٧) أن : «الْقُرْآن...تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ»، كما تطلب الآية (٩٤) من محمد، في حال أصابته الشكوك، أن يسأل: «الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قبله»، أي اليهود والمسيحيين. وعليه، تؤكد الآيتان مرجعية التوراة والإنجيل، مما يتنافى مع مزاعم التحريف[٥٤].

٥٤. انظر التعليق على (آل عمران٣: ٣-٤)، المجلد الأول من هذا الكتاب.

www.christianlib.com

١٠: ٣٨

انظر مناقشتنا للتحدي الوارد في هذه الآية في مقدمة المجلد الأول، فقرة: تحدي الإتيان بمثل القرآن، المجلد الأول من هذا الكتاب.

١٠: ٤١

تقول الآية لمحمد إنه إذا اتهمه أحد بالكذب، فما عليه إلا أن يرد :‹لِي عَمَلِي›[٥٥]، ولكن هذه السياسة السلمية التي كان يتبعها في بواكير دعوته حيث أتت هذه الآيات المكية وحيث لم تكن شوكته قد قويت بعد، قد نُسخت[٥٦]، بعدما حاز محمد القوة العسكرية وكثر أتباعه، بآية القتال: ‹قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ› (التوبة ٩: ٢٩). وقيل أيضًا إنها نسخت بآية السيف[٥٧]: ‹...فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ› (التوبة ٩: ٥).

ويرى ابن الجوزي أنه لا يوجد علاقة ناسخ ومنسوخ بين هذه الآية وآيات القتال[٥٨]، إذْ يمكن لمحمد أن يصرِّح: ‹لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ› ويقاتل أيضًا.

١٠: ٤٦

في الآية خطاب لمحمد يفيد أنه ربما يرى في حياته بعض لمحات الهزيمة أو العذاب الذي سيتعرض له «المشركون»، أو ربما يموت قبل ذلك، لكن في كل الأحوال، فمصيرهم إلى الله الذي سيعاقبهم على أعمالهم[٥٩]. ويعتقد بعض العلماء إن معنى الآية: «أترك قتالهم، فربما رأيت بعض الذي نعدهم»[٦٠]. ولكن مبدأ ترك الحساب لله قد نُسخ بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٦١].

---

٥٥. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٢.
٥٦. مكي، الإيضاح ٣٢٣.
٥٧. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٢، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤١، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٤.
٥٨. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٢.
٥٩. الطبري، تفسير ١٢: ١٨٨.
٦٠. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٣.
٦١. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٤، قارن: ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٣.

www.christianlib.com

وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ قُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ
وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل
لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ
أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ
أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ
إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ
لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞
أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥٣﴾
وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا
يَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ
جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ

١٠: ٤٧

تقول الآية : ‹لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ› (يونس ١٠: ٤٧)، وهي فكرة معادة في: ‹لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً› (النحل ١٦: ٣٦) و‹وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً› (النحل ١٦: ٨٩).

إذًا، حسب هذه الآيات، نجد أن لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً منها. فإن كانت آيات القرآن صادقة، فلماذا لم يخرج للأمم في سائر قارات العالم: أفريقيا، أوروبا، أمريكا،...أنبياءُ منهم؟ إن الواقع التاريخي ينقض دعوى القرآن.

www.christianlib.com

لماذا جاءت الآيات بهذه الأطروحة؟

تعود هذه الآيات للمرحلة المكية. ومن المرجح أن المكيين استشاروا اليهود بشأن محمدٍ، فأخبر اليهود القرشيين أن الأنبياء يأتون من بني إسرائيل. ولمّا واجه القرشيون محمدًا بهذه الحقيقة، رد عليهم محمدٌ بأن لكل أمة نبيًا.

إذًا، إنْ كان لكل أمة نبي، فالإسلام إذًا ليس دينًا عالميًا، بل هو دين محلي فحسب. وبالتالي، فإن الإسلام لا يجب أن يكون دينًا عالميًا بل هو دين لقريش فحسب، وبأوسع الأحوال دين لعرب الجزيرة العربية.

إن هذه الآيات تناقض ما يقوله المسلمون من أن الإسلام هو دين الله للعالمين، أي لكافة الناس وكافة الأمم.

١٠: ٥٣

سألت قريش محمداً: ‹أَحَقٌّ هُوَ؟›. وحسب التفاسير، كان مغزى سؤالهم: هل نبوته صادقة؟ وهل القرآن حق؟ وقيل أن السؤال يتعلق بصحة الخبر بالقيامة. وقيل أن سؤالهم كان: أَحقٌّ «ما تعدنا [به يا محمد] من نزول العذاب علينا في الدنيا»[٦٢]؟ فأجابهم محمد: ‹إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ›.

كان على محمد أن يرد على سؤال قريش بحججٍ منطقية، أو آيات حسية (معجزات). لكن اكتفاءه بالقول :‹أَيْ وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ› لم يكن كافيًا لقريشٍ لكي تؤمن بما يقوله، لأنها لم تكن تصدقه. ولو كانت تصدقه، لآمنت به ولم تبقَ على دينها إلى أن جاءها بعد أكثر من عشر سنوات معززًا بجيش جرار.

الجدير ذكره أن قريشًا كانت تسأل محمدًا ساخرةً، كما يفيد الزمخشري[٦٣]: «‹أَحَقٌّ هُوَ؟›، هو استفهام مقصود منه الإنكار والاستهزاء».

---

٦٢. الرازي، تفسير ١٧: ١١٦.

٦٣. الزمخشري، الكشاف ٣: ١٤٩.

www.christianlib.com

لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا
يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا
وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ
يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ
مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ
فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ
وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ
ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ
﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ

١٠: ٦١

في الآية خطاب لمحمد. وقد جاء الخطاب بصيغة المفرد مرة: ‹تَكُونُ...تَتْلُو›، ومرة أخرى بصيغة الجمع: ‹تَعْمَلُونَ›. وتبديل صيغ الخطاب يتعارض مع أصول الكتابة وقواعدها؛ إذْ أنه يجب استخدام صيغة واحدة في سياقٍ واحدٍ.

وقد برر أحد العلماء ذلك التأرجح بين الضمائر بالقول[٦٤]:

- إن الآية خاطبت محمدًا بالمفرد ‹تَكُونُ...تَتْلُوا› والمسلمين في لفظة الجمع: ‹تَعْمَلُونَ›.
- أو، إن الآية خاطبت محمدًا وحده، لكن جاءت صيغة الجمع في ‹تَعْمَلُونَ› للتفخيم والتعظيم.

٦٤. الرازي، غرائب آي التنزيل ١٨٩.

www.christianlib.com

نعلق: أنْ يُوجه الخطابُ لمحمد والمسلمين في نفس الوقت، وبصيغة لا تسمح بتمييز المخاطَب به، لهو ركاكة لا يجوز أن تصدر عن كتاب يوصف أنه سماوي، ويحتوي «أعلى درجات البلاغة»!!

١٠: ٦٤

يصرّح القرآنُ هنا أنّ اللهَ لا يبدل كلماته. ويقول المفسرون إنَّ معنى «الكَلِمَاتِ» هي «الأقوال، والمواعيد»، كما نقرأ في تفسير الزمخشري[٦٥]: ‹لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ الله›: «لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده». ومع ذلك فإن القرآن في مكان آخر يقرّ بوجود التبديل في القرآن [كلام الله]، فيقول: ‹وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ، قَالُواْ: «إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ»، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ› (سورة النحل ١٦: ١٠١). آيتان تناقض إحداهما الأخرى، رغم أن كلتيهما مكيتان!

تحريف القرآن: اتهامات متبادلة

في تفسير الطبري لآية (يونس ٦٤)، نقرأ أنه بينما كان الحجّاج يخطب في النّاس، اتهم ابنَ الزبيرِ بالتلاعب بالقرآن[١]، لكن أحد الحاضرين قال له: «لا تستطيع أنت ذاك ولا ابن الزبير»، وإن ذلك محال لأن القرآن يؤكد: ‹لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ›. والطريف أن الحجاج الذي اتهم عدوه الزبير بالتلاعب بالقرآن قام هو شخصياً بهذا العمل بتغيير إحدى عشر موضعاً في القرآن كما ورد في كتاب المصاحف للسجستاني[٢].

وتوضح هذه القصة، وهذا الاتهام، أن بعض زعماء المسلمين كانوا يعتقدون بأن القرآن تعرض للتلاعب لأهداف سياسية.

ونتساءل: لو كان هؤلاء الزعماء يؤمنون بأن القرآن نص إلهي وأن لكلماته ومعانيه قدسية غير قابلة للنقاش، فلماذا قاموا بالعبث به؟

١. الطبري، تفسير ١٢: ٢٢٦.
٢. السجستاني، كتاب المصاحف ٤٦٣-٤٦٤. انظر قراءات (يوسف ١٢: ٤٥)، صفحة ١٢٣.

٦٥. الزمخشري، الكشاف ٣: ١٥٨.

www.christianlib.com

ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٦٥ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ
ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَخْرُصُونَ ٦٦ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ٦٧ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦٨ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ٦٩
مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا
كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ٧٠ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ
عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ
وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١
فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ
مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٧٢ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ
وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ٧٣ ثُمَّ بَعَثْنَا
مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟
بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ٧٤ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم
مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ٧٥
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ٧٦ قَالَ مُوسَىٰٓ
أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ٧٧ قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ

www.christianlib.com

١٠: ٧١

- قراءة الجماعة: ‹ثُمَّ اقْضُوا...› بالقاف وهمزة وصل[٦٦].
- وقرأها أبو حيوة والسدّي: «ثُمَّ أفضُوا...»[٦٧] بالفاء وهمزة قطع، «أي انتهوا إلَيّ بشركم»[٦٨].
- وقُرِئ «ثُمَّ افضُوا...» بالفاء وهمزة وصل، «من فضا يفضو أي أسرع»[٦٩].

  - فالمعنى الأول: «اقْضُوا إِلَيَّ» من «قضى»، أي «امضوا في ما أردتموه»[٧٠].
  - والمعنى الثـاني: «أفضُوا إِلَيَّ»، «أي انتهوا إليَّ بشرِكم»[٧١].
  - والمعنى الثـالث: «افضُوا إِلَيَّ» بمعنى أسرعوا إليَّ.

ونتساءل: هل كان المقصود مُضي قوم نوح فيما أرادوه؟ أم إنتهاؤهم إلى نوح؟ أم إسراعهم إليه؟

١٠: ٧٥-٧٨

بحسب سياق الآيات، فإن مُوسَى قد دعا فرعون وملأه للإيمان بعقيدة موسى وترك دين أبآئهم وأجدادهم، ويبدو هذا واضحًا في الآية ٧٨ حيث علق الرازي عليها: «لا نترك الدين الذي نحن عليه، لأنا وجدنا آبائنا عليه...»[٧٢]. ولكن التوراة التي تعود إلى أكثر من عشرين قرنًا قبل القرآن، تفيدنا أن إرسالية مُوسَى إلى فرعون كانت محصورة فقط في إطلاق بني إسرائيل للخروج من أرض مصر ولم تتطرق إلى الدعوة للإيمان (سِفْرُ الخروج ٥: ١ - ٥).

١٠: ٧٦

القراءة الشائعة للقرآن ‹لَسِحْرٌ› بدون ألف بعد السين، خلافًا للآية الثانية من هذه السورة. وقرأ مجاهد وابن مسعود وآخرون «لَسَاحِرٌ» بالألف[٧٣].

---

٦٦. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٥٩٤.
٦٧. نفس المصدر. انظر عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٨٥. قارن: الزمخشري، الكشاف ٣: ١٦٢.
٦٨. الزمخشري، الكشاف ٣: ١٦٢.
٦٩. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٥٩٤.
٧٠. الجلالين، تفسير ٢١٧.
٧١. الزمخشري، الكشاف ٣: ١٦٢.
٧٢. الرازي، تفسير ١٧: ١٤٨.
٧٣. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٨٦. انظر التعليق على (يونس ١٠: ٢)، صفحة ٤٢.

www.christianlib.com

وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾
فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟
قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾
فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ
أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم
مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ
وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ

١٠:٨١

- قراءة الجماعة: ‹مَا جِئْتُمْ بِهِ›[٧٤].
- و قرأها أُبيّ بن كعب: «مَا أَتَيْتُمْ بِهِ»[٧٥].

وجود قراءة «أتيتم» التي تحمل نفس معنى «جئتم»، المفهومة لكافة الناطقين باللغة العربية، ولا تحتاج لأي تفسير أو مرادفة، يثير التساؤل حول احتمالية وجود أصل غير عربي تُرجمت عنه بعض مقاطع القرآن.

٧٤. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٦٠١.

٧٥. نفس المصدر. قارن: عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٨٧.

www.christianlib.com

١٠: ٨٣

راجع التعليق على (الأعراف ٧: ١١٧ - ١٢٢). المجلد الأول من هذا الكتاب.

١٠: ٨٤

- قراءة الجمهور: ‹يَا قَوْمِ›، بكسر الميم[٧٦].
- وقرأ ابن محيصن: «يَا قَوْمُ»، بضمها[٧٧].

في قراءة الجمهور، ياء النسب محذوفة على التخفيف، وأصلها ‹يا قومي›؛ بمعنى أن موسى يخاطب قومه، وهم بنو إسرائيل. أما قراءة ابن محيصن ‹يَا قَوْمُ› بالضم، فتعني أن موسى يخاطب بني إسرائيل مع قوم فرعون. كما أن سياق الآيات في سورة يونس لا يذكر إيمان السحرة كما هو مذكور في (الأعراف ٧: ١١٧-١٢٢ وطه ٢٠: ٦٩-٧٣ والشعراء ٢٦: ٤٧-٤٨)، بل تخبرنا الآية السابقة[٧٨] أن من آمن لم يكن سوى ‹ذُرِّيَّةٌ› من بني إسرائيل[٧٩]!

والسؤال مازال مطروحًا: هل آمن السحرة بإله موسى أم لم يؤمنوا؟ ولماذا لم تذكر سورة يونس إعلان سحرة فرعون الإيمان بإله موسى وهارون؟ وهل حدث سهو ما أثناء سرد هذه السورة؟

١٠: ٨٨

تُصور الآيةُ موسى وهو يدعو الله أن يبدد أموال فرعون وأشرافِ قومه، وتقول إنه سأل الله أن يجعل أموال هؤلاء حجارة، وأن يُنزل بهم كلَّ دمار[٨٠]. ثم تضيف الآية القول إن موسى دعا ربَّه أن لا تنشرحَ قلوبُ أعدائه للإيمان، بل أن يزيدوا في الضلالة[٨١].

وقد يتفهم المرء دعاء موسى على فرعون إن كان هذا لإجل إقرار العدالة بحق ظالم مثل فرعون، ولكن أن يسأل موسى ربه أن يغلق قلوبهم، ثم يضيف دعاءً أن يزيدوا في الضلالة لهو

٧٦. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٦٠٥.
٧٧. نفس المصدر.
٧٨. (يونس ١٠:٨٣).
٧٩. انظر الطبري، تفسير ١٢ : ٢٤٧.
٨٠. الطبري، تفسير ١٢: ٢٦٤، ٢٦٧. قارن: القرطبي، تفسير ١١: ٣٩-٤٠.
٨١. الطبري، تفسير ١٢: ٢٦٧. قارن: القرطبي، تفسير ١١: ٣٩.

www.christianlib.com

زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ
أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ
أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞
وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ
أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠
مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ
نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا
لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا
ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟

تصورٌ بعيدٌ عن غاية النبوة وسلوك الأنبياء. فغاية الله من إرساله الأنبياء أن يقود الناس إلى طريق البر، لا أن يبقيهم في متاهة الضلال.

١٠:٩٢

- قراءة الجماعة: «بِبَدَنِكَ»، بالإفراد[٨٢].
- وقرأ أبو حنيفة وابن مسعود: «بِأَبْدَانِكَ» بالجمع، أي «بدروعك»[٨٣].

---

٨٢. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٦٢١.

٨٣. نفس المصدر. قارن: عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٩٢.

www.christianlib.com

في قراءة الجماعة، يفيد البدن مدلوله الشائع، أي: الجسم، فكيف نفسر استخدام تعبير ‹ننجيك ببدنك› في هذا السياق؟[٨٤] وحيث إنه لم يقل «ننجي بدنك»، فعليه يكون من الوارد أن فرعون قد نجا من الغرق ولم يصب بدنه أي أذى، إذ آمن بالله وأعلن إسلامه أثناء غرقه بحسب الآية (يونس ١٠:٩٠) ‹حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ›. إلا أن هناك إشكالية في آية (المزمل ٧٣:١٦) ‹فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً›، فيورد الطبري في شرح هذه الآية مايلي: «فأخذناه أخذا شديدا؛ فأهلكناه ومن معه جميعًا»[٨٥]، ويضيف: «ولم يرض الله بأن غُرِّق وعُذِّب، حتى أقرّ في عذاب مستقرّ، حتى يُبعث إلى النار يوم القيامة. يريد فرعون»[٨٦]. ولتبرير هذا التضارب حاول المفسرون حبك الكثير من القصص عن ابن عباس مفادها أن جبريل أخذ يملأ فم فرعون بالطين «مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ»[٨٧]. كما طرح الرازي عدة احتمالات مختلفة دون حسم نهائي لها، خاتمًا هذه الاحتمالات بقراءة لكلمة ‹ننجيك› بالحاء المهملة ««ننحيك»...أي نلقيك بناحية مما يلي البحر، وذلك أنه طرح بعد الغرق بجانب من جوانب البحر»[٨٨].

ونتساءل

- هل نجا فرعون من الغرق كما هو بظاهر الآية ‹ننجيك ببدنك› أم غرق ومات بحسب آية المزمل ٧٣:١٦ ‹فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً›؟
- وهل القراءة التي أتى بها الرازي «ننحيك ببدنك» قد حلت إشكالية تضارب ‹ننجيك ببدنك› مع آية المزمل؟
- هل يجوز لجبريل أن يمنع عاصيًا كفرعون عن التوبة بحشو فيه بالطين، كما نُقِل عن ابن عباس؟
- وأخيرًا، لماذا يأتي الوحي القرآني بنصٍ غامضٍ تتضارب فيه آراء الفقهاء، وتختلف فيه التفاسير؟

---

٨٤. ‹ننجيك ببدنك...› تعني تنجية نفس فرعون وبدنه، في حين «ننجي بدنك...» يمكن أن تعني نجاة جسده فقط.

٨٥. الطبري، تفسير ٢٣: ٣٨٦.

٨٦. نفس المصدر ٢٣: ٣٨٧-٣٨٨.

٨٧. نفس المصدر ١٢: ٢٧٦-٢٧٨.

٨٨. الرازي، تفسير ١٧: ١٦٣.

www.christianlib.com

فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ
يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ
مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾
وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ
ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ
ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٩٨﴾ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن
فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾

٩٤:١٠

- القراءة الشائعة: ‹الْكِتَابَ›، بصيغة المفرد.
- وقرأ يحي بن وثاب وإبراهيم النخعي: «الْكُتُبَ»[٨٩]، بصيغة الجمع.

رسم المصحف ‹الكتب› لا يظهر ألف المد في وسط الكلمة، والتي كانت نادرًا ما تظهر في المصاحف الأولى العارية من التنقيط والتشكيل. الأمر الذي يؤدي إلى الخلط بين الإفراد و الجمع، وهذا الخلط شائع جدًا في القراءات. وبما أن رسم المصحف لا يجزم في هذه الآية بإفراد أو جمع صيغة الكلمة، فالمعضلة تبقى قائمة: هل الإشارة إلى كتاب التوراة أم الزبور أم الإنجيل أم كتاب آخر؟ أم هي إشارة للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد؟

٨٩. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٦٢٤. انظر عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٩٢.

www.christianlib.com

١٠: ٩٤

تخاطب الآيةُ محمدًا[٩٠] بالقول إن راودك الشك يا محمد من حقيقة الوحي، فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك. ولهذا يعلق الزمخشري: «كأنه قيل: فإن وقع لكَ شكٌ مثلًا، وخيل لكَ الشيطانَ خيالاً منه»[٩١]. ثم تضيف الآية أمراً: ‹فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ›، أي: «فلا تكوننَّ من الشاكّين في صحة ذلك وحقيقته»[٩٢].

أصاب المفسرين حرجٌ من فحوى هذه الآية، فقالوا: إن محمدًا لم يشك ولم يسأل.[٩٣] وكيف لم يشك، والآية تشير إلى الشك؟ وأما أنه لم يسأل، فهو أمر متوقع، لأنه لا يوجد بين الذين قرأوا الكتب من يقول لمحمد إنه رسول حق. ذهب بعضهم أيضًا إلى تفسير مفاده أنه، حتى وإن كان الخطاب موجهًا لمحمد، ولكن المقصود به غيرُه[٩٤]. فمن هو غيره؟ ولماذا اقتصرت الآية على توجيه الخطاب لمحمد؟

قال المفسرون أيضًا إن الآية قد استندت في برهان صحة دعوة محمد إلى ‹الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ›، أي أهل الكتاب. وكما نعرف، فإن أهل الكتاب: يهودًا ومسيحيين، لا يقبلون برسالة محمد ولا بنص القرآن. وبناءً على هذا الشرط، فإن الرسالة المحمدية تكون غير صحيحة حتى بالنسبة للمسلم نفسه، لأن البرهان الذي أمرت الآية بالاستناد إليه، هو في حقيقة الأمر برهان غير قائم بل العكس هو الصحيح، لأن أهل الكتاب ينفون صحة رسالة محمد.

ثم نلاحظ أن الآية تقول: ‹الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ›، مما يشير إلى أن محمدًا قرأ شيئًا من الكتب المقدسة التي سبقته.

١٠: ٩٩

في الآية خطاب لمحمد: أن عليك أن تبلغ رسالة الإسلام، ولكن لن تستطيع أن تجبر الناس على اعتناق الإسلام، إلاّ أن هذه الآية قد نُسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٩٥].

---

٩٠. القرطبي، تفسير ١١: ٥٢.
٩١. الزمخشري، الكشاف ٣: ١٧٣.
٩٢. الطبري، تفسير ١٢: ٢٨٩.
٩٣. نفس المصدر ١٢: ٢٨٧-٢٨٨.
٩٤. القرطبي، تفسير ١١: ٥٣.
٩٥. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٣، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٤، شعلة، صفوة الراسخ ١٤٦.

www.christianlib.com

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا
يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ
عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ
كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن
دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى
يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا
يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا

يرفض ابن الجوزي قول من رأى أن الآية منسوخة، لأن الإيمان «من أعمال القلب»[٩٦]، أي أن محمدًا غير قادر على إدخال الإيمان في قلوب الآخرين، ولكنه قادر على إكراههم على إعلان الإسلام؛ وبالتالي بوسعه أن يجبر الناس على إعلان الإسلام، ولو كان ذلك غير متأتٍ عن الإيمان الصحيح.

١٠:١٠٠

تقول الآية إن الإيمان مرهون بإذن الله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

سؤال: إذا كان الإيمان مشروطًا بإرادة الله، فأين العدالة في معاقبة غير المؤمنين؟

---

٩٦. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٣.

www.christianlib.com

١٠٠:١٠

- قراءة الجماعة: ‹الرِّجْسَ›[٩٧].
- وقرأ الأعمش: «الرِّجْز»[٩٨].

نجد في النص القرآني أن نفس الكلمة الواحدة تدون بطريقتين، ففي الكلمة التي نحن بصددها الآن نجد أنها تارة تكتب بالـ (س) وأخرى تكتب بالـ (ز) على التبادل. وبما أن الأعمش قد قرأها هنا بالـ (ز)، فيبدو أن الأمر متروك لاستحسان القارئ. مما يشكك في القول بحرفية النص القرآني وسلامته من التحريف.

رجس (س)	رجز (ز)
المائدة ٥: ٩٠	البقرة ٢: ٥٩
الأنعام ٦: ١٢٥	الأعراف ٧: ١٣٤
الأنعام ٦: ١٤٥	الأعراف ٧: ١٣٥
الأعراف ٧: ٧١	الأعراف ٧: ١٦٢
التوبة ٩: ٩٥	الأنفال ٨: ١١
التوبة ٩: ١٢٥	العنكبوت ٢٩: ٣٤
يونس ١٠: ١٠٠	سبأ ٣٤: ٥
الحج ٢٢: ٣٠	الجاثية ٤٥: ١١
الأحزاب ٣٣: ٣٣	المدثر ٧٤: ٥

رغمَ أن هذا الجدولَ لا يبيّنُ إلاّ الاختلافاتِ الإملائيةَ الموجودة في القرآنِ لهذه الكلمةِ العربيةِ المعيّنة (الرجس والرجز)، إلاّ أن هذه المشكلةَ غيرُ مقتصرةٍ على هذا المثلِ. إذ تردُ عددُ كلماتٍ بتهجئةٍ بديلةٍ عبرَ القرآنِ، وهذه الاختلافاتِ الإملائيةَ للكلمةِ نفسِها لا تغيرُ معنى الكلمةِ. غير

٩٧. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٦٣٠.
٩٨. نفس المصدر ٣: ٦٣١. قارن: عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٩٤.

www.christianlib.com

كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ
يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

أن هذه الاختلافاتِ الإملائيةَ توحي بقوةٍ بوجودِ عملِ أكثر من كاتبٍ أو منقّحٍ. لاحظْ في هذا الجدول الاختلافاتِ الإملائيةَ لـ «الرجس» و «الرجز» في السورةِ، على سبيل المثالِ: الأعراف ٧: ٧١؛ الأعراف ٧: ١٦٢).

١٠٢:١٠

الآية تحتوي على تهديد لمشركي مكة أن العذاب سيحل عليهم عاجلًا، أسوة بما حل بالأمم العاصية من قبل، وتفيد الآية أن محمدًا نفسه سينتظر هذا اليوم[٩٩].

لكن هذه الآية قد نُسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[١٠٠]؛ فلم يعد محمد ينتظر أن يحل غضب الله على من يرفض دعوته، بل، استنادًا إلى آية السيف، صار قادرًا أن ينزل عليهم العذاب بنفسه ويحاسبهم على عدم إيمانهم به.

٩٩. الطبري، تفسير ١٢: ٣٠١.
١٠٠. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤١، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٤.

www.christianlib.com

١٠: ١٠٨

هنا نقرأ خطابًا لمحمد يقول إن من اهتدى إلى سبيل الإسلام وصدّق به، فإن الخير كله يعود له، ومن ابتعد وخالف دعوة محمد، فإن نتائج ضلاله تعود عليه. ولكن هذا المعنى نُسِخ كليًا، وإن كان يُختلف على الآية التي قد نُسِخ بمقتضاها هذا المبدأ:

- قال فريق من العلماء إن المبدأ منسوخ بآية القتال (التوبة ٩: ٢٩)[١٠١].
- وقال فريق آخر إنه نُسِخ بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[١٠٢].

١٠: ١٠٩

ترسم هذه الآية ما كان يتبعه محمد طيلة وجوده في مكة، إذ كان يصبر على خصومه، لكن الحال تبدّل في المدينة، إذ نُسخت[١٠٣] هذه الآية بعد حيازة محمد للقوة العسكرية:

- فقال فريق إنها نُسخت بآية القتال (التوبة ٩: ٢٩)[١٠٤].
- وقال آخر إنها نسخت بأية السيف (التوبة ٩: ٥)[١٠٥].

على أن ابن الجوزي لا يرى نسخًا هنا[١٠٦].

---

١٠١. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٤، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤١.
١٠٢. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٤.
١٠٣. مكي، الإيضاح ٣٢٣.
١٠٤. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٤.
١٠٥. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٤، شعلة، صفوة الراسخ ١٤٦.
١٠٦. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٤. قارن: (البقرة ٢: ١٠٩).

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــــة

سُميت السورةُ باسم «هُودٍ» لتكرار ذكر اسمه فيها خمس مرات (٥٠، ٥٣، ٥٨، ٦٠، ٨٩)، ولأنّها تحتوي على أطولِ حديثٍ عنه في القرآن (ابن عاشور ١١/ ٣١١).

انشغلت السورةُ بالدفاع عن دعوى نبوة محمد، وعن أصالة القرآن. وفي السورة إصرارٌ على التحدي بالقرآن، وعدم تقديم معجزات للبرهنة على صدق محمد، مع ملازمة ذلك بالإنذار وإنزال العذاب بالرافضين. وتحكي السورةُ قصصَ أنبياءٍ، انتقى محمد منها ما يجعل هؤلاء الأنبياء مشابهين له؛ بحيث تعرضوا مثله للرفض وتشكيك الناس بهم. وفي السورة إنذارٌ للمكيين بأن الغضب الإلهي سيَحلُّ بهم لرفضهم دعوى محمدٍ، مثلما حدث لمن رفضوا الأنبياء السابقين.

ومن الملاحظ أن هذه المواضيع مشابهة لما احتوته السورة السابعة (الأعراف) (Wherry II: 342).

تتكامل هذه السورةُ مع السورةِ العاشرة (يونس). وهما سورتان متتابعتان تاريخيًا، إذْ جاءت سورة هود بعد سورة يُونس في القرآن (ابن عاشور: ١١/ ٣١٢). ويَظهر من هاتين السورتين أن التوتر بين محمد وقريش كان على أشده في تلك المرحلة.

مكية السورة لا خلاف عليها بين العلماء المسلمين، ومع ذلك، دفع عدد منهم بمدنية بعض الآيات، مثل:

- ١٢ و١٧: بسبب التطرق لليهود.
- ١١٤: كونها تحدد مواقيت الصلاة (نولدكه ١٣٥، ابن عاشور ١١: ٣١١).

ويضع نولدكه (Nöldeke) احتمالية أن تكون الآية (٨٤) تتمة للآية (٦٨). ويعتقد أن الآيات (١٠٠- ١٠٩) «كأنها مقطع ختامي يراجع فيه ما سبق الحديث عنه» (نولدكه ١٣٦).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ
إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ
يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن
تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ
يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥
۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ
كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ
عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ
مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ وَلَئِنۡ
أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ
لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا
ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ
بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠ إِلَّا
ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١ فَلَعَلَّكَ
تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ
كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢
أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ

www.christianlib.com

١١: ٧

القراءة الشائعة للقرآن ‹سِحْرٌ›، وقرأ حمزة والكسائي وآخرون «ساحر»[١].

١١: ١٢

تصف الآيةُ ترددَ محمدٍ حَيالَ قومه بشأن ترك بعضِ آياتِ القرآن، وتطرحُ عليه سؤالاً: هل تفكر يا محمد بترك بعض الآيات القرآنية، وتشعر بالضيق منها، فلا تنقلها لقريش، لمجرد أنها سألتك معجزاتٍ حسيةً، مثل اكتشاف كنوزٍ أو ظهور مَلكٍ؟

وهذا الشك من جانب محمد فيما يُوحَى به إليه، يعكس قناعةً كامنةً لديه بأنْ ليس للقرآن تأثيرٌ على قريش، على الرغم مما يقوله المفسرون بأن القرآنَ جاء بمعجزةِ اللغة، لأن العربَ كانوا أهل فصاحة وبيان.

١١: ١٢

لدينا بشأنها قولان:

القول الأول: **إنها منسوخة**

الذين قالوا إن الآية تطلب من محمد الاقتصار على إنذار قومه، قالوا إنها منسوخة.

فقال فريق أولُ إنها منسوخة بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٢]؛ وذهب فريق آخر إلى أنها نُسخت بآية القتال (التوبة ٩: ٢٩)[٣].

القول الثاني: **إنها محكمة**

فسّر بعضهم الآية على أنها توجب على محمد أن ينذرهم، وليس عليه أن يأتي لهم بما يسألوه من معجزات[٤]، ومن هنا، فأصحاب هذا الرأي لا يرون أن الآية قد نسخت.

---

١. الخطيب، معجم القراءات ٤: ١٧. انظر التعليق على قراءات (يونس ١٠: ٢)، صفحة ٤٢.
٢. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٥، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٥.
٣. شعلة، صفوة الراسخ ١٤٧.
٤. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٥، شعلة، صفوة الراسخ ١٤٧.

www.christianlib.com

ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ
أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤ مَن كَانَ يُرِيدُ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا
كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ
كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ
ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ

١١: ١٤

- قراءة الجماعة: ‹أُنْزِلَ›[٥].
- وقرأ زيد بن علي: «نَزَّلَ»[٦].

الفرق بين القراءتين ينتج عنه اختلاف في المعنى، ألا وهو أن ‹أُنْزِلَ› على وزن أُفْعِلَ، يعني أن النزول حدث دفعة واحدة. وكمثال على ذلك نقرأ: ‹شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ› (البقرة ٢: ١٨٥). أما «نَزَّلَ» فهي على وزن فَعَّلَ، وتفيد التكثير، حيث إن النزول كان على عدة مراحل، مفرقًا ومنجمًا على ثلاث وعشرين سنة. فمثلاً نقرأ: ‹وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً› (الإسراء ١٧:١٠٦)[٧].

الإشكالية المطروحة: هل أُنزل القرآنُ مرةً واحدةً، أم تنزّل مفرقًا ومنجماً على مراحل؟

---

٥. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٢٢.
٦. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٢٠٩، وانظر عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ١٠٤.
٧. انظر «إشكالية نزل/أنزل والخطأ التاريخي»، في المجلد الأول من هذا الكتاب.

www.christianlib.com

للخروجِ من هذا المأزق، قال ابن عباس إن القرآن نزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر في شهر رمضان، ثم تتابع تنزيله على حسب المواقف والأحداث[٨].

ونتساءل: هل كان القرآن معلقًا في سماء الدنيا لحين ظهور الأحداث والمُناسبات الخاصة بكل آية!؟ وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا تم نسخُ بعض الآيات، وتغييرُ أحكامها، طالما أن القرآن موجودٌ -«تحت الطلب»- يتم تنزيله وفقًا للمناسبة!؟

١١: ١٥

قال بعض الشراح إن الآيةَ تفيدُ أنَّ من أراد الدنيا بعمله، أُعطيَ فيها ثوابُ عمله من الرزق والخير والصحة والمال والأهل. وهذا الإعلان قد نُسخ بالآية التي تقول: ‹مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ› (الإسراء ١٧: ١٨)[٩]. فصار العطاء متعلقًا بمشيئة الله لا برغبة ‹مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا›.

إن هاتين الآيتين مكيتان، وهذا النسخ يُعتبر من النوادر، حيث نُسخت آيةٌ مكيةٌ بآيةٍ مكيةٍ أخرى[١٠]. على أن معظم العلماء يذهبون إلى اعتبار الآية محكمة لأنها خبر، والخبر لا نسخ فيه[١١].

١١: ١٧

انظر التعليق «القرآن يشهد على صحة الكتاب المقدس»، في المجلد الأول من هذا الكتاب، في التعليق على (آل عمران ٣: ٣-٤).

---

٨. انظر الطبري، تفسير ٢٤: ٥٤٢.
٩. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٥-٣٧٦، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤١، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٥، شعلة، صفوة الراسخ ١٤٧، النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٤٧٢-٤٧٣.
١٠. مكي، الإيضاح ٣٢٥.
١١. نفس المصدر، وانظر شعلة، صفوة الراسخ ١٤٧، النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٤٧٣. وقارن مسألة النسخ في: ‹وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا› (آل عمران ٣: ١٤٥) المجلد الأول من هذا الكتاب.

www.christianlib.com

أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ
يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا
لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا
عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا
كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢١ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٢٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ
أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٣ ۞مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ
وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٤ وَلَقَدۡ
أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ
أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن
قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا
بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧

١١: ٢٥

- القراءة الشائعة للقرآن ‹... إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ›.
- وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: «... أني لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ»[١٢].
- وقرأ ابن مسعود: «... فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ»[١٣].

---

١٢. الرازي، تفسير ١٧: ١٩.

١٣. السجستاني، كتاب المصاحف ٣١٩. انظر الخطيب، معجم القراءات ٤: ٣١.

www.christianlib.com

في القراءة الشائعة، نلاحظ أن الآية تتكون من شقين: في الشق الأول، يقول الله إنه أرسل نوحًا لقومه. أما في الشق الثاني فيظهر أحد معنيين:

المعنى الأول: نوح يخبر قومه بأنه النذير المُبين .

المعنى الثاني: الله هو النذير المبين.

وتفيد قراءة ابن كثير أن الله هو النذير المبين. أما قراءة ابن مسعود فتُظهر بوضوح أن نوحًا هو من أعلن لقومه أنه النذير المبين، لوجود عبارة ‹فَقَالَ يَا قَوْمِ› دون غموضٍ أو إبهام، وما يعزز هذه القراءة هو ما جاء في الآية التي تليها: «...إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم»، إذ لا شك أن القائل ها هنا هو نوح. ولذا فقراءة ابن مسعود هي الأقرب إلى الصواب.

ونتساءل: لماذا جاءت القراءة الشائعة للقرآن بهذا الغموض بحيث يمكن أن يُفهم منها معنيين؟ ولماذا تُرفض قراءة واضحة بلا لبس كقراءة ابن مسعود؟

١١: ٢٧

حسب الآية، فإن أناساً من أسفل السلم الاجتماعي آمنوا بدعوة نوح، الأمر الذي يتعارض مع ما يقوله القرآن في سورة آخرى (هود ١١: ٤٠) بأن الذين نجوا من الطوفان هم فقط القليل من الذين آمنوا بدعوته، وهذه الجزئية في سورة هود تنسجم مع الرواية الواردة في التكوين[١٤] التي تقول إنه لم يؤمن بدعوة نوح إلا اهل بيته فحسب، وهم الذين احتموا بالفلك.

والقرآن بهذا الحال يحتوي على تناقض واضح، فبحسب الآية ٢٧ فإن ‹أراذل› القوم آمنوا بدعوة نوح، وهذا يعني أن معظم الناس آمنوا، وليس القليل. فما هي الرواية القرآنية في هذا الصدد؟

---

١٤. انظر سفر التكوين، الإصحاحين ٨ و٩.

www.christianlib.com

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ
فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ
عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ
رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن
طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ
ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ
ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١ قَالُواْ يَٰنُوحُ
قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢
قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣ وَلَا يَنفَعُكُمۡ
نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ
رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي

١١: ٢٨

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹فَعُمِّيَتْ›، مبني للمجهول، أي أُبهِمَتْ عليكم.
- وقرأ ابن كثير وآخرون: «فَعَمِيَتْ»، مبني للمعلوم، أي فَخَفِيَتْ[١٥].
- وروى الأعمش أنها كُتبت بالواو: «وَعَمِيَتْ»[١٦]. وهي تطابق في المعنى قراءة ابن كثير.

وقد وردت بعض القراءات الأخرى لهذه الآية على الحذف والإضافة[١٧]:

١٥. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٣٥.
١٦. نفس المصدر ٤: ٣٦.
١٧. نفس المصدر.

www.christianlib.com

- فقد حذف ابن مسعود عبارة «وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ»، وقرأها «قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ».
- وذكر أبو زرعة أن القراءة في مصحف أُبيّ بن كعب مختلفة، وهي كالتالي: «فَعَمَّاهَا اللهُ عَلَيْكُمْ» بإضافة اسم الجلالة فاعلاً.

وجود عبارة ‹وأتاني رحمة من عنده› أربكت النص، بحيث أصبح من غير اليسير معرفة ما عميَ عليهم، وهل المقصود الرحمة أم البينة؟ أم الاثنين معًا؟

اختلف المفسرون اختلافًا كثيرًا في دلالة هذه الرحمة، فمنهم من قال أنها تعني النبوة، أو المعجزة الدالة عليها[١٨]، وقال الطبري أنها تعني التوفيق، والنبوة، والحكمة[١٩]، أو «الهداية إلى الله بالبراهين، وقيل: الإيمان والإسلام»[٢٠]!

لكن بالرجوع إلى قراءة ابن مسعود يتضح أن الإشارة تعود على البينة، والتي تعني في اللغة الوضوح، والبيان، فعُمِّيَتْ عَلَيْهِمْ، وبهذه القراءة يزول الالتباس تمامًا. ويتضح جليًا أن زيادة هذه العبارة ‹وأتاني رحمة من عنده› لم يخدم النص، بل أدى إلى صعوبة فهم الآية.

١١: ٣٤

في هذه الآية، يعلن نوح عجزه عن إقناع قومه بالإيمان، ويعتبر أن نُصحه لا يأتي ثمارَه، لأن الله يريد أن يغويهم. وعلى أساس هذه الآية، استنكر القرطبي قول بعض المتكلمين المسلمين بأن للإنسان إمكانية الاختيار، فقال:

> ‹...أن يغويكم› أيْ: يُضِلَّكم. وهذا مما يدلُّ على بطلان مذهب المعتزلة والقدرية ومن وافقهما؛ إذْ زعموا أن الله تعالى لا يريدُ أن يَعصيَ العاصي، ولا يَكفرَ الكافر، ولا يَغوَى الغاوي، وأنه يفعلُ ذلك واللهُ لا يريد ذلك...[فالله] هو الهادي والمُضِلُّ[٢١].

فالآية تنكر حرية الاختيار على الناس، وتضع الله في موضع المُغوي المُضل للبشر. وهذه مسألة لا يسع المرءُ قبولها، فإرادة الإغواء ناتجة عن انفعالات نفسية، وهي من خصائص البشر، لا من طبيعة الله.

---

١٨. الرازي، تفسير ١٧: ٢٢٢.
١٩. الطبري، تفسير ١٢: ٣٨١.
٢٠. القرطبي، تفسير ١١: ١٠٢.
٢١. القرطبي، تفسير ١١: ١٠٦.

www.christianlib.com

وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا
مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا
وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ
وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ
مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ
عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن
كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ
مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي
لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ

١١: ٤٠

تقول الآية إن الطوفان قد سُبق بفوران التنور. وقد اختلف العلماء في معنى ‹فَارَ التَّنُّورُ›، فقالوا:

- انبجس الماءُ من وجه الأرض[٢٢]. كما قالوا إن التنور أعلى الأرض، والمعنى أنه فارَ أعلى الأرض... بالماء[٢٣].
- أي نَوَّر الصبحُ تنويراً[٢٤].
- التمثيل لحضور العذاب، كقولهم: حمي الوطيسُ: إذا اشتدَّت الحرب[٢٥].
- هو التنور الذي يُخبَزُ فيه، حيث فار بالماء، وهو ما يرجحه الطبري[٢٦]. وهذا القول هو السائد في الأدب الإسلامي.

٢٢. الطبري، تفسير ١٢: ٤٠١.
٢٣. نفس المصدر ١٢: ٤٠٣.
٢٤. نفس المصدر ١٢: ٤٠٢.
٢٥. القرطبي، تفسير ١١: ١١٦.
٢٦. الطبري، تفسير ١٢: ٤٠٦، ٤٠٧.

www.christianlib.com

بالعودة إلى مفردة التَّنُّور، نجد أن علماء اللغة العرب قالوا إنها كلمة من أصل فارسي، وقد وردت في القرآن، لأن العرب لم تكن تعرف اسمًا آخر[٢٧]. وثمة رأي بين المستشرقين يقول إنها من مفردات العهد القديم תַּנּוּר[٢٨] (وتلفظ: تنور، بمعنى فرن)، وهي تُكتب في الكتاب المقدس السرياني «البيشيتا» ܬܢܘܪܐ (تلفظ: تنورا، وتعني: تنور او فرن)، وبالآكادية تُقرأ (تينورُ).

بينما يميل بعض المستشرقين للقول إنها من أصل فارسي، لأن المفردة موجودة في الأفيستا «تَنورا»، وبالبهلوية بمعنى فرن الخبز. لكن احتمال أن تكون المفردة قد دخلت إلى الفارسية من السامية أمر وارد. ولا يُستبعد أن يكون للكلمة جذر أبعد[٢٩].

والقصةُ القرآنية في سياقها مقتبَسة من الأدب الحبري، الذي يفيد بأن جيل الطوفان عُوقب بالماء المغلي، كما جاء في تلمود السنهدرين وربّا على سفر التكوين. والواضح أن الخبر القرآني بشأن سخرية الناس من بناء نوح للسفينة، مأخوذ من كتاب السنهِدرين[٣٠].

من الواضح أن القصة قد دخلت إلى القرآن نقلاً عن الروايات الحبرية، التي ربما تكون قد وصلت إلى محمد بشكل مباشر، أو من خلال الروايات المنقولة شفهيًا، وهي تفتقد للأساس التاريخي الموثق، وبالتالي، فمرجعيتها ليست اللوح المحفوظ، بل الروايات المنقولة شفهيًا بشكل مباشر أو غير مباشر.

١١: ٤٢

- قراءة الجمهور: ﴿ٱبْنَهُۥ﴾[٣١].
- وقرأ ابن عباس: «ابنهْ»[٣٢].
- وقرأ السدي: «ابناهْ»[٣٣].
- وقرأ علي بن أبي طالب : «ابنها»[٣٤]، أي ابن إمرأته، كونه ليس ابنه لصلبه[٣٥].

---

٢٧. الجواليقي، المعرّب من الكلام ٢١٣.
٢٨. مثلًا في سفر التكوين ١٥: ١٧.

29. FV Q 93-95.
30. EQ 3: 540-541, 5: 126; OSQ 125, cf Wherry 2: 352.

٣١. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٢٢٦، وانظر الخطيب، معجم القراءات ٤: ٥٦.
٣٢. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٢٢٦.
٣٣. نفس المصدر.
٣٤. نفس المصدر.
٣٥. نفس المصدر ٥: ٢٢٧.

www.christianlib.com

فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ
إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن
رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ
ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ
عَلَى ٱلْجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ
إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ
عِلْمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ
أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾

وقد حدث جدال بين بعض القراء[٣٦] حول كون هذا الابن هو من صلب نوح، أم ربيبه[٣٧]، أم كان كافرًا كأمه[٣٨]. فبحسب القناعات جاءت القراءات، ولذا كان الحسن «يحلف أنه ليس ابنه لصلبه»[٣٩]، ولا ندري كيف تأكد الحسن من كون هذا الابن ليس ابن نوح من صلبه؟ ألعله قد أخذ بما تلمح إليه الآيةِ العاشرة من سورة التحريم ‹ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ› فظاهر الآية هنا يوحي بأن امرأة نوح قد خانته، ومن المعروف أن خيانة المرأة لزوجها يُفهم منها الخيانة الزوجية.

---

٣٦. انظر أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٢٢٧، ومن هؤلاء القراء ابن عباس، وابن جريج، وابن عطية، والحسن بن علي، وعكرمة، والضحاك، وقتادة.

٣٧. الربيب ابن امرأة الرجل من غيره.

٣٨. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٢٢٧.

٣٩. نفس المصدر.

www.christianlib.com

وقد قدم ابن عطية قول ابن عباس: «ما بغت إمرأة نبيٍ قط»[٤٠]، حتى يؤكد عصمة الأنبياء وزوجاتهم، ويبدو أن هذا القول هو محاولة لاستبعاد فكرة خيانة عائشة لمحمد، الفكرة التي يقول بها حتى الآن البعض من الشيعة[٤١].

والسؤال المطروح: هل هذا الابن هو ابن نوح أم ربيبه أم ابن زنا؟

١١: ٤٤

وفقًا للرواية الإسلامية، حطت سفينة نوح في نهاية رحلتها على جبل الجودي. والسبب في اختيار الجودي لهذا الحدث كما أوضحه المفسرون المسلمون، هو أنه جبلٌ حدث أن«تشامخت الجبالُ من الغرقِ، وتواضع هو للهِ، فلم يغرق، وأُرسيت عليه»[٤٢]. وقيل، بل إن الله أوحى «إلى الجبال أن السفينة تُرسي على واحد منها فتطاولت، وبقي الجُوديُّ لم يتطاول تواضعًا لله، فاستوت السفينة عليه»[٤٣].

وقد اختلف الشارحون بشأن موقع هذا الجبل، فقالوا أن الجودي هو:

- جبل بالموصل[٤٤].
- من جبال الجنة[٤٥].

والواقع أن جبل الجودي، أو سلسلة جبال جورديين، بالسريانية «ܩܪܕܘ» (قردو)، يقع في بلاد ما بين النهرين، وهو ما نجده في الترجوم الذي يقول إنه كان محطة نزول نوح[٤٦] استنادًا إلى الرواية البابلية[٤٧]. وربما تعود الرواية إلى الكلدانيين[٤٨].

٤٠. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٢٢٧.
٤١. انظر على سبيل المثال: الحبيب، الفاحشة الوجه الآخر لعائشة ٨١٣-١٠٠٩.
٤٢. الطبري، تفسير ١٢: ٤٢٢. قارن: القرطبي، تفسير ١١: ١٢٨.
٤٣. القرطبي، تفسير ١١: ١٢٨.
٤٤. الطبري، تفسير ١٢: ٤٢٣. قارن: القرطبي، تفسير ١١: ١٢٧.
٤٥. القرطبي، تفسير ١١: ١٢٨.
٤٦. FVQ 106-107. قارن: دائرة المعارف الإسلامية ٣٢٦٥-٣٢٦٦.
٤٧. دائرة المعارف الإسلامية ٣٢٦٥-٣٢٦٦.
48. Wherry 2: 354, see footnote 44.

www.christianlib.com

يرى المستشرق مينغانا[٤٩] أن محمدًا قد حرّف اسم الجُودِيِّ بسبب سوء فهم للاسم السرياني «ܩܪܕܘ»، الذي سمعه من المسيحيين السريان. بينما يرى نولدكه أن القرآن يخلط بين «ܩܪܕܘ» في بلاد ما بين النهرين، وجبل الجُودِيِّ الذي يقع في منطقة طيء[٥٠]، إذ يبدو أن هذا الخلط نتج عن تصور محمد أن قوم نوح، مثل قوم عاد وثمود، قد سكنوا في الجزيرة العربية، وأن جبل الجودي الذي هو الأعلى بين جبال المنطقة، كان حتمًا موضع استقرار سفينة نوح[٥١].

إذًا، الرواية القرآنية تقول إن جبل الجودي، وليس آرارات كما في الرواية الكتابية[٥٢]، هو الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح. وفي هذا لبس واضح. ولا شك أن الرواية القرآنية عرضة لنقد شديد، رغم كل المساعي للبرهنة على صحة نظرية القرآن. ولدينا البرهان على ذلك من مترجم معاصر حاول التقريب بين الجودي وجبل آرارات؛ فبعد أن استعرض المنافحة الإسلامية عن الجُودِيِّ، قال إن الجودي: «يعني المرتفعات، وهذا لا يتعارض مع واقعة أن يكون هو جبل آرارات»[٥٣]. وهذا المترجم لا يذكر اللغة التي بها تعني كلمة الجودي المرتفعات. ولكنه إذا كان يقصد اللغة العربية، فهذا تزييف خطير، لأننا عندما نعود إلى معاجم اللغة العربية، لا نجد أن مفردة الجُودِيّ تعني المرتفعات. ولكن إن كانت بلغة أخرى، فلماذا لم يذكر المترجم تلك اللغة. وهذا يكشف تهافت مقولة الجُودِيِّ، إذْ سعى المترجم للتعمية على الأخطاء الجغرافية للآية.

---

49. Alphonse Mingana.
50. FVQ 107.
51. Ibid.

٥٢. سفر التكوين ٨: ٤.

53. Ali Ünal 457.

www.christianlib.com

قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ

١١: ٤٩

- قراءة الجماعة: ‹مِنْ قَبْلِ هَذَا›[٥٤].
- وفي مصحف ابن مسعود: «مِنْ قَبْلِ هَذَا القُرْآن» بزيادة لفظ «القُرْآن»[٥٥].

ويقول ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: «والإشارة بقوله «مِنْ قَبْلِ هَذَا» إما إلى القرآن، وإما إلى الوقت باعتبار ما في هذه القصة من الزيادة على ما ذكر في أمثالها مما تقدم نزوله عليها، وإما إلى (تِلْكَ) بتأويل النبأ، فيكون التذكير بعد التأنيث شبيها بالالتفات»[٥٦].

وفقًا لابن عاشور إذًا، هناك ثلاثة احتمالات لتأويل كلمة «هَذَا» كالتالي:

- إما القرآن
- وإما الوقت
- وإما النبأ

٥٤. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٧٣.
٥٥. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٢٣٢. انظر عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ١١٧.
٥٦. ابن عاشور، تفسير١٢: ٩٣.

www.christianlib.com

لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا
عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ
يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟
مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا
نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ
أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا
ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ
بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ
أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ
بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ
وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ
ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ
أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى
قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن
نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ

www.christianlib.com

إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾

فعدم ذكر المزيد من المعلومات لتوضيح المقصود من أداة الإشارة ‹هذا›، يصيب النص القرآني بنقص في البيان.

ونتساءل: هل وجود كلمة «القرآن» في مصحف ابن مسعود يدل على أنها سقطت سهوًا من مصحف عثمان دون أن تنتبه لها لجنة زيد بن ثابت؟

١١: ٥٠-٥٩

ذكر بعض المفسرين أن هودًا هو هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح[٥٧]. وأخبرونا أيضًا أن هودًا بُعث رسولًا إلى عاد[٥٨]. وكانت عاد قبيلة وثنية في نواحي حضرموت في اليمن[٥٩]. ثم يقولون إن هودًا رحل إلى مكة بمن آمن معه، فمكثوا فيها حتى ماتوا[٦٠].

لا نجد تأصيلاً في المصادر التاريخية. ولا يُذكر اسم هود في سلسلة نسب أحفاد نوح التي وردت بالتفصيل في سفر التكوين[٦١]. ويبدو أن ناظم القرآن قد أدخل روايات شفهية شعبية فيه، إذْ ورد اسم هود في الأدب الشفهي الجاهلي، كمثل ما قاله يزيد بن سعد:

وإنّ إلـه هود هو إلهـي على الله التّوكل والـرّجاء[٦٢]

---

٥٧. القرطبي، تفسير ٩: ٢٦٣، وأبو حيان، تفسير البحر المحيط ٤: ٣٢٦.

٥٨. ابن كثير، تفسير ٦: ٣٢٩، القرطبي، تفسير ٩: ٢٦٣.

٥٩. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٤: ٣٢٦.

٦٠. نفس المصدر.

٦١. سفر التكوين ١٠ و١١.

٦٢. جواد علي، المفصل ٦: ٢٨٤.

www.christianlib.com

فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا
جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾
وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ
بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ
قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا
بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ

١١: ٧٠-٧١

١. **ضيوف إبراهيم لم يأكلوا من طعامه و إبراهيم أوجس منهم خيفةً**: جاء هذا في نص الآية ٧٠، وكانت امرأته قائمة معهم فبُشّرت بِإِسْحَاقَ وبِيَعْقُوبَ من بعده. وبحسب الرواية التوراتية، فقد استأنس إبراهيم بضيوفه الذين أكلوا من طعامه، ولم تكن سَارَةُ قائمةً معهم بل «كَانَتْ سَارَةُ... فِي بَابِ الْخَيْمَةِ»؛ وكانت البشرى بِإِسْحَاقَ لإبراهيم وليس لسَارَةَ[٦٣].

٢. ‹**قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ**›: تقول الآية إنه بينما كانت امرأة إبراهيم ‹قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ›، فجاءتها البشرى. والعبارة يجب أن تكون بالترتيب التالي: «فبشّرناها فضَحِكتْ»، لأنه جاء في التفاسير أنها ضَحِكت حين بُشّرت بإسحاق. وهو رأي يؤيده أهل اللغة، الذين يقولون إن في الآية تقديمٌ وتأخير[٦٤].

إن تعارض التقديم والتأخير مع شروط البلاغة قد سبّب ـ على ما يبدو ـ إحراجًا لكثير من الشارحين، فقدموا تأويلات بعيدة عن سياق الآية، فقالوا مثلاً إن امرأة إبراهيم ضحكت من حوار

٦٣. سفر التكوين ١٨: ١-١٦.
٦٤. الطبري، تفسير ١٢: ٤٧٦، القرطبي، تفسير ١١: ١٦٤.

www.christianlib.com

الضيوف[٦٥]، وقالوا أيضًا إنها «ضحكت من خوف إبراهيم ورِعْدته من ثلاثةِ نفرٍ، وإبراهيمُ في حَشَمه وخَدمَه»[٦٦]. وأطرف حل طرحه البعض يقول: «﴿فَضَحِكَتْ﴾. في هذا الموضع: حاضت»[٦٧]. [نعم «حاضت»!]

١١: ٧١

- قراءة الجماعة: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾[٦٨].
- وفي مصحف ابن مسعود: «وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وهو قاعد» بزيادة «وهو قاعدٌ»[٦٩].
- كما يُروى أن ابن مسعود قرأ: «وهي قَائِمَةٌ وهو جالسٌ»[٧٠].

علّق الخطيب على قراءة ابن مسعود، فقال: «ولم أجد هاتيْن القراءتيْن في المطبوع من مصحفه، وهما قراءتان محمولتان على التفسير، ومن هذا الباب أغلب القراءات المروية عنه»[٧١]؛ ملمحًا أن هاتين القراءتين زائفتان. ولكننا عندما نحلل قول الخطيب، نجد:

١. بعد أن أورد الخطيب مصادر هذه القراءة من مراجع علوم القرآن، أضاف أنه لم يجد هذه القراءة في باب: «مصحف ابن مسعود»، في «كتاب المصاحف» للسجستاني[٧٢]. ولكن هذا الكتاب ليس سجلاً شاملاً لكل نصوص المصاحف، بل إنه يحتوي فقط على أجزاء منها. فإيهام القارئ بأن «كتاب المصاحف» لابد وأن يشتمل على كامل مصحف ابن مسعود لهو تلاعب بالمعطيات.

٢. عندما تكون هذه القراءة موجودة في بعض المصاحف، مثل مصحف ابن مسعود، ومصحف أُبي بن كعب، فلا حجة لأي أحدٍ أن ينقص من شأنها، وخصوصًا في عصرنا الحاضر حيث أثبتت الأبحاث الحديثة في مخطوطة صنعاء[٧٣]، أن مصاحف الأجيال الأولى كانت تضم هذه الاختلافات[٧٤].

٦٥. الطبري، تفسير ١٢: ٤٧٣-٤٧٤.
٦٦. القرطبي، تفسير ١١: ١٦٤.
٦٧. الطبري، تفسير ١٢: ٤٧٦-٤٧٧، القرطبي، تفسير ١١: ١٦٣.
٦٨. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٩٨.
٦٩. نفس المصدر.
٧٠. نفس المصدر، وانظر عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ١٢٣.
٧١. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٩٨.
٧٢. نفس المصدر، هامش رقم ٣.

73. Sanā DAM 01-27.1 Yemen.

٧٤. وكمثال على ذلك في (التوبة ٩: ١٠٧) وردت كما يلي في مخطوطة صنعاء «ورسوله من قبل وليقسمن بالله ما أردنا» خلافًا للنص القرآني المتداول: ﴿وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا﴾. انظر «المخطوطات القرآنية القديمة» في «مقدمة في القراءات المختلفة»، صفحة ٢١، وقراءات (الكهف ١٨: ٥٣)، صفحة ٢٥٩.

www.christianlib.com

٣. لا يوجد مصطلح اسمه «قراءة تفسيرية» إلا ما جاء في بعض القراءات مجهولة الصاحب، فنحن نوافق على هذا التعبير في هذه الحالة[٧٥]. فالقراءة قراءة. فإذا كانت شرحًا، فهي تفسير مبسط مثل «تفسير الجلالين». ومن خلال دراستنا لتعبير «قراءة تفسيرية» يمكن القول أن الخطيب أراد إقناع القارئ برأي مفادُه أن أغلب قراءات ابن مسعود ـ كما جاءت في المصادر الإسلامية ـ ما هي إلا شروحاتٌ مبسطة، ربما ليعزز دعوى وحدة النص القرآني.

إلى جانبِ رفضِ الخطيبِ قراءاتِ ابنِ مسعودٍ على أساسِ أنها غيرُ موجودةٍ أو أنها «تفسيريةٌ»، يذكرُ على نحوٍ غريبٍ في حاشيةٍ قراءةً أخرى[٧٦] لهذه الآيةِ في مصحفِ ابنِ مسعودٍ، حسبَ روايةِ المغيرةِ: «وامرأتُه قائمةٌ وهو جالسٌ». وهذه الحاشيةُ عبارةٌ مفاجئةٌ تثيرُ مسألةً خلافيّةً أخرى. فكيفَ يمكنُ أن توجدَ قراءاتٌ مخالفةٌ في المصحفِ نفسِهِ؟ إذْ من المتوقعِ أن تكونَ هنالك قراءةٌ واحدةٌ فقط للآيةِ نفسِها في مصحفِه الخاصِّ؟ فمن يمكنُ أن يزعمَ أن هنالك قراءةً أخرى، ولأيِّ سببٍ؟

من المعروفِ أنّ محمدًا اختارَ ابنَ مسعودٍ ليكونَ واحدًا بين أربعةِ ثُقاةٍ لحمايةِ النصِّ القرآنيِّ وتعزيزِه[٧٧]. لكن الخليفةَ الثالثَ، عثمانَ بنَ عفّانَ، لم يستدعه ليكونَ في اللجنةِ التي كوّنَها لجمعِ القرآنِ وتوحيدِه (حوالي ٣٠ هـ . أو ٦٥٠م)، وهو إقصاءٌ تركَ في نفسِه مرارةً عميقةً.[٧٨] وبعدَ اكتمالِ مَهَمّةِ جمعِ القرآنِ، سعى عثمانُ إلى القضاءِ على المصاحفِ الأخرى كلِها ليجعلَ نسختَه المجمّعةَ المصحفَ الرسميَّ الوحيدَ.[٧٩] فاعترضَ ابنُ مسعودٍ بقوةٍ على القضاءِ على المصاحفِ الأخرى كلِها، ولم يقبلْ مصحفَ عثمانَ قطُّ[٨٠]. بل إنه طلبَ من مؤيديهِ أن يقاوموا هذا المصحفَ وأن يُخفوا قرائينَهم.[٨١]

أليس معقولًا، في ضوءِ هذا التاريخِ، أن الذين أرادوا أن يحموا سُلطةَ القرآنِ «الرسميِّ» (مصحف عثمان) وأصالتَهُ أرادوا أيضًا أن يقلّلوا من شأنِ قراءاتِ ابنِ مسعودٍ أو يطعنوا فيها؟ إذْ يمكنُ لمنتقدي ابنِ مسعودٍ بقيامِهم بالحطّ منه ومن قراءتِه، بغضِّ النظرِ عن نوعيتِها، أن يدعموا زعمَهم بأن القرآنَ قرآنٌ واحدٌ من دونِ اختلافاتٍ؟

---

٧٥. انظر التعليق على آية سورة (القمر ٥٤: ٧): ﴿ٱلْأَجْدَاثِ﴾ في المجلد الثالث من هذا الكتاب.

٧٦. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٩٨، انظر الهامش ٤.

٧٧. القرطبي، تفسير ١: ٩٥.

٧٨. انظر السجستاني، كتاب المصاحف ١٨٩، ١٩١ على سبيل المثال.

٧٩. نولدكه، تاريخ القرآن ٢٨٠.

٨٠. السجستاني، كتاب المصاحف ١٨٦-١٩١.

٨١. نولدكه، تاريخ القرآن ٢٨٠، ٣٣٩. للاطلاع على مزيدٍ من النقاش، انظر المقالَ المعنونَ «جمع القرآن»، في المجلد الأول من هذا الكتاب.

www.christianlib.com

وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ (٧٢) قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ
رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ (٧٣) فَلَمَّا
ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ
إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ (٧٥) يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ
رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ (٧٦) وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ
بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ (٧٧) وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ
إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ
لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ (٧٨) قَالُواْ
لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوۡ أَنَّ
لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ (٨٠) قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن

١١: ٧٣

- القراءة الشائعة ﴿رَحۡمَتُ﴾.
- وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وغيرهم: «رحمه» بالوقف على الهاء[٨٢].
- وقرأها نافع وابن عامر وعاصم وحمزة: «رحمتْ» بتسكين التاء[٨٣].

اختلافات هذه القراءات ناتجة عن رسم التاء في آخر الكلمة[٨٤].

٨٢. الخطيب، معجم القراءات ٤: ١٠٦.
٨٣. نفس المصدر.
٨٤. تطرقنا لهذا الموضوع سابقًا. انظر التعليق على (يونس ١٠: ٣٣)، صفحة ٥٧.

www.christianlib.com

يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا
ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ
بِقَرِيبٖ ٨١ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ
مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣

١١: ٨١

- القراءة الشائعة ‹أَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ›
- قرأ ابن مسعود: «فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا امْرَأَتَكَ»، دون عبارة ‹وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ›[٨٥].
- قرأ ابن كثير وبعض القرّاء: «أَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُكَ» بالرفع، ثم أنكر أبو عبيدة هذه القراءة[٨٦].

ونوضح فيما يلي الفرق بين هذه القراءات بحسب إعراب كل منها:

- في القراءة الشائعة: كلمة ‹امْرَأَتَكَ› بالنصب تفيد أن الاستثناء متصل، أي: خروج لوط وأهله باستثناء امرأته.
- أما قراءة ابن مسعود: والتي جاءت بدون عبارة «ولا يلتفت منكم أحدٌ»، فتفيد خروج لوط وأهله باستثناء امرأته.
- وأخيرا، قراءة ابن كثير: كلمة امرأتك بالرفع، تفيد أن الاستثناء منفصل، أي أنها الوحيدة التي تلفتت.

---

٨٥. الخطيب، معجم القراءات ٤: ١١٧. انظر عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ١٢٧.
٨٦. الخطيب، معجم القراءات ٤: ١١٧.

www.christianlib.com

من الجدير بالذكر أن عبارة «ولايلتفت منكم أحدٌ» قد وردت في آية أخرى من القرآن: ‹فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ› (الحجر ١٥: ٦٥)، وكذلك قرأ ابن مسعود هذه الآية بالتوكيد «وَلَا يَلْتَفِتَنَ مِنْكُمْ أحدٌ»[٨٧]. الا أن الأمر بعدم التفات لوط وأهله لم يرد في موضعين آخرين من القرآن تناولا نفس الحادثة (الشعراء ٢٦: ١٧٠-١٧١، والصافات ٣٧: ١٣٤-١٣٥) وقد استثنت امرأة لوط في هذين الموضعين لا من الخروج أو الالتفات فحسب، بل من النجاة من الهلاك.

هذه القصة وردت في التوراة بتفاصيل أوضح[٨٨]؛ حيث أمر الملاكان لوطًا في العدد ١٥ قائِلَين: «قُمْ خُذِ امْرَأَتَكَ وَابْنَتَيْكَ الْمَوْجُودَتَيْنِ لِئَلاَّ تَهْلَكَ بِإِثْمِ الْمَدِينَةِ»، أما فيما يخص الالتفات أو النظر للوراء فقد ورد لاحقًا بعد خروجهم من المدينة، كما جاء في العدد ١٧: «وَكَانَ لَمَّا أَخْرَجَاهُمْ إِلَى خَارِجٍ أَنَّهُ قَالَ: «اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ. **لاَ تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ**، وَلاَ تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ. اهْرُبْ إِلَى الْجَبَلِ لِئَلاَّ تَهْلَكَ»». ومن السياق يبدو جليًا أن الأمر بعدم الالتفات، جاء بعد خروجهم، وكان أمرًا للجميع بما فيهم امرأته، ولم يكن هناك استثناء سواءً من الخروج أو النجاة لأي منهم، إلا أن امرأة لوط هي التي اختارت الالتفات. ولكن النص القرآني بمواضعه الأربعة، وكذلك بقراءاته المختلفة جعلت من هذه المرأة هدفًا للاستثناء سواء من الخروج أو من النجاة، وليس هذا فحسب، بل تمادى النص القرآني في وصفها بالقول ‹إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ› (الشعراء ٢٦: ١٧١، والصافات ٣٧: ١٣٥).

ونحن نتسائل: لماذا هذا التحامل على المرأة؟ ولماذا لم يعطها النص القرآني الحق في النجاة كباقي اسرتها؟

١١: ٨٣

كان يجب أن تكون «بعيدة»، لكنها جاءت بصيغة المذكر مراعاةً للفاصلة: منضودٍ ـ ببعيدٍ.

٨٧. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٥٧٣.
٨٨. سفر التكوين ١٩: ١-٢٦.

www.christianlib.com

۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ
وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ
تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ
لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى
وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ
أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ
نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟
رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا
مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا
بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ
ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى
عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟
إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ
بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

www.christianlib.com

مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٩٦ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ
وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ
ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ٩٩
ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ١٠٠ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ
وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ

١١: ٨٦

- قراءة الجماعة: ‹بَقِيَّتُ اللهِ › بالباء[٨٩].
- وقرأ ابن عباس: «تَقِيَّتُ اللهِ» بالتاء[٩٠].

وهناك فرق واضح بين معنى القراءتين:

- معنى قراءة الجماعة: ذكر ابن كثير مجموعة من الأقوال لتفسير: «بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ»، مثل: رزق الله، وصية الله، وطاعة الله، وغيرها من التفاسير[٩١].
- وأما المراد من قراءة ابن عباس: «تقواه سبحانه»[٩٢].

بما أن المصاحف الأولى لم تكن منقطة[٩٣]، فبالتالي يبدو أن القراء قد ذهبوا في قراءاتهم لنفس الكلمة، كل حسب ما رآه مناسبًا لقراءتها، فهناك من قرأها بالباء وهناك من قرأها بالتاء.

٨٩. الخطيب، معجم القراءات ٤: ١٢٠.
٩٠. نفس المصدر.
٩١. ابن كثير، تفسير ٧: ٤٦٠-٤٦١.
٩٢. الخطيب، معجم القراءات ٤: ١٢٠.
٩٣. الداني، المحكم ١٨.

www.christianlib.com

ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ
رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ
مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا
بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ
وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ
رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا
دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ
فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا
لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ
فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ
مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾
فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾
وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ
أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ
ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا
يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ
يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ

www.christianlib.com

ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ
وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا
يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ
رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ

١١: ١٠٥

تقول الآيةُ بأنه لا يُسمح لأحدٍ بالكلام يومَ القيامةِ إلاَّ بإذْنِ الله؛ وفي مكان ثانٍ نقرأ بأن ‹كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا› (النحل ١٦: ١١١)؛ وفي مكان ثالث نجد أنه لا يُسمح لأحد بالحديث: ‹هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ› (المرسلات ٧٧: ٣٥ - ٣٦).

والسؤال: (١) هل يُجادل كل شخصٍ عن نفسِه؟ (٢) أم يُسمحُ له بالحديثِ بإذْنِ الله؟ (٣) أم يُمنع البتةَ عن الكلام؟

١١: ١١٨-١١٩

يقول النص إن مشيئة الله اقتضت جعل الناس مختلفين (الآية ١١٨). والمفهوم من سياق الآية أنه «اختلاف في الأديانِ»، وهذا قول أكثرية الشرّاح. وفي قول آخر نقرأ أن الناس منقسمين إلى طبقتين، «فهذا فقير، وهذا غني»[٩٤]. ثم تضيف الآية القول بأن ثمة صنفين من الناس: الصنف الأول: الذين رَحِمهم الله، والثاني: الذين لم يرحمهم. وقد جاءت صياغة الآية القرآنية توكيدية،

٩٤. الطبري، تفسير ١٢: ٦٣٢-٦٣٦، القرطبي، تفسير ١١: ٢٣٥.

www.christianlib.com

مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ
وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ
إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

لاسيما مع استخدام اللام وضمير المتكلم والتوكيد في ‹لَأَمْلَأَنَّ› مما يدل على النية أن الله سيملأ ‹جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ› (الآية ١١٩).

يجعل النصُّ اللهَ قاسيًا وطاغيًا، فضلاً عن أن النص يجعل الله غير محب للبشر. والسؤال: هل هذه الصورة القرآنية تنسجم مع حقيقة الله؟

١١: ١٢١-١٢٢

يدعو هذا النص ـ من خلال مخاطبة محمدٍ ـ إلى عدم التحرش بالذين لا يدينون بالإسلام، والاكتفاء بإنذارهم. لكن هذه القاعدة نُسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٩٥]. وقال آخرون إن النص تهديد ووعيد، وعليه فلا نسخ فيه[٩٦]، لأن التهديد هو خطوة أولى، ويمكن الانتقال للسيف في إقناع الناس لاعتناق الإسلام.

٩٥. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٦، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤١، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٥.
٩٦. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٦.

www.christianlib.com

١١: ١٢٣

مع أن الخطاب في الآية ورد بصيغة المفرد ‹فاعبده...توكّل›، إلا أنها انتهت بصيغة الجمع ‹تعملون›، مما خلق لبسًا بشأن هوية المخاطَب. وقد نتج ذلك جراء مراعاة إيقاع الآيات السابقة: عَامِلُونَ ـ مُنتَظِرُونَ ـ تَعْمَلُونَ، فضحّت الآية بوضوح المعنى لحساب الايقاع الشعري للنص.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

السورة مخصصة لقصة يوسف، وهي السورة الوحيدة التي تتسم بوحدة الموضوع في القرآن. ولم تُذكر القصة في سور أخرى، على أن الاسم (يوسف) ذُكر مرتين في سورتي (الأنعام ٦: ٨٤؛ وغافر ٤٠: ٣٤).

وصفت السورة حكاية يوسف بأنها ‹أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ› (آية ٣)؛ وقد اختلف المفسرون فيما إذا كان هذا الوصف خاصاً بقصة يوسف، أم أنه يشمل جميع قصص القرآن.

مضمون القصة القرآنية يشير إلى عدم إلمام الذين أخذ منهم القرآن بالتراث التوراتي المتعلق بيوسف، وهذا ما سنتطرق إليه في سياق التعليق على آيات هذه السورة.

لقصة يوسف إشكالية خاصة بها، إذ أن فريقًا من المسلمين رفض الاعتراف بها كنصٍ قرآني، وفي هذا الصدد، قالت العجاردة والميمونية (من فرق الخوارج). إن سورة يوسف ليست من القرآن (مقالات الإسلاميين ١: ١٦٦). صحيحٌ أن مذهب الخوارج مرفوض من جانب السنة والشيعة، ولكن ليس بالوسع التشكيك في متانة إيمانهم، بل على العكس من ذلك، معروف عنهم تعصبهم للإسلام. وبالتالي، فإن رفض بعض فرق الخوارج للسورة، يجب أن يُنظر إليه بعين الاعتبار والدراسة.

تعود السورةُ إلى الحقبة المكية الأخيرة، أي قبيل الهجرة بفترة قصيرة. وثمة من قال إن الآيات (١ ـ ٣) مدنية، ولكن هذا القول لا يستند إلى أساس واضح، ولهذا رفضه السيوطي. ويؤيد نولدكه هذا الرفض (نولدكه ١٣٧، قارن ابن عاشور ١٢: ١٩٧).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢
نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن
كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا
تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ

١٢: ١

ليوسف في القرآن شأن كبير. وتعرض السورة الثانية عشرة قصته، وتصفها بأنها أحسن القصص، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (يوسف ١٢: ٣). لكن الرواية القرآنية عن يوسف لا تطابق تاريخه الوارد في التوراة، وتحديداً في سفر التكوين[١]؛ بينما يكشف تحليل القصة أن الرواية القرآنية تستقي تفاصيلها من الأدب الحبري، حيث يشغل يوسف مكاناً بارزاً في الأجادا[٢]، كما أنه كان بطلاً في الكثير من القصص المدراشية. ونورد (في صفحة ١٠٩) اقتباساً يضم بعض المقارنات بين النص القرآني والتراث التلمودي[٣].

١٢: ٢

تعلن الآية على لسان الله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُون﴾. ويلفت النظر في القرآن تكرار دعوى عربية لغته، وقوة بيانه. والقارئ لأمثال هذه الآيات يتساءل ما دامت قريش تجيد العربية، فلماذا التأكيد على المؤكد؟

١. سفر التكوين، الإصحاحات: ٣٠، ٣٣، ٣٥، ٣٧، ٣٩-٥٠.

2. Aggadah.

3. Suggested Readings: McAuliffe, *Encyclopaedia of the Qur'an*, art. "Joseph"; G. Weil, *The Bible, the Koran, and the Talmud; or, Biblical Legends of the Mussulmans*.

www.christianlib.com

تقاطعات مع القصص التلمودي

- **الآية ٦**: يعقوب يعرف مستقبل ابنه وهو صبي ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيث﴾:...**والتوراة** لا تذكر ذلك. وقد ورد [ذلك] في القصص التلمودي....
- **الآية ١٨**: يعقوب يشك في صدق أولاده ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾؛ **والتوراة** لا تذكر ذلك. وقد ورد مثيله في القصص التلمودي (كتاب سفريم ٢١).
- **الآية ٢١**: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾: قاله الذي [اشترى يوسف] ليتبنّاه كما تبنّى قبله أسينات لأنه كان عقيماً، ورد مثل هذا في القصص التلمودي...لا في التوراة التي توحي بأنه اتخذه عبداً.
- **الآية ٢٣**: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾: له مثيل في (مدراش ربا على التكوين ٨٧: ٥٠).
- **الآية ٢٤**: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾. قيل ظهرت له صورة أبيه لتمنعه عن الفحشاء. هذه المعجزة لا ذكر لها في **التوراة**. **والتوراة** تنص على تمنّع يوسف الدائم. والقصص القرآني له مثيل في القصص التلمودي. جاء في (مدراش أبحير): ﴿أراه اللهُ صورةَ أبيه وللحال انطفأت شهوته﴾.
- **الآية ٢٦**: ﴿قَالَ: هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾...لا تذكر **التوراة** الحادث ولا الشهادة، وقد وردا في القصص التلمودي.
- **الآيات ٣٠ ـ ٣٢**: [قصة المصريات اللواتي وبّخن] امرأة العزيز (بليخة أو زليخة) وتقطيع أيديهنّ في الوليمة لا تذكرها **التوراة**، وترد مطوّلاً في القصص التلمودي.

(أطوار الدعوة القرآنية، يوسف درة الحداد، ص ٤٩٥ ـ ٤٩٦ - الهامش)

ولكن هذه الدعوى هي عرضة للنقد لأن القرآن يحتوي على مفردات أجنبية كثيرة؛ ولهذا لم يجد السيوطي بداً في كتابه المرجعي، الإتقان في علوم القرآن، من الإشارة إلى هذه الحقيقة، وقد أورد حوالي مئة لفظة في نصوص القرآن ليست عربية بل مستمدة من لغات مختلفة: الفارسية، الهندية، الحبشية، السريانية، العبرية[٤].

في الأزمنة الحديثة، وفرّ علمُ اللغات المقارن الأدوات البحثية لإجراء الأبحاث على القرآن، فكشفت هذه الدراسات عن وجود كم كبير من المفردات الأجنبية في القرآن، إذ يوجد فيه

٤. انظر «الكلمات الأعجمية في القرآن بحسب السيوطي»، في المجلد الثالث من هذا الكتاب.

www.christianlib.com

مُّبِينٌ (٥) وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ
نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ
لِّلسَّآئِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ
أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٨) ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ
أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ (٩) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟
يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ (١٠)
قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا
غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ

السِّريَانِيّة، والعبرية، واليونانية، والحَبَشِيَّة والفَارِسِيّة. وفيما يلي أمثلة[5] على مفردات قرآنية ذات أصل أجنبي، بعضها سبب حيرة كبيرة للمفسرين:

السريانية وتفرعاتها

أبٌّ: ‹وَفَاكِهَةً وَأَبّاً› (عبس ٨٠: ٣١).

الطور: ‹ورفعنا فوقهم الطور› (النساء ٤: ١٥٤).

تثير المفردات غير العربية التي وردت عند السيوطي التساؤل: لماذا اقتبس الله كلمات أجنبية لها مرادف في اللغة العربية مثل ‹الطور› بمعنى «الجبل»، في متن كتابه العربي؟ إن معجزة القرآن كما يراها المسلمون تكمن في بيانه اللغوي العربي، فهل كان الله عاجزاً عن تقديم نصاً عربياً صرفاً؟

5. From: Jeffery, *The Foreign Vocabulary of the Qu'ran*.

www.christianlib.com

١٢: ١٠

- القراءة الشائعة للقرآن ‹غَيَابَتِ›.
- وقرأ ابن مسعود وآخرون: «غَيَابَة» وهي كذلك في مصحفه[٦] بالتاء المربوطة[٧].
- وقرأ نافع وأبو جعفر: «غَيَابَاتِ» بالجمع[٨].

جاءت الكلمة ‹غيابت› في رسم المصحف بتاء مفتوحة، وجاءت في مصحف ابن مسعود بتاء مربوطة[٩]. أما في مايخص القراءة بالجمع فذلك راجع إلى رسم المصحف العثماني والمصاحف الأولى التي نادراً ما تظهر فيها الألف في وسط الكلمة مما أربك القراء في القراءة بالمدّ أو عدمه وبالتالي بالجمع أو بالإفراد.

ونتساءل: كيف يمكن القول بوحدة النص القرآني في ظل هذه القراءات المختلفة؟

١٢: ١٢

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ›.
- وقرأ ابن أبي عبلة: «يَرْعَى وَيَلْعَبُ»[١٠].
- وقرأ مقاتل بن حيان: «نَلْهُو وَنَلْعَبْ»[١١].

باختلاف القراءات يختلف المعنى والمدلول، مما يدل على أن لكل قارئ تصوراً شخصياً يختلف عن سائر القرّاء؛ كل باختلاف استيعابه للنص، وليس وفقاً لوحي معين:

- فالقراءة الشائعة: ‹يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ›، أي يوسف، والرَّتْعُ: «الأَكل والشرب رَغَدًا في الرِّيف»[١٢].
- بينما تدل القراءة الثانية: «يَرْعَى وَيَلْعَبُ» على أن يوسف يرعى الغنم ويلعب.
- في حين أن القراءة الثالثة: «نَلْهُو وَنَلْعَبْ» تشير إلى يوسف وإخوته حيث يلهون ويلعبون.

---

٦. الخطيب، معجم القراءات ٤: ١٨٦.
٧. انظر التعليق على الفرق بين التاء المربوطة والتاء المفتوحة (المبسوطة)، (هود ١١:٨٦)، صفحة ١٠١.
٨. الخطيب، معجم القراءات ٤: ١٨٦، عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ١٥٠.
٩. انظر التعليق على هذه الإشكالية في (يونس ١٠: ٣٣)، صفحة ٥٧.
١٠. الخطيب، معجم القراءات ٤: ١٩٨.
١١. ابن منظور، لسان العرب ١٥٧٧.
١٢. ابن منظور، لسان العرب ١٥٧٧.

www.christianlib.com

وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ

يرتع بمعنى يأكل ويشرب، فليس لهذا الغرض طلب إخوة يوسف من أبيهم محاولين إقناعه بذهاب يوسف معهم، حيث يمكنه الأكل والشرب في البيت. أما بالنسبة للرعي، فهذا غير ممكن لصغر سنه، ولو كان في سن يسمح له بالرعي لأرسله أبوه مع إخوته دون الحاجة للإقناع. لهذا، فاللهو واللعب هو الاكثر ترجيحًا لصغر سن يوسف.

١٢: ١٥

جواب جملة ‹فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ› محذوف. وحسب القرطبي إن جواب «لمـَّا» هو أحد الاحتمالات التالية:[١٣]

- ‹وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ› في نفس الآية.
- ‹قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ› (يوسف ١٢: ١٧).
- إن الجواب مقدر، تقديره: «فلما ذهبوا به من عند أبيهم، وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب [جعلوه فيها]».

تقتضي قواعد اللغة أن يُحذفَ الجوابُ إذا كان ظاهراً أو مفهوماً للقارئ، أما وقد احتار المفسرون في موقع الجواب، فبالأحرى القارئ العادي! مما يشير إلى حقيقة افتقار القرآن إلى لغة البيان.

---

١٣. القرطبي، تفسير ١١: ٢٧٧.

www.christianlib.com

١٢: ١٦

- قراءة الجماعة: ‹عِشَاءً›[١٤]، أي أول الظلام من الليل[١٥].
- قرأها الحسن، والمطوعي، والأعمش، وغيرهم: «عُشَاءً»، من العشوة، وهي الظلمة[١٦].
- وقراءة الحسن: «عُشًا»، على وزن دُجىً، جمع عاشٍ[١٧]، أي «أكل العشاء»[١٨].

من الملفت توقف بعض المفسرين، كالقرطبي على سبيل المثال، عند كلمةٍ مفهومةٍ للجميع، مثل «عِشاءً»، في محاولة منهم لتبرير وجودها في سياق الآية. حيث يقول القرطبي في تفسيره لكلمة عِشاءً: «أَيْ: لَيْلاً ...لِيَكُونُوا أَقْدَر عَلَى الإعْتِذَار فِي الظُّلْمَة»[١٩]. ويبدو ما ذهب إليه القرطبي مقبولًا إذا تعلق الأمر بفقدان متاع يمكن تعويضه، أما أن يكون السياق مرتبطًا بفقدان يعقوب لفلذة كبده، فهذه مصيبة لا يقلل من هولها توقيت إعلانها، حيث لايتصور أن يتمكن أي أب أن يتمالك نفسه من وقع كارثة كهذه، فيقبل الاعتذار فقط لحلول الظلام!

جاءت القراءة الأخيرة بدون تهميز متماشية مع رسم المصحف العثماني ‹عسا›، الذي لم يكن مُنقطاً ولا مُشكلاً ولا مَهموزاً. وبالرجوع إلى سياق الآية يتبين أن إخوة يوسف أرادوا خداع أبيهم، وبمجرد تنقيط الحرف الأول فقط من الكلمة تصبح «غشًا»، التي تتناسب تمامًا مع السياق. فتصبح الآية «وَجَاءُوا أَبَاهُمْ غِشًا يَبْكُونَ»، لأن إخوة يوسف غشّوا أباهم بقولهم إن يوسف أكله الذئب. وعليه، تصبح الآية أكثر بلاغةً، وأوضح معنىً وأقرب إلى السياق وإلى شخصية إخوة يوسف مِن ‹وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ›[٢٠].

وهي القراءة التي توصل إليها كريستوف لوكسنبورج، وهي أكثر إقناعًا واتساقاً من تفسير القرطبي.

١٤. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٢٠٤.
١٥. ابن منظور، لسان العرب ٢٩٦٢.
١٦. نفس المصدر، وانظر ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن ٦٧، وزاد المسير ٤: ١٩١.
١٧. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٢٨٨، وانظر عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ١٥٦.
١٨. ابن منظور، لسان العرب ٢٩٦٢.
١٩. القرطبي، تفسير ١١: ٢٨٠، انظر أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٢٨٨.
20. Luxenberg, *The Syro-Aramaic Reading of the Koran* 310-311.

www.christianlib.com

مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو
عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ
وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ
دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩
وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠ وَقَالَ ٱلَّذِي
ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ
وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ
وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي
هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ
إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ
بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ
ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ
وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ
بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٥ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ
وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ
مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ

www.christianlib.com

١٢:٢٥

أ. ‹قَدَّت›

- قراءة الجماعة: ‹قَدَّتْ›[٢١]. وقد ذكر أبو حيان أن القدّ هو «القطع، والشق، وأكثر استعماله فيما كان طولاً»[٢٢].
- وقرأها الحسن «قَطَّتْ»[٢٣]. وقال أبو حيان إن «...القطُ يستعمل فيما كان عَرْضًا»[٢٤].
- وقرأها الحسن كذلك «عُطَّتْ»[٢٥]. والعطُّ: أي الشقّ طولًا. وقيل «العطّ: شقّ الثوب وغيره، عرضًا أو طولاً، من غير بَيْنُونَةٍ»[٢٦].

ب. ‹وَأَلْفَيَا›

- قراءة الجماعة: ‹وَأَلْفَيَا›[٢٧].
- وقرأ عبد الله بن مسعود: «وَوَجَدا»[٢٨].

ليس هناك فرق في المعنى بين الكلمتين: ‹وَأَلْفَيَا› و«وَوَجَدا». إلا أن لفظة «وَجَدَ» هي أكثرُ شيوعاً من ‹أَلْفَى›. هذا مع الاختلاف الكامل في التكوين الصوتي، ونطق الكلمتين. كما نلاحظ في هذه القراءة أن هاتين الكلمتين مترادفتان، وليس كباقي القراءات التي تختلف في التشكيل أو التنقيط أو التهميز فقط.

وهنا نتساءل: هل وجد ابن مسعود أن قراءة ‹أَلْفَيَا› غير مفهومة في ذلك العصر، فاستبدلها بقراءة «وجدا»؟ أم أنه قرأ بما سمعه من محمد فلم يجرؤ على القراءة بغيره؟ أم أن بعض القراء لم يلتزموا بحرفية القرآن؟ لاسيما أن محمدًا أمر المسلمين أن يأخذوا القرآن من أربعة؛ وعلى رأسهم عبدالله بن مسعود[٢٩].

---

٢١. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٢٢٩.
٢٢. نفس المصدر ٤: ٢٢٩.
٢٣. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ١٦٣.
٢٤. نفس المصدر.
٢٥. نفس المصدر.
٢٦. ابن منظور، لسان العرب ٢٩٩٥.
٢٧. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٢٣٠.
٢٨. نفس المصدر ٤: ٢٣١.
٢٩. القرطبي، تفسير ١: ٩٥. ويكنى بابن أم عبد.

www.christianlib.com

١٢: ٢٥-٢٩

يتابع النص سرد قصة يوسف، فيذكر أنه لما تحرّشت زليخة، امرأة العزيز، بيوسفَ، حاول الإفلات والخروج، فأمسكته من قميصه وجذبته، فتمزق القميص. وصودف في تلك اللحظة دخول الزوج (فُوطِيفَار)، فقالت المرأةُ له: ‹مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ›. وفيما نفى يوسف التهمة عنه، ‹شَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا› قائلاً للزوج: إذا كان التمزق من الأمام، فإن يوسف كاذب، وإن كان من الخلف، فهو صادق. ولما عاين الزوج حال القميص، عرف أن يوسف صادقٌ، فقال لزوجته: ‹اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ!›.

ولدينا بخصوص هذا التفصيل القرآني بعض الأسئلة:

- اكتشف الزوج كذب زوجته، فكيف أبقاها ويوسف في بيت واحدٍ؟
- كيف تمكنت زليخة من معاودة تحرشها بيوسف بعد أن افتضح أمرها؟
- يبدو من القصة أن زوج زليخة تقيٌّ، لأنه طلب من زوجته الاستغفارَ على اتهامها ليوسف، فكيف يأخذه إلى السجن ظلماً فيما بعد ؟

إن الرواية القرآنية لم تكتفِ فقط بأن تقتبس القصة الحبرية بل وحرّفتها أيضاً، إذْ نقرأ في الأدب الحبري أن الشاهد هو ابن زليخة، ذو الأحد عشر شهراً من العمر. وكان يوسف والزوجان ماثلين أمام عدد من الكهنة للحكم في القضية، فأعلن الصبي براءة يوسف. لكن فُوطِيفَارَ قرر سجن يوسف، حمايةً لزوجته من الفضيحة الاجتماعية. ويضيف مدراش أبكير، أن زليخة طلبت من صديقاتها أن يشهدن بأن يوسف تهجّم عليهنّ أيضاً[٣٠].

٣٠. الحداد، أطوار الدعوة ٤٩٥-٤٩٦.

www.christianlib.com

ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ
كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ
كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ
فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا
سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ
وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ
وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾

١٢: ٣١

- قراءة الجمهور: ‹وقلن حاشَ للهِ›[٣١].
- وقُرِئَ عن الحسن: «وقلن حَاشَ الإِلَه»[٣٢].

قراءة الجمهور تفيد أن النسوة لما رأوا يوسف قلن‹حاشَ لله› وكأنهن يؤمن بإله يوسف، والتاريخ يخبرنا أن المصريين كانوا يؤمنون بآلهة وثنية ولا يعرفون الله، إله يوسف، فبالتالي تكون قراءة الحسن هي الأرجح لأنها تفيد أن النسوة يخاطبن الإله الذي يعرفونه بحسب ثقافتهن الوثنية.

١٢: ٣٠-٣٢

نقرأ في النص عن النساء اللواتي سخِرن من زليخة بسبب عشقها ليوسف، وعن قرار زليخة تقديم مبررات افتتانها بيوسف، من خلال دعوتها النسوة اللاتي شاركن في التهكم عليها،

٣١. الخطيب، معجم القراءات٤: ٢٤٣.
٣٢. القرطبي، تفسير١١: ٣٣٥، أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٣٠٣.

www.christianlib.com

قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ

للانبهار بفتنة يوسف. وقد نتج عن هذا الترتيب أن قطعت النسوة أيديهنّ دون انتباه، لشدة الوله. ولما أدركن ما فعلن بأنفسهن، عذرن المرأة. ومعنى قطع اليد لم يكن مجازياً، إذ جاء في التفاسير:

- طريقة القطع: «حزّاً حزّاً بالسكّين»[٣٣].
- قطعن أيديهن «بالمُدَى، حتى بلغت السكاكين إلى العظم»[٣٤].

إن تفصيل الوليمة مأخوذ من الأدب الحبري[٣٥]. ولا يعنينا هنا المصدر الأصلي لهذا المشهد، ولا زيفه؛ لكننا نتساءل: كيف غفل المسلمون عن طرح التساؤلات التالية:

- ما هو مبلغ جمال يوسف حتى تقطع النساء أيديهن دون أن تدركن؟ وإذا قبلنا بحدوث هذا، فهل كُنَّ بعد ذلك في وضعٍ يسمح لهنَّ بمتابعة الحديث والإقرار لزوجة العزيز بأنها على حق في افتتانها؟
- كيف تتجرأ امرأة من سيدات المجتمع المصري آنذاك، على إشهار حبها لواحد من مستخدَمي زوجها أمام هذا العدد من النساء؟
- كيف صادف أنَّ كل امرأة في الوليمة كانت تمسك بسكين لدى دخول يوسف؟
- كيف اتفقت كل النساء على رد الفعل نفسه، أي قطع أيديهن؟ وهل كل النساء قطعن أيديهن؟
- ثم، ماذا حدث بعد ذلك؟ أذهبن كلهن مقطعات الأيدي إلى أزواجهن، أم إلى الأطباء للعلاج؟

٣٣. الطبري، تفسير ١٣: ١٣٣-١٣٤.

٣٤. القرطبي، تفسير ١١: ٣٣٢.

٣٥. انظر «تقاطعات مع القصص التلمودي»، صفحة ١٠٩.

www.christianlib.com

إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ
كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ
لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ

١٢: ٣٥

- قراءة الجماعة: ‹حَتَّى حِينٍ›[٣٦].
- وقرأ ابن مسعود «عَتَّى حِينٍ» بالعين[٣٧].

ما يلفت الإنتباه هو أن ابن مسعود قرأ «عتَّى حِينٍ» أينما وجدت في القرآن: (يوسف١٢: ٣٥ [٣٨]، والمؤمنون ٢٣: ٢٥[٣٩]، ٥٤[٤٠]، والصافات٣٧: ١٧٤[٤١]، ١٧٨[٤٢]، وأخيراً الذاريات ٥١: ٤٣[٤٣]). وظل ابن مسعود على قراءاته هذه حتى أن عمر بن الخطاب طلب منه أن يقرأ بقراءة الجماعة. ويفيد بعض المفسرين أن قراءة ابن مسعود هي بلغة هذيل، وقراءة الجماعة بلغة قريش، فقد ذكر ابن عطية الأندلسي الحديث التالي: «...فكتب عمر إلى ابن مسعود: إن الله أنزل القرآن عربيًا بلغة قريش، فبها أقرئ الناس، ولا تقرئهم بلغة هذيل...» [٤٤]. إلا أننا نستغرب كيف يطلب عمر هذا الطلب في

٣٦. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٢٥٦.
٣٧. نفس المصدر.
٣٨. نفس المصدر.
٣٩. نفس المصدر ٦: ١٦٥.
٤٠. نفس المصدر ٦: ١٨٤.
٤١. نفس المصدر ٨: ٦٨.
٤٢. نفس المصدر ٨: ٧٠.
٤٣. نفس المصدر ٩: ١٣٧.
٤٤. ابن عطية، المحرر الوجيز ٣: ٢٤٣، انظر ابن جني، المحتسب ١: ٣٤٣. بما أن ابن مسعود من هذيل (ابن عبد البر، الاستيعاب ٩٨٧، وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٥٢٣)، فلربما ظن عمر أن قراءة ابن مسعود منها وليست من «لغة قريش».

www.christianlib.com

أَرَىٰنِىٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِى خُبۡزٗا تَأۡكُلُ
ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا
طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى
رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧

الوقت الذي تخبرنا بعض المصادر الإسلامية أن محمدًا أمر أتباعه بأخذ القرآن عن أربعة، أولهم عبد الله بن مسعود، حيث جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه قال: «سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خذوا القرآن من أربعة: من ابن أمِّ عبد [ابن مسعود]. فبدأ به. ومعاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة»»[٤٥].

١٢: ٣٦

أ. ‹خَمۡرٗا›

- قرأ الجمهور ‹أعصر خَمۡراً›[٤٦].
- وقرأ أُبيّ بن كعب وابن مسعود «أعصر عِنباً»[٤٧].

من الأرجح أن قراءة أُبي وابن مسعود هي الأقرب إلى الصواب، لوضوحها وتحديد المقصود منها ألا وهو العنب. وخاصة أن ما يؤيد هذا المعنى، كون القصة الأصلية في التوراة تتحدث عن العنب، حيث جاء في نص الآية: «وكانت كأس فرعون في يدي، **فأخذت العنب وعصرته** في كأس فرعون، وأعطيت الكأس في يد فرعون»[٤٨]

---

٤٥. القرطبي، تفسير ١: ٩٥.
٤٦. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٢٥٨.
٤٧. نفس المصدر.
٤٨. تكوين ٤٠: ١١. التشديد مضاف.

www.christianlib.com

الخمر بين التحريم والتحليل

عندما يأتي ذكر الخمر، يتبادر إلى الذهن عصير العنب المخمر لإجماع المذاهب الأربعة على تحريمه، وبهذا المعنى قال ابن عباس: «حرمت الخمر بعينها القليل منها والكثير، والسكر من كل شراب»[١].

أما عن تحريم عصير العنب، فقد جاء في مجموعة فتاوى ابن تيمية: «أن الله عز وجل حرم عصير العنب النيء إذا غلا واشتد وقذف بالزبد؛ لما فيه من الشدة المطربة التي تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتوقيع العداوة والبغضاء. وكل ما كانت فيه هذه الشدة المطربة فهو خمر من أي مادة كان: من الحبوب؛ والثمار، وغير ذلك. وسواء كان نيئاً أو مطبوخاً»[٢]، وهذه الفتوى على المذهب الحنبلي. أما مذهب أبي حنيفة النعمان فقد حرم عصير العنب كباقي المذاهب الأخرى، إلا أنه لم ير تحريمًا في شرب ما سوى العنب (وقيل كذلك التمر)، أما باقي الأشربة من عصير الشعير والحبوب والتفاح وغيره، فليس محرمًا حتى حد السكر، حيث جاء في شرح معاني الآثار أن عصير العنب إذاحدث فيه صفات الخمر، أي بدأ يتخمر، فقليله وكثيره حرام. أما باقي الأشربة فشربه ليس محرمًا، إلا إذا بلغ مرحلة السكر[٣].

١. القرطبي ١٢: ٣٦٠.
٢. مجموعة فتاوى ابن تيمية ٣٤: ١٩٧ مجمع الملك فهد: المدينة المنورة، ٢٠٠٤ م عدد المجلدات ٣٧
٣. شرح معاني الآثار لأحمد بن محمد بن اسماعيل الطحاوي الحنفي ٤: ٢١٤-٢١٥، عالم الكتب.

وإذا قيل أن الخمر هو العنب بلغة عُمان، كما نقل الخطيب عن أحد الآراء[٤٩]، فما دخل لغة عُمان بنص القرآن؟ علمًا بأنها لم تكن قد دخلت في الإسلام عندئذ، لأن سورة يوسف مكية.

ومن جهة أخرى، فإذا قبلنا بقراءة الجمهور ‹أعصر خَمْراً›، فهناك إشكاليتان: الأولى، كيف يعصر ما هو معصور؛ ثانيًا، وهو الأهم، لا يُعرف مِمَ عُصر هذا الخمر: من التفاح، أم العنب، أم ماذا؟

ب. ‹خُبْزًا›

- قراءة الجماعة: ‹فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً›[٥٠].
- وجاء في مصحف ابن مسعود: «فَوْقَ رَأْسِي ثَرِيداً»[٥١].

٤٩. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٢٥٨.
٥٠. نفس المصدر ٤: ٢٥٩.
٥١. نفس المصدر.

www.christianlib.com

وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ
مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَشْكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ
ٱلْقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ
ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٤٠ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ
أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ
قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ٤١ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى
عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ٤٢ وَقَالَ
ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ
خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ٤٣
قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا
مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا
ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ
خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ٤٦ قَالَ تَزْرَعُونَ
سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ٤٧
ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا

www.christianlib.com

هناك فرق بين الخبز والثريد. فالثريد ما ثُرِدَ من الخبز، أي يُبلُّ الخبز بماء القدر وغيره[٥٢]. وقد كان العرب يفضلون الثريد على سائر الطعام، حيث جاء في تفسير القرطبي: «وأما الثريد فهو أزكى الطعام وأكثره بركة، وهو طعام العرب»[٥٣]، فهل قراءة ابن مسعود تأثرت بالذوق العام السائد في ذلك العصر[٥٤]؟ لقد أمر محمد المسلمين أن يأخذوا القرآن من بضعة أفراد، بينهم ابن مسعود الذي خدم محمداً وسمع القرآن منه شخصياً[٥٥].

ونتساءل: هل واقع الأمر هو أن قراءة الآية في مصحف ابن مسعود هي ما سمعه من فمِ محمد؟ وهل تغيرت بعد ذلك في المصحف العثماني عندما أدركت لجنة عثمان أن الثريد لم يكن من الأطعمة المعروفة للمصريين في زمن يوسف؟

١٢:٤٥

- قراءة الجماعة: ‹أُنَبِّئُكُمْ› أي أخبركم[٥٦].
- وقرأ الحسن: «...أُجِبْكُمْ بِتَأْوِيلِهِ»[٥٧].
- وقرأ أُبيّ بن كعب وآخرون: «آتِيكُمْ»[٥٨] مضارع أتى، من الإتيان.

اخبرنا ابن الخطيب في كتابه الفرقان أن الحجاج بن يوسف الثقفي قد غير (حرف) المصحف. من «أَنَا آتِيكُمْ بِتَأْوِيلِهِ» فغيرها إلى «أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ»[٥٩]. وقد أكد هذا الطرح السجستاني في كتاب المصاحف[٦٠]. وكلمة ‹أنبئكم› لا توافق سياق القصة، حيث إن أحداث القصة تدل على أن من نجا من السجينين اللذين كانا مع يوسف هو الذي دلَّ فرعون عن الشخص الذي باستطاعته تفسير حلمه، والمعنى أنه سيأتي بشخص آخر هو يوسف القادر على تأويل هذا الحلم. والظاهر أن حرف الجر «إلى» قد سقط من النص الأصلي بحيث يكون الكلام: «فأرسلونِ إلى يوسف».

---

٥٢. ابن منظور، لسان العرب ٤٧٦.
٥٣. القرطبي، تفسير ٢: ٣٦٦.
٥٤. في القرن السابع الميلادي.
٥٥. انظر «جمع القرآن»، المجلد الأول من هذا الكتاب.
٥٦. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٢٧٤.
٥٧. نفس المصدر ٤: ٢٧٥، وعمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ١٧٣.
٥٨. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ١٧٣.
٥٩. ابن الخطيب، كتاب الفرقان ٥٠.
٦٠. انظر السجستاني، كتاب المصاحف ٤٦٣.

www.christianlib.com

تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾
وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا
بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا
خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن
سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ
وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي

ختام القول: إذا كان هناك من المسلمين مَنْ يقول إن الحجاج قد غير القرآن، فلماذا لا يقوم علماء الإسلام بدراسة جدية للنص القرآني على أسس علمية بعيدًا عن التعصب والفوقية؟ ومن ثم يقومون بتنقيح ما ثبت تغييره، معلنين أن مَنْ قاموا بجمع القرآن وتدوينه ليسوا ملائكة، ولا أنبياء، بل هم بشر مثلنا قابلون لارتكاب الأخطاء، وهذا ليس بعيب، بدلاً من أن يَدَّعوا أن هذا النص غير قابل للتغيير، صابغين على من كتبه صبغة العصمة والقداسة، تاركين للأجيال القادمة عبء هذه المبادرة التي هي قادمة لا محالة.

٤٩:١٢

- القراءة الشائعة: ‹يَعْصِرُونَ›، أي يعصرون الأعناب.
- وقرأ ابن عباس وآخرون: «تَعْصِرُونَ»[٦١].
- وقرأ جعفر بن محمد والأعرج وعيسى البصرة: «يُعْصَرُونَ»[٦٢].
- وعن عيسى أيضًا: «تُعْصَرُونَ»[٦٣].

---

٦١. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٢٨٠.
٦٢. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٣١٥.
٦٣. نفس المصدر.

www.christianlib.com

جاءت القراءة الشائعة للقرآن ‹يَعْصِرُونَ› بياء الغيبة، بمعنى أن الله هو الذي يخبر بهذا الأمر. أما في قراءة ابن عباس بتاء الخطاب «تَعْصِرُونَ»، بمعنى أن نبي الله يوسف هو المتكلم، مخاطبًا فرعون وأهله. أما قراءة من قرأ بـ«يُعْصَرُونَ» أو «تُعْصَرُونَ» بمعنى يُضَيَّقُ عليهم، فكان عليهم أن يعيدوا تنقيط كلمة ‹يعاب› في رسم المصحف بما يناسب القراءة الخاصة بهم، فنرى أننا أمام أحد احتمالين لتنقيط هذه الآية:

- ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ **يُغَاثُ** النَّاسُ وَفِيهِ **تَعْصِرُونَ (يَعْصِرُونَ)**
- ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ **يُعَابُ** النَّاسُ وَفِيهِ **تُعْصَرُونَ (يُعْصَرُونَ)**

وبموجب القراءة الأخيرة يصبح المعنى أن السنة الثامنة هي سنة شديدة القحط، ونحن نستبعد هذا الطرح، ونرجح قراءة ابن عباس لتوافقها مع صيغة الآيات السابقة ‹تزرعون... تأكلون...تحصنون...›.

والملاحظ أن القراءات اختلفت معانيها باختلاف التنقيط والتشكيل، مما يدل على أن القراء لم يكونوا متأكدين من القراءة الصحيحة للنص القرآني الخالي من التنقيط والتشكيل[٦٤]، فقرأ كل قارئ بحسب استحسانه ورؤيته أو مفهومه الشخصي لسياق النص.

١٢:٥٢

ثمة غموض في هوية المتكلم وفقاً للآية، وقد طرح المفسرون الرأيين التاليين[٦٥] :

أ. إن المتكلم بالنص هو يوسف.

ب. إن المتكلمة هنا هي امرأة العزيز.

وهنا نتساءل:

- إذا كان يوسف هو المتكلم، فلماذا لا نجد ضميراً يشير إليه بشكل جلي؟
- وكيف تم الانتقال من الحديث عن النسوة واعترافاتهن إلى الحديث عن يوسف؟
- وإذا كانت المرأة هي المتكلمة، فكيف تقول ‹لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ›؟

---

٦٤. الداني، المحكم ١٨.

٦٥. القرطبي، تفسير ١١: ٣٧٥، الرازي، تفسير ١٨: ١٥٧-١٥٨.

www.christianlib.com

كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا
كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ
إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ
يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ
خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ
وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ
أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ
فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ
﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ
أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ
فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا
كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾
وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ
بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ
يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ
أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ
يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي
عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ

www.christianlib.com

ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ
ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ
أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم
بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ
لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا
لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ
﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا
لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ
مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ
مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا
مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا
مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ
كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ
مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ

www.christianlib.com

وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي
كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ
أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ
مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ
حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ

- وإذا قال البعض إن المعنى: «أني لم أخنه (بالغيب) أي: بالكذب عليه، ولم أذكره بسوءٍ وهو غائب»[٦٦]، فهل يمكن أن نقبل صدور هذا الكلام عمن حاولت إغواء يوسف؟

إن في الآية انقطاعاً يشير إلى نقص ما في النص، مما خلق لَبساً في معرفة هوية المتكلم هنا.

١٢:٨٣

قال يعقوب لأبنائه الذين عادوا يطلبونه: ‹عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً› (آية ٨٣). تشير لفظة ‹بِهِمْ› إلى جماعة، فمن كان يقصد الأب؟

حسب البيضاوي[٦٧] كان يعقوب يقصد يوسف وبنيامين وأخيهما الذي بقي بمصر، ويقول القرطبي[٦٨]: «يوسف وأخوه، والمتخلِّف من أجلِ أخيهِ».

تقول القصة التوراتية الأصلية: إن إخوة يوسف العشرة جاءوا إلى مصرَ ليشتروا قمحاً، فعرفهم يوسف، لكنه لم يكشف عن نفسه، بل قرر أن يختبرهم، فاتّهمهم بالتجسس. فقالوا:

---

٦٦. القرطبي، تفسير ١١: ٣٧٥، الرازي، تفسير ١٨: ١٥٨.
٦٧. الحنفي، حاشية محي الدين شيخ زاده ٥: ٦٧-٦٨.
٦٨. القرطبي، تفسير ١١: ٤٢٩.

www.christianlib.com

وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ
وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى
ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ
﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِىۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ
إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ
ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ

«عبيدك اثنا عشر أخًا. نحن بنو رجل واحد في أرض كنعان. وهوذا الصغير عند أبينا اليوم»[٦٩]، فأخذ يوسف شمعون وقيَّده رهينة حتى يُحضِروا الأخ الأصغر، ليبرهنوا على أنهم ليسوا بجواسيس (هذا تفصيل أغفله القرآن). ولما رجعوا إلى أبيهم، أخذوا بنيامين وجاءوا به إلى مصر. ثم إن يوسف قد رتب خطة تنتهي باتهام بنيامين بالسرقة، ولكن إخوته دافعوا عنه، حينها كشف يوسف عن نفسه، وأرسلهم ليحضروا أباهم. فعادوا مع أبيهم إلى مصر حيث استقرّوا[٧٠].

ولكن القرآن يقول إن يوسف حبس بنيامين[٧١]. ولهذا فإن أحد الإخوة قرر البقاء (يوسف ١٢: ٨٠) في مصر. وقد اختُلف فيمن هو: بعضهم قال إنه شمعون، وآخرون قالوا رُوبيل[٧٢]، وقيل، بل هو يهوذا[٧٣]. وبحسب القرآن، فإن إخوة يوسف رجعوا لأبيهم بدونهما (بنيامين والأخ الماكث في مصرَ). إذًا، لماذا ابتعدت الرواية القرآنية عن تفاصيل النسخة الأصلية من القصة الموجودة في التوراة؟

٦٩. سفر التكوين ٤٢: ١٣.
٧٠. نفس المصدر، الإصحاحات ٤٢-٤٦.
٧١. الطبري، تفسير ١٣: ٢٧٩.
٧٢. نفس المصدر ١٣: ٢٨٣.
٧٣. البغوي، تفسير ٤: ٢٦٥.

www.christianlib.com

يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ
وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ
أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي
ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ
قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا
ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ
مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ
يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ
أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي
وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞رَبِّ قَدۡ
ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ

١٢: ٩٣

لا نجد في الآية ما يكشف كيف أن هذا القميص سيعيد بصر يعقوب إليه. وقد تقدم الأدب الإسلامي بمحاولة تفسير، فقال إن هذا القميص كان في الأصل قميص إبراهيم الذي أرسل من السماء من الجنة، وقد انتقل إلى إسحق ثم إلى يعقوب. وكان يعقوب قد «أدرج ذلك القميصَ في قَصَبة من فضَّة، وعلّقه في عُنُقِ يوسف، لما كان يخافُ عليه مِن العين...فيه ريحَ الجنة، وإن ريحَ الجنَّة لا يقع على سقيم ولا مُبتلًى إلا عُوفيَ»[٧٤].

٧٤. القرطبي، تفسير ١١: ٤٤٦، الرازي، تفسير ١٨: ٢١٢.

www.christianlib.com

ونلاحظ أن الآية لم تذكر سر القميص. وما تقدم به الأدب التفسيري من شرحٍ، دفعنا لطرح جملة تساؤلات:

- كيف حُفِظَ القميص من الضياع رغم كل المحن التي مرَّ بها يوسف، ولم يُصادَر منه في السجن؟
- لا شك بأن إخوة يوسف كانوا يعرفون قيمة القميص. فلماذا لم ينزعه إخوة يوسف عنه قبل إلقائه في الجب؟
- وهل هذا القميص هو غير القميص الذي نزعه إخوة يوسف عنه، وغمسوه بدم الجدي للكذب على أبيهم؟
- إذا كان لهذا القميص هذه القوة الشفائية، فلماذا لم نسمع بأي استخدام آخر له على مدار السنوات؟

١٢:٩٩

- قراءة الجماعة: ‹آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ›[٧٥].
- والآية في مصحف ابن مسعود: «‹آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَإِخْوَتِهِ› بزيادة ‹إِخْوَتِهِ› على قراءة الجماعة»[٧٦].

إذا كان الخطاب موجه للأبوين فقط كما ذكر في قراءة الجماعة، فلماذا لم يتحدث إليهما القرآن بصيغة المثنى «ادخلا مصر»؟ أما وجود عبارة ‹ادخلوا مصر› بالجمع في نفس الآية فيرجح قراءة ابن مسعود كونها توافق السياق تماماً.

ونتساءل: هل سقط تعبير «وإخوته» من مصحف عثمان؟ أم أن لجنة زيد بن ثابت لم تنتبه لسياق الآية؟

١٢:١٠١

‹رَبِّ...تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ› وردت هذه العبارة على لسان يوسف، حيث يسأل اللهَ الموتَ. وقال المفسرون إن يوسف تمنّى الوفاة، وإنه لم يتمنَّ أحدٌ من الأنبياء الموتَ قبله[٧٧]، ولهذا، رأى المفسرون أنها منسوخة بالنهي الوارد في قول محمد: «لا يَتَمَنَّنَّ أحدُكُم الموتَ لِضُرٍّ نزل

---

٧٥. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٣٤١.
٧٦. نفس المصدر ٤: ٣٤١، وانظر كذلك عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ١٩٢.
٧٧. الطبري، تفسير ١٣: ٣٦٥.

www.christianlib.com

أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ
١٠٢ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ
إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ
عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦
أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا
يَشۡعُرُونَ ١٠٧ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ
وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا
نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩
حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن
نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ
لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ
وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١

به»[٧٨]. ونلاحظ أن القائلين بالنسخ إنما ذهبوا إلى أن القرآن (كلام الله حسب إيمانهم) منسوخٌ بحديثٍ لمحمد (أي بكلام بشر).

فئة أخرى من العلماء قالت إن يوسف سألَ اللهَ أن يجعل وفاته على دين الإسلام، ومن ثم، فليس ثمة نسخ[٧٩]. وقد أغفل أصحاب هذا القول الفارق الزمني بين يوسف[٨٠] وعصر الإسلام[٨١].

٧٨. مكي، الإيضاح ٣٢٧.

٧٩. نفس المصدر ٣٢٧-٣٢٨، والنحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٤٧٤-٤٧٧.

٨٠. حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد.

٨١. القرن السادس الميلادي.

www.christianlib.com

١٢: ١٠٦

تقول الآية: ‹وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ›. فكيف يؤمنون بالله وهم مشركون؟ كيف يؤمن إنسان ولا يؤمن في نفس الوقت؟

حاول صاحب «غرائب آي التنزيل»[٨٢] حل الإشكال، فقال إن الآية ربما تعني:

- أنهم يؤمنون بالله، لكن يعبدون الأصنام.
- أنهم منافقون: يؤمنون بألسنتهم ويشركون بقلوبهم.
- إن المراد تلبية العرب، كانوا يقولون: «لبيكَ لا شريكَ لك إلا شريكًا هو لك تَملِكُه وما مَلك»[٨٣]، فكانوا يؤمنون بأول تلبيتهم بنفي الشريك، ويشركون بآخرها بإثباته!

وتؤكد محاولة تقديم مؤلِّف «غرائب آي التنزيل» للاحتمالات الثلاثة لحل الإشكال، هذا التشويش الناتج عن هذه الآية.

٨٢. الرازي، غرائب آي التنزيل ٢٢٧.

٨٣. قارن: القرطبي، تفسير ١١: ٤٦٧.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

سُميّت السورة بالرّعد نظرًا لورود هذه الكلمة فيها (آية ١٣) (ابن عاشور ١٣: ٧٥). ومفردة «الرعد» لم ترد في القرآن إلا مرتين: في هذه السورة، وفي سورة البقرة (آية ١٩). وتنقسم آراء العلماءِ المسلمين بشأن تاريخ السورة إلى ثلاثة أقوال:

- إنها مكية.
- إنها مدنية.
- إنها مكية ولكنها تحتوي على آيات مدنية (ابن عاشور ١٣: ٧٥).

تشير بنية السورةِ والمواضيعُ المتناوَلة فيها إلى مكية الجزءِ الأكبر منها؛ ففي السورة محاجة عن وجود الخالق (الآيات ٢ ـ ٣، ٨ ـ ١٧)، والغاية من هذه الحجج هي تأكيد دعوى محمد النبوة، وأصالةِ القرآن (الآيات ٣٠ ـ ٣٢، ٣٦ ـ ٣٨، ٤٣). كما أن في السورة تبريرًا لعدم إتيانِ محمدٍ بالمعجزات (انظر التعليقين على الآيات ٧ ـ ٩ و ٢٧).

وتشير بعض الآيات إلى سياقٍ مدني:

- **الآيتان ١٢ ـ ١٣**: تشيران، كما تقول التفاسيرُ، إلى شخصين خططا لقتل محمد في السنة التاسعة أو العاشرة للهجرة، فأصابهما سهمُ الموت. لكن نولدكه يتحفظ على السبب، ويقول إنه ربما كان النص عاما، وفسّر بحسب الرغبة الذاتية لكل مفسر (نولدكه ١٤٦ ـ ١٤٧).
- **الآية ٣٠**: قالت المصادر إنها تشير إلى هدنة الحديبية (٦ هجرية) (نولدكه ١٤٧، ابن عاشور ١٣: ٧٦).
- **الآية ٤١**: لغة الآية مدنية (ابن عاشور ١٣: ٧٦)، وهذا أمر رجحه «وِيري» (Wherry II: 396).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ
ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ
يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢ وَهُوَ ٱلَّذِي
مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا
زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣
وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ
وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ

١٣:٢

تشبّه الآيةُ السمواتِ بسقفٍ، وتقول إن الله رفع السمواتِ بغير عَمَدٍ. وهذا ما أكده المفسرون في شروحهم لمعنى ‹بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا›، إذ قالوا:

أ. إن الله رفع السموات بعَمَدٍ، ولكن الناس لا ترى العمد[١]؛

ب. أو إنها مرفوعة بغير عَمَدٍ[٢].

١. الطبري، تفسير ١٣: ٤٠٨-٤١٠، القرطبي، تفسير ١٢: ٦.
٢. الطبري، تفسير ١٣: ٤١٠-٤١١، القرطبي، تفسير ١٢: ٦.

www.christianlib.com

اتفق أصحاب الرأيين على أن الآية تقول إن السماء سقف للأرض. وهذا وَصْفٌ قائمٌ على قياس العين المجردة التي تصورت السماءَ كسقف فوق الأرض، خلافاً للحقيقة العلمية. وسوف يأتي التعليق عليها في (سورة الملك ٦٧: ٣)، في المجلد الثالث من هذا الكتاب.

٣:١٣

تقول التفاسير إن عبارة ‹جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ› تعني: «جعل في الأرض جبالاً ثابتةً. والرّواسي جمعُ راسيةٍ، وهي الثابتةُ، يقالُ منه: أرسيتُ الوَتِدَ في الأرضِ. إذا أثبتّه»[٣]. ونقرأ في تفسير القرطبي: «‹وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ› أي: جبالاً ثوابتَ، واحدُها راسية، لأنَّ الأرضَ ترسو بها، أي تثبتُ، والإرساء الثُّبوت»[٤]. ويَعرض ابن كثير نظريةً تبناها الشارحون المسلمون عن خَلق العالم، تقول[٥]:

> خلق [اللهُ] الأرض على حوتٍ، والحوتُ هو (النون) الذي ذكره الله في القرآن ‹ن والقلم›، والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة[٦]، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض، فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت **الأرض فأرسى عليها الجبال فقرّت**، فالجبال تفخر على الأرض.

إذاً، وِفقُ مَنطوقِ الآية، وشَرحِ علماءِ الإسلام، فإن الجبال تُثبّت الأرضَ، وبدونها فإن الأرض ستضطرب وتميد بالناس. ويبدو أن هذه الفكرةَ كانت متداولةً في عصر محمد، لأنها وردت في ديوان أمية بن أبي الصّلت الذي قال:

إلـهُ العالمين وكلِّ أرضٍ   وربُّ الراسياتِ من الجبالِ[٧]

إذاً، نحن أمام تصورٍ كان معروفاً لعرب ذلك الزمان. وقد تكرر في القرآن؛ لأن معرفة محمد كانت مُستَمدةً من بيئته. وهذا يدحض ادّعاء المَصدر العُلوي للقرآن، لأنه لو كان من مصدرٍ عُلويٍ لكان قد جاء بما يتناسب مع الحقيقة، لا بما يتناسب مع الشائع في البيئة آنذاك.

---

٣. الطبري، تفسير ١٣: ٤١٣-٤١٤.
٤. القرطبي، تفسير ١٢: ٨.
٥. ابن كثير، تفسير ١: ٣٣٣-٣٣٤. التشديد لنا.
٦. الصَّفاةُ هو الحجر الصَّلْدُ الضُخْمُ.
٧. ابن أبي الصلت، ديوان ١٠٠.

www.christianlib.com

فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤ ۞وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا
تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ
فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ
بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ
لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٦ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧ ٱللَّهُ
يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ
بِمِقۡدَارٍ ٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ
أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠
لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ

٦:١٣

لدينا بشأنها قولان:

القول الأول: **إنها منسوخة**

الذين أوّلوا «الظلم»، بمعنى «الشرك»، قالوا إن الآية منسوخة بمبدأ: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِه﴾ (النساء ٤: ٤٨ و١١٦)[٨].

القول الثاني: **إنها محكمة**

أما الذين قالوا إن الظلم المذكور بالآية هو مبدأ الظلم بوجه عام، ولا يقتصر على «الشرك»؛ فلم يروا بين الآيتين علاقة نسخ[٩].

٨. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٢، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٧.
٩. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٧.

www.christianlib.com

١٣: ٧-١٠

طلب قرشيون من محمد الإتيان بمعجزة برهاناً على صحة دعوى النبوة (آية ٧)، فكان رده أن ‹اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى› وما يتعلق بـ ‹الأَرْحَامُ› (الآية ٨)، ويتابع النص ليصف الله بأنه عالم الغيب (الآيات ٩ ـ ١٠).

النص ردّ على مطالبة قريش بمعجزة تبرهن على صحة رسالة محمد بوصف ما هو الله؛ وهنا، لا يوجد رابط بين السؤال عن معجزة والبرهان المقدم من محمد الذي قال إن الله يعلم الغيب؛ لأن كون الله عالماً بالغيب لا يعني أن محمداً مُرسَلٌ منه.

١٣: ١١

أ. ‹مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ›

- قراءة الجماعة: ‹له معقبات مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ›[١٠].
- قرأ أُبيّ بن كعب: «... مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَرَقِيبٌ مِنْ خَلْفِهِ»[١١].
- وقرأ ابن عباس: «... مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَرقباءُ مِنْ خَلْفِهِ»[١٢].
- وقرأ أبو حاتم: «... من خلفه وَرقيبٌ مِنْ بين يديهِ»[١٣].

فدور المُعَقَّبَات (أو «الملائكة» بحسب معظم المفسرين) غير واضح في هذه الآية لهذا أضاف أُبيّ وأبو حاتم كلمة «رَقِيب»، وابن عباس كلمة «رُقَبَاء» في قراءاتهم، لتفسير الدور المنوط بالمُعَقَّبَات. مما يدل على أن تدوين القرآن كان متأثراً بقناعة الكاتب الأدبية وليس بإلزام نص رباني. ويقول أبو حيان الأندلسي: «وينبغي حمل هذه القراءات على التفسير، لا أنها قرآن، لمخالفتها سواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون»[١٤]، أي أن كل ما يخالف مصحف عثمان ليس قرآناً. هذا من جهة، ولكن من جهة أخرى، فإن ما جاءت به الأبحاث الجديدة في مخطوطة صنعاء تظهر أن

---

١٠. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٣٩٤.
١١. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٣٦٤.
١٢. نفس المصدر.
١٣. نفس المصدر.
١٤. نفس المصدر.

ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ
ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾
وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ
فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعۡوَةُ

ما جاء فيها يخالف مصحف عثمان، وكمثال على ذلك[١٥] (التوبة ٩: ٨٠): «**ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي**» بدلاً من ‹إن الله لا يهدي›:

الاختلافات بين المخطوطات القديمة للقرآن ومصحف عثمان مثال (التوبة ٩: ٨٠)	
القراءة الشائعة للقرآن	**مخطوطة صنعـــاء***
اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ	اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً لا يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إن الله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

* E. Puin, Teil III, see Folio 16r.

ونتساءل: الادعاء بأن المصاحف التي تخالف مصحف عثمان، كمصحف ابن مسعود وأُبي وعلي بن أبي طالب وغيرها من المصاحف، هي ليست بقرآن، فماذا يمكن تسميتها إذاً؟ وماذا نوصف مخطوطات القرآن، كمخطوطة صنعاء، حينما تخالف تماماً معنى ورسم القراءة الشائعة للقرآن؟

١٥. وتوجد أمثلة أخرى كثيرة.

www.christianlib.com

ب. ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾

- قراءة الجماعة: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾[١٦].
- قرأ علي بن أبي طالب وابن عباس وآخرون: «يحفظونه بأمر الله»[١٧].
- وتوجد قراءة لابن عباس أيضًا: «من أمر الله يحفظونه»[١٨] بتقديم وتأخير الفعل.
- وتوجد قراءة أخرى: «يحفظونه لأمر الله»[١٩].

في هذه القراءات يختلف المعنى باختلاف حرف الجر؛ فـ «من» تفيد الجنس والنوع هاهنا، و«الباء» تفيد الإلصاق المجازي، أما «اللام» فتفيد السببية والتعليل، وربما تفيد الاختصاص، أما القراءة الثالثة ففيها تقديم وتأخير. ومن هنا فإن هذه الاختلافات تشكك في صحة القول بوحدانية النص القرآني.

١٣:١٣

قرأ الحسن «الصَّوَاقِع»[٢٠]، بإبدال ترتيب آخر حرفين، وهو مايسمى في اللغة «القلب المكاني»[٢١]. انظر (البقرة ٢:١٩)، المجلد الأول من هذا الكتاب.

١٣:١٣

أ. تقول الآية إن الرّعدَ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللهِ؛ وتُشرح عبارة: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ كالآتي: «ويُعَظِّمُ اللهَ الرعدُ ويُمَجِّدُه، فيُثْني عليه بصفاتِه، ويُنَزِّهُه»[٢٢].

ونقرأ أيضاً: «الرّعدُ مَلكٌ يَسوق السَّحابَ...وإنه مُوَكَّلٌ بالسَّحاب يصرفُه حيثُ يؤمرُ، وإنه يسبِّح اللهَ، فإذا سبَّح الرّعدُ لم يبقَ مَلَكٌ في السّماء إلا رفع صوتَه بالتّسبيح، فعندها ينزل القَطْر [المطر]»[٢٣].

---

١٦. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٣٩٥.
١٧. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٣٦٤.
١٨. القرطبي، تفسير ١٢: ٣١.
١٩. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٣٩٥.
٢٠. نفس المصدر ٤: ٣٩٨.

21. Metathesis.

٢٢. الطبري، تفسير ١٣: ٤٧٨.
٢٣. القرطبي، تفسير ١٢: ٣٤-٣٥.

www.christianlib.com

ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ
إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤ وَلِلَّهِ
يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩
١٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا
يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ
تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ
عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ
فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي
ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ
فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ
يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ
لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ
سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨ ۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ
إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ٱلَّذِينَ
يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ
أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ
وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ
بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن
صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ

www.christianlib.com

وخلفية القصة أن بعض اليهود سألوا محمداً عن الرّعد، فقال لهم: «ملَك من الملائكة موكّل بالسّحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السّحاب حيث شاء اللهُ»[٢٤]. وحينما سُئِل محمدٌ عن الصوت الذي يُسمع، أجاب: «زجره السّحاب فإذا شذت سحابة ضمّها وإذا اشتدّ غضبه طارت من فِيه نارٌ هي الصاعقة»[٢٥]. وفي مكان آخر يقول: «إن الله ينشىء السّحاب فينطقه أحسن النطق ويضحكه أحسن الضحك ننطقه الرّعد وضحكه البرق»[٢٦].

ويبدو أن محمداً لم يكن يدرك المقصود من سؤال اليهود عن الرّعد، فأجابهم بأن الرّعدَ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللهِ؛ في حين أن اليهود كانوا يريدون، على ما يظهر، اختبار معرفة محمد، إذْ كان لديهم تصورٌ بأن الرّعد يرافق الظهورات الإلهية. فعندما ضرب البَرَدُ أرض مصر، فإن الربَّ أعطى «رُعُوداً وَبَرَداً»[٢٧]. وحينما أُعطيت الشريعةُ للإسرائيليين، كان ثمة رعودٌ وبرُوقٌ وسُحُبٌ[٢٨]. وأُستُعمل الرعدُ مجازاً للإشارة إلى قوة الرب[٢٩].

يتبيّن من جواب محمد عدم إلمامه الكافي بالخلفية التوراتية لسؤال هؤلاء اليهود، بحيث جاءت الإجابة بعيدة عن هدف السؤال. ومن جانب آخر، كان جواب محمد بعيداً أيضاً عن حقائق العلم، لأنه من الثابت أن الرعد والبرق ينتجان عن عملية تصادم شحنات كهربائية موجبة وسالبة في طبقات الجو، ويصدر عن هذا التصادم ضوء هو البرق، وصوت هو الرعد.

ب. تصف الآيةُ اللهَ بأنه ‹شَدِيدُ الْمِحَالِ›. ولهذه العبارة معانٍ مختلفةٌ أوردتها التفاسير، كما يلي: شديد العدواة، شديد الحَوْل، شديد الأخذ، شديد الحقد، شديد القوة، شديد الغضب، شديد الهلاك بالمَحْل [القحط]، شديد الحيلة، شديد النقمة[٣٠].

وفي نفس السورة تكرر وصفُ الله بالمكر: ‹وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ›[٣١].

ونسأل: هل وَصْفُ الله بالحقد والغضب والنقمة والمكر، إلخ... لائقٌ بحق الذات الإلهية؟

---

٢٤. الحنفي، حاشية محيي الدين شيخ زاده ٥: ١٠٦.
٢٥. نفس المصدر.
٢٦. نفس المصدر.
٢٧. سفر الخروج ٩: ٢٣.
٢٨. نفس المصدر ١٩: ١٦.
٢٩. سفر أيوب ٢٦: ١٤.
٣٠. القرطبي، تفسير ١٢: ٣٩-٤١، الطبري، تفسير ١٣: ٤٨٤.
٣١. الرعد ١٣: ٤٢. قارن: التعليق على عبارة ‹خَيْرُ الْمَاكِرِينَ›، آل عمران ٣: ٥٤، المجلد الأول من هذا الكتاب.

www.christianlib.com

بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ
عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ
فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن
يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦
وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن
يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ٢٧ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا
بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ
وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ
عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ
ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ
يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ

٢٧:١٣

طلب أهل مكة من محمد معجزات ملموسة، ووفقاً لمصادر التفسير، فإنهم سألوه أن يَظهر برفقة ملاكٍ أو أن يُخرج لهم كنزاً[٣٢].

لكن ماذا كان رد محمد على طلبهم؟ أجابهم: ‹إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ›.

ونسأل: هل يتناسب جواب محمد مع طلب المكيين؟ وهل هذا الجواب هو المعجزةُ المنشودة من جانب السائلين؟

---

٣٢. الطبري، تفسير ١٣: ٥١٧.

www.christianlib.com

١٣: ٣١

- القراءة الشائعة: ‹أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ›.
- قراءة الجماعة: ‹أفلم يَيْئَس›[٣٣].
- وقرأ علي بن أبي طالب، وابن عباس وعكرمة، وعاصم الجحدري، وابن مسعود، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وابن كثير، وابن عامر، وآخرون: «أفلم يَتبيَّن»[٣٤].

فسر معظم المفسرين ‹ييأس› بمعنى يعلم، بإدعاء أنها كذلك في «لغة النخع»[٣٥]، إلا أن الكسائي قد رد على هذا التأويل بقوله: «ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت البتة»[٣٦].

وقد روى الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه كان يقرأها «أفلم يتبين»، ويقول ابن عباس: «كتب الكاتب الأخرى وهو ناعسٌ»[٣٧]، وأكد ابن جريج قراءة ابن عباس قائلًا: إن هذه القراءة جاءت عن عدة قرّاء منهم علي ابن أبي طالب وابن عباس وغيرهم[٣٨]. وقد دار حول قول ابن عباس مايلي:

- من الواضح أن ابن عباس كان متأكدًا من تغيير الكلمة وواثقًا من نفسه حتى اتّهم الكاتب بالنعاس. وما يُثيرالانتباه أن ابن مسعود وعددًا كبيرًا من القرّاء أيَّدوا قراءة ابن عباس: يَتبيَّن من بَيَّنْتُ[٣٩]. وتوضح هذه القصة أنه قبل كتابة مصحف الإمام (مصحف عثمان) كانت العبارة هكذا: ‹ىىس› وبالتالي يمكن قراءتها كما يلي:
- على الرغم من أن «يتبين» هي الكلمة الأنسب للسياق في هذه الآية، لكن بالرجوع إلى رسم هذه الكلمة في المصحف وأيضًا في المخطوطات القديمة[٤٠]، نجد أن كلمة ‹يَاْيْـَٔسِ›، وبغض النظر عن موضع الألف، لايمكن قرائتها «ييأس» لأن الهمزة ليس لها كرسي، وبالتالي يبدو أن الكاتب كتبها «يأنس» بدلاً من الكلمة الأصلية: «يتبين».

---

٣٣. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٤٢٢.
٣٤. نفس المصدر.
٣٥. قارن الرازي، تفسير ١٩: ٥٤، والزمخشري، الكشاف ٣: ٣٥٣. أو لغة قوم من النخع.
٣٦. الرازي، تفسير ١٩: ٥٥.
٣٧. الطبري، تفسير ١٣: ٥٣٧.
٣٨. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٤٢٦.
٣٩. نفس المصدر ٤: ٤٢٢.
40. MS. Arabe 328a, folio 51a, and MS. Or. 2165, 29a.

www.christianlib.com

قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ
٣١ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ
فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٣٢ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ
شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ
بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا
لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤ ۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۚ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ
ٱلنَّارُ ٣٥ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ
مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ
وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ٣٦ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ
مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ٣٧ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا
مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ
ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ٣٨ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩
وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ
وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ٤٠ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ
يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤١ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ

www.christianlib.com

لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

والسؤال هنا: ما المقصود في الآية؟ هل هو «أَفَلَمْ يَتبيَّن» التي توضح حال المؤمن المسلم في الرجاء بهداية الناس جميعاً لدين الإسلام، أو ‹أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ› التي تدل على اليأس من الهداية؟

١٣: ٣٣

تخبرنا الآية هنا أن من أضلّه الله عن الهداية، فلا يمكن لأحدٍ أن يهديه. وتدفع هذه الآية لطرح سؤال عن عدالة الله، في حال كونه هو الذي يضل الناس[٤١].

١٣: ٣٩

راجع التعليق على (البقرة ٢: ١٠٦)، المجلد الأول من هذا الكتاب.

١٣: ٤٠

تطلب هذه الآية من محمد أن يقوم بمهمة الدعوة، وأن يترك مسألة الحساب لله، ولكن هذا المضمون نُسخ بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٤٢].

النص تكرار شبه حرفي لما ورد في (يونس ١٠: ٤٦)[٤٣].

١٣: ٤٣

يخبر محمد القرشيين بأن لديه شهيداً هو ‹مَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ›، ويعود هذا الكلام إلى الفترة التي كان فيها محمد يدّعي أن دعوته تنضوي تحت ظل ‹مَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ›[٤٤].

٤١. انظر التحليل النقدي لـ (يونس ١٠: ١٠٠)، صفحة ٧٢. قارن: التعليق على (آل عمران ٣: ١٤)، المجلد الأول من هذا الكتاب.
٤٢. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٨، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٢، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٧.
٤٣. راجع تفصيل نسخ آية (يونس ١٠: ٤٦)، صفحة ٥٩.
٤٤. انظر «القرآن يشهد على صحة الكتاب المقدس»، في المجلد الأول من هذا الكتاب، التعليق على (آل عمران ٣: ٣-٤).

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــــة

تحتوي السورة على قصة إبراهيم. لكن إطلاق اسمه عليها لا يرجع لهذا السبب؛ فذكره لم يكن محصوراً في هذه السورة، إذ تناولت سورة البقرة وسورة آل عمران سيرته باستفاضة، وبدرجة أقل ذكرته سورة الأنعام، كما أُشير إليه في سور أخرى؛ وبالإجمال ورد اسمه أكثر من ستين مرة في القرآن.

وليس لدينا في المصادر الإسلامية ما يشرح سبب إطلاق اسم إبراهيم على هذه السورة بالتحديد، ولعل السبب يرجع لورود اسمه في أكثر آيات السورة مقارنةً بالشخصيات الأخرى الواردة فيها.

لا خلاف بين العلماء على مكية السورة، وإن كان بعضهم يرى أن الآيتين (٢٨ و٢٩) مدنيتان تتعلقان بمعركة بدر، وهو أمر يرفضه نولدكه (ص ١٣٦)، وابن عاشور في تفسيره (ابن عاشور ١٣: ١٧٧).

الموضوع المحوري في السورة يتركز على مجادلات قريش والدفاع عن محمد. واقترن ذلك بتحذير قريش من رفض دعوة محمد (١ - ٤). كما وردت في السورة آيات تدافع عن محمد ضد من رفض نبوته لأنه بشر، إذ تقول إن الله يختار بشراً لتبليغ النبوة (٤ و١١).

تعود السورة إلى الفترة المكية الأخيرة، في ذروة الجدل مع قريش. وهي، إذْ تذكر موسى (٥ ـ ١٠)، ونوحا وَعادا (٩)، وتستفيض في ذكر إبراهيم (٣٥-٤١)، فإن الهدف من وراء ذلك هو تقديم مقارنة تفيد بأن ما يتعرض له محمد من رفض قريش هو سُنةُ مَن سبقه من الأنبياء، وأن محمداً يسير على خطى الأنبياء السابقين.

تذكِّر السورةُ الناسَ بالآخرة، وتَعِدُ المؤمنين بالجنة (٢٣) وتتوعد الكافرين بالنار (٢٨ ـ ٣٠).

وتُختتمُ السورةُ بوصف القرآن بأنه كتابُ بَلاغ فحسب: ‹هَذَا [القرآنُ] بَلاَغٌ للناسِ› (٥٢)، ولكن الأمر سينقلب بعد الهجرة إلى المدينة، حين تقترن الدعوة للإسلام بقوة السلاح.

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ
رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ٢ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ
ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ
فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ ٣ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ
لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤

١٤:٤

تقول الآية إن الله ‹يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ›. والعبارة مكررة حرفياً في (المدثر ٧٤: ٣١).

إن القول بأن اللهَ يُضلّ الناسَ هو تجديف بحقه. ويبرهنُ هذا الوصفُ على وجود التباسات في فكر محمدٍ بخصوص الله. وقد يكون الأمرُ راجعاً جُزئياً إلى تعدد المصادر التي اقتبس منها محمد، وعدمِ تمكنه من صَهر الأفكار المختلفة في عقيدةٍ متجانسة وأصيلة. وربما يعود أيضاً إلى نفسية محمد التي أنتجت مفهوماً لإله ‹يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ›. ولعبت هذه الآيةُ وأمثالُها دوراً في تباين آراء المسلمين حول قضايا لاهوتية مثل: العدل الإلهي - هل الإنسان مُسيّر أم مخير - حدود سلطة الله على البشر...إلى آخر هذه المسائل. إن القول بأن اللهَ يُضِلُّ الناسَ يتناقض مع حقيقة أن الله رحيم وعادل. كما تجعل هذه الآية اللهَ والشيطان متشابهين ويقومان بالأدوار ذاتها. ونرى في الآيات التالية أمثلة قرآنية تصور كلاً من الله وإبليس بنفس الشخصية المخادعة التي تغوي الآخرين:

www.christianlib.com

التشابه بين الله والشيطان في القرآن	
اللهُ يضل البشر	**إبليس يضل البشر**
‹أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ› (النساء ٤: ٨٨)	‹وَيُرِيدُ الشَّيطانُ أنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعيداً› (النساء ٤: ٦٠)
‹وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ› (الرعد ١٣: ٣٣)	‹كُتِبَ عَليه أنَّه مَن تَوَلاَّهُ [الشيطان] فَأَنَّه يُضِلُّهُ› (الحج ٢٢: ٤)
‹وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء› (إبراهيم ١٤: ٢٧)	‹قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ› (القصص ٢٨: ١٥)
‹فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشاءُ وَيَهدِي مَن يَشاءُ› (فاطر ٣٥: ٨)	‹وَلَقَدْ أضَلَّ [الشيطانُ] مِنْكُمْ جِبلاً كَثِيراً› (يس ٣٦: ٦٢)
اللهُ يزين الشر	**إبليس يزين الشر**
‹كذلكَ زَيَّنَّا لكلِّ أُمَّةٍ عمَلَهم› (الأنعام ٦: ١٠٨)	‹وَزيَنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ مَا كَانوا يَعمَلونَ› (الأنعام ٦: ٤٣)
‹إنّ الذينَ لا يُؤمِنُون بالآخِرةِ زَيَّنَّا لَهم أعمَالَهم› (النمل ٢٧: ٤)	‹وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعمَالَهم› (النمل ٢٧: ٢٤)
اللهُ يفتن البشر	**إبليس يفتن البشر**
‹وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ› (العنكبوت ٢٩: ٣)	‹يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ...› (الأعراف ٧: ٢٧)

وبناءً على أمثال هذه التوازيات في القرآن، فإن مؤلف «محنتي مع القرآن ومع الله في القرآن» قال[١]:

> والآن مَنْ المُضلّ ومن المزيِّن: اللهَ أم إبليس؟ وما الفرق بينهما؟ أنا حائر، فهل يشاركني الآخرون في حيرتي؟ وهناك صفات شرّيرة أخرى يشترك فيها اللهَ مع إبليس مثل الإغواء: «رَبِّ! بمَا أَغْوَيتَنِي؟...وَلأُغْوِيَنَّهُم أجْمعِينَ» (٣٩/١٥)، والفتنة...وهكذا، فإذا كان الإضلال والتزيين والإغواء والفتنة صفات شريرة مشتركة بين اللهَ وإبليس بنصِّ القرآن، فما الفرق إذن بين اللهَ وإبليس؟ أفلا يدلُّ ذلك على أنَ اللهَ وإبليس كائنٌ واحد؟ وعلى أنَّ اللهَ هو الجانب الخيّر من هذا الكائن، وأمّا إبليس فهو الجانب الشرير منه، أي على أنَّهما وجهان لعملةٍ واحدة؟

١. عبد النور، محنتي مع القرآن ٢٥٦. (٣٩/١٥ أي الحجر ١٥: ٣٩).

www.christianlib.com

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ
وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥ وَإِذۡ
قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ
نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٦ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ
لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧ وَقَالَ
مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨
أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ
بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ
أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ
إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩ ۞قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ
إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا
فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم
بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١ وَمَا لَنَآ أَلَّا
نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ

www.christianlib.com

فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ
أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾
وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ
وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ
وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ
ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴿١٧﴾
مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ
عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾
أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ
وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا
فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ
عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ
عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا
قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ
وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا
تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي
كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾

www.christianlib.com

وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ
ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي
ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ
ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ

١٤:٢٤

- قراءة الجماعة :‹كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ›[٢].
- وقرأ أنس بن مالك: «‹كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ثَابِتٍ أَصْلُهَا›»[٣]. ثابت: صفة للشجرة»[٤].

والفرق هو أن أنس بن مالك يُخبر عن الشجرة نفسها بقراءته، أما قراءة الجماعة فتُخبر عن أصل الشجرة. فاختلافُ تشكيل الكلمتين بين القراءتين يؤكد هذا التباين في المعنى.

- يُفهَم من قراءة الجماعة أن أصل الشجرة (أي جذورها) ثابتٌ لا يتزحزح. بينما لا يوجد تأكيد على ثبات «الشجرة» نفسها، فيمكن بحسب هذه القراءة سقوطها مع بقاء الجذر.
- قراءة ابن مالك، كما قلنا، تصف الشجرة كلها بأنها ثابتة لا تتزحزح، مهما كانت الظروف.

٢. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٤٨١.
٣. ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن ٧٢، عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٢٣٥.
٤. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٤٨١.

www.christianlib.com

يشرحُ ابنُ عاشور أن «الشجرةَ الطيبةَ» هي القرآنُ[٥]. وبعد أن يشيرَ إلى أن الشجرةَ الطيبةَ الثابتةَ كنايةٌ عن القرآنِ (بلا تحريف)، نجد في المقابل روايةِ لزر[٦] عن أُبي بنِ كعبٍ[٧]، تناقض ما ذهب إليه ابن عاشور عن ثباتِ القرآنِ[٨]، ورد فيها:

> عن زرٍّ قال: قال لي أُبي بنُ كعبٍ: كيف تقرأُ سورةَ الأحزابِ؟ أو كأين تَعُدُها؟ قال: قلتُ: ثلاثًا وسبعين آيةً. فقال: قط! لقد رأيتُها وإنها لتعادلُ «سورةَ البقرةِ»، ولقد قرأنا فيها: «الشيخُ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة نكالًا من اللهِ واللهُ عليمٌ حكيمٌ».

وحسبَ هذه الروايةِ (التي رُوِيَتْ بعد موتِ محمد)، تضمنت سورةُ الأحزاب أثناءَ زمنِ محمدٍ، آيةَ الرجمِ إضافةً إلى مئتي آيةٍ.

ونتساءل: فكيف يمكن أن تكونَ (شجرة القرآنِ) ثابتةً أو ذاتَ جذورٍ قويةٍ إذا كان مضمونُها عرضةً لتغييرٍ جوهريّ؟

٢٦:١٤

- قراءة الجماعة: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾[٩].
- قراءة أُبيّ عند النحاس: «وَضَرَبَ مَثَلَ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ»[١٠].
- قراءة أُبيّ بن كعب عند أبي حيان: «وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً خَبِيثَةً كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ»[١١].

ونتساءل: لماذا حرص أُبيّ بن كعب، وهو من كُتّاب الوحي القرآني المرموقين[١٢]، على وجود كلمة «ضَرَبَ» في الآية؟ فهل كانت موجودة في النص الأصلي وأسقطت لتحسين التعبير وتجنب التكرار؟

---

٥. ابن عاشور، تفسير ١٣: ٢٢٥.
٦. وهو من أوائل الذين دخلوا في الإسلام.
٧. وهو من أوائل أتباع محمدٍ ومن القائمين الأربعةِ الموثوقين على حفظِ القرآنِ.
٨. ابن كثير، تفسير ١١: ١١١، انظر أيضًا الزمخشري، الكشاف ٥: ٤١، السيوطي، الدر المنثور ١١: ٧١٤، وابن عاشور، تفسير ٢١: ٢٤٥-٢٤٦.
٩. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٤٨٣.
١٠. النحاس، إعراب القرآن ٢: ٣٦٩.
١١. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٤١١.
١٢. القرطبي، تفسير ١: ٩٣، ٩٥.

www.christianlib.com

وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ
قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا
لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ٣٠ قُل لِّعِبَادِيَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ
أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ٣١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ
ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ
ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ
مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤

١٤: ٢٨

اختلفت التعريفات بماهية الفئة التي أشارت إليها الآية بأنهم: ‹ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ كُفۡراً›، وقد جاءت الأقوال على التالي:

١. إن المقصود بالآية قريش، لأنهم «غيروا ما أنعم الله به عليهم من نعمة، فجعلوها كُفراً»، والنعمة هي رفضهم لمحمد، ذلك أن الله جعل محمداً نعمةً لقريش، لكنها رفضته واضطرته للخروج من مكة[١٣]. وتوضح أقوال أخرى أن الكلام يدور عن القرشيين الذين بقوا على دينهم (الكفار/ المشركين)[١٤].

---

١٣. الطبري، تفسير ١٣: ٦٦٨-٦٦٩، الرازي، تفسير ١٩: ١٢٥.

١٤. الطبري، تفسير ١٣: ٦٧١-٦٧٢، القرطبي، تفسير ١٢: ١٤١، ابن كثير، تفسير ٨: ٢١٩-٢٢٠.

www.christianlib.com

٢. منافقو قريش[١٥].

٣. القرشيون الذي حاربوا المسلمين يوم بدر[١٦].

٤. قادة قوات قريش يوم بدر[١٧].

٥. بنو أمية وبنو مخزوم[١٨].

٦. كل من سمع بدعوة محمد ورفضها[١٩].

٧. جَبَلة بنُ الأيهمِ[٢٠].

الإشكالية هنا مركبة

أولاً، إشكالية تاريخية في حالة قبول ما ذهب إليه بعض علماء الإسلام، حيث رأوا أن الحديث يدور عن فئة معينة، اختلفوا في تحديدها، ولكن الإشكالية هنا أن القارئ للقرآن لا يمكنه تحديد من هي الفئة المقصودة، لغياب أية تفاصيل تاريخية.

ثانياً، إشكالية تعبيرية، فصياغة النص لا تساعد على معرفة عمن يدور الكلام، ولهذا فلدينا سبعة احتمالات لمعنى هذه العبارة!

١٤: ٣٤

تخبر الآية أن نعم الله تفوق العد، وأن الإنسان ‹لَظَلُومٌ› بعدم تقدير هذه النعمة. و‹كَفَّارٌ›: أي شديد الكفران لها[٢١]، كما أن الإنسان جاحد نعمة الله عليه ودليل ذلك ترك عبادته[٢٢]. وقد جاء في مصادر النسخ أن هذه الآية نُسخت بالآية التي تقول: ‹وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ› (النحل ١٦: ١٨)، وهذا القول يُنسب لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ولم يشاركه به غيره[٢٣]، ونحن نستبعد نسخ هذه الآية.

---

١٥. الطبري، تفسير ١٣: ٦٧٢-٦٧٣، ابن كثير، تفسير ٨: ٢٢٠-٢٢١.

١٦. الطبري، تفسير ١٣: ٦٧٢، ابن كثير، تفسير ٨: ٢٢٠.

١٧. القرطبي، تفسير ١٢: ١٤١.

١٨. الطبري، تفسير ١٣: ٦٦٩-٦٧٠، القرطبي، تفسير ١٢: ١٤١. قارن: الزمخشري، الكشاف ٣: ٣٨٠، ابن كثير، تفسير ٨: ٢٢٠.

١٩. ابن كثير، تفسير ٨: ٢١٩. قارن: القرطبي، تفسير ١٢: ١٤١.

٢٠. الطبري، تفسير ١٣: ٦٧٧، ابن كثير، تفسير ٨: ٢١٩. جبلة بن الأيهم هو آخر ملوك الغساسنة المسيحيين في بلاد الشام في أوائل القرن السابع الميلادي.

٢١. الزمخشري، الكشاف ٣: ٣٨٢.

٢٢. الطبري، تفسير ١٣: ٦٨٦.

٢٣. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ٤٢، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٧-٥٨.

www.christianlib.com

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ
ٱلْأَصْنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ
مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٦ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى
بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ
أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ
٣٧ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ
إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ
ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ٤١ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ٤٢ مُهْطِعِينَ
مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ٤٣ وَأَنذِرِ
ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ
مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ٤٤ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ٤٥ وَقَدْ مَكَرُوا۟

www.christianlib.com

١٤: ٤١

- قراءة السبعة: ‹وَلِوَالِدَيَّ›[٢٤]، والمقصود والدي إبراهيم.
- وقرأ ابن مسعود وآخرون: «وَلِوَلَدَيَّ»[٢٥]، يعني إسماعيل وإسحاق.
- وفي مصحف أُبيّ: «وَلأَبَوَيَّ»[٢٦].
- وجاء في بعض المصاحف: «وَلِذُرِّيَّتِي»[٢٧].

في هذه القراءات هناك اختلاف في ماهية المقصودين باستغفار إبراهيم: ‹والديَّ›، «ولديَّ»، «أبويَّ»، «ذريتي»، والاختلاف بينها لا ينحصر في إضافة أو حذف أحد الحروف، بل يتعلق بتغيير جذري في الكلمات وفي معناها.

لا يذكر القرآن الأحداث التاريخية لقصة إبراهيم بحسب التسلسل الزمني، إضافة إلي الغموض الموجود في هذه القصة، على غرار قصص القرآن الأخرى، باستثناء قصة يوسف. مما جعل من الصعب معرفة متى طلب إبراهيم الغفران لأبيه على وجه الدقة. ولهذا السبب جاءت القراءات بحسب التصور الشخصي لكل صاحب قراءة؛ فهناك من رأى أن طلب الغفران لوالديه حدث قبل أن يتبرأ إبراهيمُ من أبيه، كما يظهر في الآية ‹وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ...› (التوبة ٩: ١١٤)، وهذا ماذهب إليه ابن كثير في شرحه للآية[٢٨]. أما من رأى أن والديّ إبراهيم لا يستحقان المغفرة بموجب آية ‹إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ› (النساء ٤: ٤٨)، فقرأ بمعنى ولديَّ أي ذريتي، المتماشية مع سياق الآية السابقة: ‹رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ› (إبراهيم ١٤: ٤٠)، وإن دل هذا على شئ، فإنما يدل على قراءات لم تؤخذ عن محمد نفسه، وإلا فكيف يمكن حدوث كل هذا الاختلاف في المفردات ذات المعاني المتناقضة؟

---

٢٤. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٥٠٦، عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٢٤١.
٢٥. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٥٠٦-٥٠٧، عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٢٤١.
٢٦. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٤٢٣، عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٢٤١.
٢٧. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٥٠٨، عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٢٤١.
٢٨. ابن كثير، تفسير ٨: ٢٢٨.

www.christianlib.com

مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴿٤٦﴾
فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾
يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾
وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ
وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ
ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ
وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾

وقد يمكن فهم وتبرير ما حدث بين القراءات السبع وقراءة ابن مسعود بسبب غياب التشكيل وألف المد. أما ما يصعب استيعابه فهو وجود مفردات تتناقض تمامًا في المعنى في القراءتين الأخيرتين، وخصوصًا لورودهما في مصحف أُبيّ ومصاحف أخرى! الأمر الذي يثير التساؤل عن حقيقة مصداقية النص القرآني.

٤٦:١٤

- قراءة الجماعة ‹وإن كان مكرهم›[٢٩].
- قرأ علي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب و عبد الله بن مسعود: «وإن كَادَ مكرهم»، وكذلك وردت في مصحف ابن مسعود[٣٠].

---

٢٩. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٥١٤.
٣٠. الطبري، تفسير ١٣: ٧١٨-٧٢٢.

www.christianlib.com

لتأكيد قراءة الجماعة حاول المفسرون إيجاد تبريرات غير مقنعة للمكر الذي تزول منه الجبال، كالاستناد إلى الأساطير[٣١]، كما أن «كان» تشير لما جرى في الماضي. وأما عن قراءة ابن مسعود ومن قرأ بقراءته، فـ«كاد» تفيد معنى «قارَبَ» . ونجد تعليقًا للرازي على هذه الآية يؤيد صحة هذه القراءة: «...وليس المقصود من هذا الكلام الإخبار عن وقوعه، بل التعظيم والتهويل وهو كقوله ‹تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنه› [مريم ١٩:٩٠]»[٣٢]، وهذا ماذهب إليه ابن عباس مستدلًا بنفس الآية[٣٣]. وبالتالي فقراءة ابن مسعود وعلي ابن أبي طالب وعمر ابن الخطاب تكون هي الأرجح.

٣١. انظر مثلًا الطبري، تفسير ١٣: ٧١٨-٧٢٢.

٣٢. الرازي، تفسير ١٩: ١٤٨.

٣٣. الطبري، تفسير ١٣: ٧٢٢.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــــة

سُميت بسورة الحِجْر لأن لفظة «الحِجْر» ذُكرت فيها وحدها (الآية ٨٠)، و«الحِجْر» اسم بلد كان فيه أهل ثَمُود كما يقول المفسرون (ابن عاشور ١٤: ٥).

تحذّر السورة قريشاً من الشرك، وتقدم براهين على جبروت الله مستمدة من الطبيعة (١٦، ١٩، ٢٠).
وتتناول السورة سير: إِبْرَاهِيمَ (٥١ ـ ٥٦)، ولُوط (٥٧ ـ ٧٦)، وأَصْحَابِ الأَيْكَةِ (هم قوم شُعَيْبٍ حسب التفاسير) (٧٨)، وأَصْحَابِ الحِجْرِ (قوم ثَمُود) (٨٠ ـ ٨٤) بهدف إنذار قريش بأن العذاب واقع عليهم أُسوةً بكل من كذّب الأنبياء السابقين.

كان محمد يركز على هذه المواضيع في المرحلة الأخيرة في مكة، ويُستثنى من ذلك الآية (٩٤) التي يظهر فيها أن محمداً كان يهدف إلى تبليغ الدعوة فحسب، وتجنب الجدل مع المشركين حيث كانت تلك هي سمات السنوات الأولى من الدعوة المكية (ابن عاشور ١٤: ٦).

لم يمنع الاتفاقُ على مكية السورة من استثناء بعض الآيات، إذ ورد أن الآيات: ٢٤ و٨٧ و٩٠ مدنية، وإن رفض ابن عاشور صحة هذه الآراء (ابن عاشور ١٤: ٥ ـ ٦)، كما شكك نولدكه في مدنية الآيتين: ٢٤ و٨٧ (نولدكه ١١٥).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ
يَعۡلَمُونَ ٣ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ٤ مَّا
تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ٥ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ
عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ٨

١:١٥

- قراءة الجماعة: ‹قُرْءآنٍ› بالتهميز[١].
- قرأ ابن كثير وابن محيصن بصيغتها الأصلية قبل إضافة التهميز: «قُرَانٍ»[٢].

من الواضح أن قراءة ابن كثير في هذه الكلمة «قُرَانٍ» قد احتفظت بصيغتها الأولى قبل وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي جاء بعد وفاة محمد بما يناهز ثمانية وستين عامًا (١٠٠ هـ/ ٧١٨م- ١٧٣ هـ/ ٧٩١م) علامات للشكل عُرفت بشكل الشِعْر، ونَخُصُّ بالذكر الهمزة[٣]؛ مما يعزز ما تم التطرق إليه في مقدمة المجلد الأول من أن معظم الباحثين يميلون إلى القول بأن الكلمة مأخوذة من اللغة السريانية «قِرْيَان»[٤].

١. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٢٤٩.
٢. الخطيب، معجم القراءات ٣: ٥٠٨، ٥٥٣.
٣. الداني، المحكم ٢٢-٢٣.
4. Luxenberg, *The Syro-Aramaic Reading of the Koran* 70-74.

www.christianlib.com

١٥: ٣

في الآية أُمر محمد أن يترك المشركين لشأنهم في حياتهم؛ يتمتعون ويتلذذون بها، لأن الغد سيبرهن على مصيرهم البائس. وهذا ما نُسخ بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٥]. إلا أن ابن الجوزي يعتبر أن هذه الآية وعيد وتهديد، ولا تتضمن نهيًا عن القتال[٦].

١٥: ٦

- قراءة الجماعة: ‹نُزِّلَ عَلَيْهِ›[٧]، من النزول: أي «الحلول»[٨].
- وقرأ زيد بن علي: «أُلْقِي إِلَيْهِ»[٩]، أي «طرحه»[١٠].
- وقرأ الأعمش: «أُلْقِي عَلَيْهِ»[١١]، أيضًا بمعنى «طرحه»[١٢].

فُسِّرت قراءة الجماعة، بحسب رأي علماء الإسلام، على سبيل الاستهزاء. وكون المتحدثون في هذه الآية هم القرشيون الذين لا يؤمنون بنزول الوحي على محمد، فلو أنهم ذكروا ما قالوه على سبيل الاستهزاء والسخرية، لتغير بالضرورة الشق الثاني من الآية ‹إنك لمجنون›، وجاء بوصف إيجابي، بدلًا من ذم محمد ونعته بالجنون؛ كما نرى بمواضع أخرى في القرآن من استهزاء قوم شعيب من نبيهم: ‹إنك لأنت الحليم الرشيد› (هود ١١: ٨٧)، وأيضًا في سخرية الملائكة من بعض أهل النار: ‹ذق إنك أنت العزيز الكريم› (الدخان ٤٤: ٤٩)[١٣]. فسياق الآية وتركيبها لا يتماشى مع الاستهزاء.

ولما كان أهل قريش لا يؤمنون بنزول الوحي على محمد، أصبحت قراءتا زيد بن علي والأعمش أكثر تماشيًا مع الأسلوب الهجومي على محمد في هذه الآية. التعبير «أُلْقِي إِلَيْهِ» أو«أُلْقِي عَلَيْهِ»، يوحي أن ما أُلقي هو شيء تافه. وقد وردت الكثير من الآيات في القرآن بهذا الأسلوب نفسه، حيث نجد

٥. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٩، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٢، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٨.
٦. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٧٩.
٧. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٥٣٦.
٨. ابن منظور، لسان العرب ٤٣٩٩. انظر «إشكالية نزّل/أنزل والخطأ التاريخي»، في المجلد الأول من هذا الكتاب، انظر (آل عمران ٣: ٣-٤).
٩. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٤٣٤.
١٠. ابن منظور، لسان العرب ٤٠٦٦.
١١. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٥٣٦.
١٢. ابن منظور، لسان العرب ٤٠٦٦.
١٣. القرطبي، تفسير ١١: ١٩٤.

www.christianlib.com

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى
شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾
كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾
لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا

على سبيل المثال ما جاء على لسان أهل ثمود لنبيهم في الآية ‹أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ› (القمر ٥٤: ٢٥). وبالتالي تكون هاتان القراءتان أكثر ترجيحًا من قراءة الجماعة.

١٥: ٩

تقول الآية على لسان الله: ‹إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ›، ومعناها، كما يفسرها الطبري: «إنا للقرآنِ لحافظون، مِن أن يُزاد فيه باطلٌ ما ليس منه، أو يُنْقَص منه ما هو منه»[١٤].

فهل حُفِظ القرآنُ، ولم يُزَد فيه ولم يُنقَص منه؟ تقول الأخبار المتواترة إنه زيد في القرآن ونُقِّص منه؛ إذْ أقرّت عائشة أن في المصحف لحناً. ولما سألها أحدهم عن سبب وجوده، أجابت: «يا ابن أختي! هذا عمل الكتّاب، أخطأوا في الكتاب»[١٥]. وقد علّق أُبي بن كعب على تعداد آيات سورة الأحزاب بثلاثة وسبعين أنها كانت تعادل سورة البقرة أو أطول[١٦]، بإشارة صريحة إلى ضياع معظم آيات السورة. الأمر الذي أكدته عائشة أيضًا بقولها إن سورة الأحزاب كانت تُقرأ في زمن محمد: «...مائتي آية ـ وإن كانت لتعدل سورة البقرة، وفيها آية الرجم ـ فلمّا كتب عثمان المصاحف

١٤. الطبري، تفسير ١٤: ١٨.
١٥. السجستاني، كتاب المصاحف ٢٣٥.
١٦. الزمخشري، الكشاف ٥: ٤١، السيوطي، الدر المنثور ١١: ٧١٤، قارن ابن كثير، تفسير ١١: ١١١، وابن عاشور، تفسير ٢١: ٢٤٥-٢٤٦.

www.christianlib.com

لم نقدر منها إلا ما هو الآن»[١٧]. وأضاف أبي أن من جملة الآيات الضائعة آية الزنا: «الشَّيْخ وَالشَّيْخَة إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّة نَكَالًا مِنْ اللهِ وَاللهِ عَزِيز حَكِيم»[١٨].

ورفض ابن مسعود، الصحابي الكبير، الأخذ بالمصحف الذي دوَّنه عثمان، وشكك بمصداقية اللجنة الرسمية[١٩]. كما وصلتنا أخبار لجنة عثمان التي شكلها لجمع القرآن، وكيف حاولت التلاعب بالقرآن لغايات نفعية، ولا نعلم كم من الآيات تم التلاعب بها، ولم يصلنا خبرها[٢٠].

١٥: ١٠-١٢

يوجد في النص خطاب لمحمد يقول: إن كل رسول جاء قبلك (آية ١٠) قد تعرض للاستهزاء (آية ١١). ثم يتابع النص قائلاً: إن الميل إلى الاستهزاء يسلكه [يدخله] الله في قلوب غير المؤمنين، و«كذلك نَفْعلُ ذلك في قلوب مشركي قومك [يا محمد]»[٢١].

تفيد الآية ١٢ أن الاستهزاء جاء بخطة الله. فهو الذي يدخل الضلال والكفر، والاستهزاءَ والشركَ[٢٢]. ولهذا قال القرطبي إن في الآية رداً على كل من قال بحرية الإرادة من المسلمين[٢٣].

والسؤال: إذا كان الله يزرع في قلوب البعض الاستهزاء، فما وجه عدالة محاسبتهم عليه؟

١٥: ١٥

- القراءة الشائعة: ‹سُكِّرَتْ› أي: مُنِعَت من الرؤية، وكذلك بمعنى غُطِّيت وغُشِّيت[٢٤].
- وقرأ أبان بن تغلب: «سُحِرَتْ» أي ألقي على أبصارهم سحراً[٢٥].

فقراءة أبان بن تغلب توافق تمامًا آخر الآية: ‹مَسْحُورُون›، وهي بالتالي أكثر ترجيحًا من قراءة الجماعة.

---

١٧. الحداد، أطوار الدعوة ٣٥١.
١٨. الزمخشري، الكشاف ٥: ٤١، السيوطي، الدر المنثور ١١: ٧١٤، قارن ابن كثير، تفسير ١١: ١١١، وابن عاشور، تفسير ٢١: ٢٤٥-٢٤٦.
١٩. السجستاني، كتاب المصاحف ١٧٩-١٩٢.
٢٠. انظر التعليق على الآية ٣٤ من سورة التوبة، المجلد الأول من هذا الكتاب. وانظر «جمع القرآن»، المجلد الأول من هذا الكتاب.
٢١. الطبري، تفسير ١٤: ٢٠. قارن: القرطبي، تفسير ١٢: ١٨٣.
٢٢. القرطبي، تفسير ١٢: ١٨٢.
٢٣. نفس المصدر ١٢: ١٨٣.
٢٤. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٥٤٢.
٢٥. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٢٥٢.

www.christianlib.com

فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ
رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾ وَٱلۡأَرۡضَ
مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴿١٩﴾
وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيۡءٍ
إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ
لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾
وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ
مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ

١٥: ١٧- ١٨

لدينا هنا تفسير القرآن لظاهرة فلكية هي ظاهرة الشهب. وتقول الآية (١٧) حسب المفسرين، إن السماء الدنيا حفظت من كل شيطان، ويستثنى من ذلك الذي استرق السمع، فيتبعه شهاب مبين[٢٦]. ويقول المأثور الإسلامي، كما أخبر ابن عباس، إن الشياطين تصعدُ «أفواجاً تَسْتَرِقُ السَّمْعَ، فيَنْفَرِدُ المارِدُ منها فيَعلو، فيُرْمى بالشهاب»، فيصيبه. وبينما هو يلتهب، تأتي إليه الشياطين الأخرى، فيخبرها بما سمع، فيخبرون به الكهنة[٢٧]. وحسب ابن عباس أيضاً، فإن الشهبُ لا تقتل، بل «تحرق وتُخبِّلُ وتجرحُ، من غير أن تقتل»[٢٨].

---

٢٦. الطبري، تفسير ١٤: ٣١.
٢٧. نفس المصدر ١٤: ٣٢، والقرطبي، تفسير ١٢: ١٨٩.
٢٨. الطبري، تفسير ١٤: ٣٣.

www.christianlib.com

ولدينا شرح لابن عباس يفيد أن الشياطين كانت قادرة على اختراق السموات، فعندما ولد يسوع، مُنعوا من ثلاث سموات. ولما ولد محمد، مُنعوا من بقية السموات. فكلما أراد أحد الشياطين استراق السمع، تعرَّض للرمي بالشهب[٢٩]، وهذا هو تفسير القرآن العلمي لظاهرة الشهب[٣٠].

١٥: ١٩

قارن في شأن الرواسي التعليق على سورة الرعد (١٣: ٣)، صفحة ١٣٧.

١٥: ٢١

- قراءة الجماعة: ‹نُنَزِّلُهُ›[٣١].
- وقرأ الأعمش: «نُرْسِلُهُ» مكان: نُنَزِّله[٣٢].

التنزيل يكون من الأعلى إلى الأسفل، مما يعني أن الخزائن موجودة فقط في الأعلى، أي في السماء. أما الإرسال، كما قال أبو حيان، فهو أعَمّ[٣٣]، لأن خزائن الله لا توجد فقط في الأعلى، أي في السماء، بل كذلك في الأرض وعليها. فالواقع أن الآية ٢١ تتحدث عن خزائن الله على وجه العموم (مثل الريح والمطر والثروات الأخرى كالمعادن النفيسة أو البترول وخلافه). وفي هذا قال الزمخشري: «ذكر الخزائن تمثيل، والمعنى: ما من شئ ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده»[٣٤]، أما الآية ٢٢ فتتجه بالتحديد إلى الحديث عن الريح ثم المطر بالترتيب؛ ولا يمكن بأي حال استخدام ‹نُنَزِّلُهُ› مع الريح، مما يؤكد أن قراءة الأعمش هي الأنسب هنا من قراءة الجماعة.

---

٢٩. القرطبي، تفسير ١٢: ١٨٧.
٣٠. قارن: التعليق على (الملك ٦٧: ٥)، في المجلد الثالث من هذا الكتاب.
٣١. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٥٤٥.
٣٢. نفس المصدر.
٣٣. نفس المصدر.
٣٤. الزمخشري، الكشاف ٣: ٤٠٢ وانظر ابن عاشور، تفسير ١٤: ٣٦.

www.christianlib.com

حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾
وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى
خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ
إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ
مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ
حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ
﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

١٥: ٢٦

تقول الآية إن آدم خُلق ‹مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ›. الصلصال هو الطين اليابس، فإذا طُبخ فهو فخار[٣٥]. و«الحَمَأ المسنون» هو الطين المتغيِّر إلى السواد[٣٦]، أو الحَمَأ الذي أنتن[٣٧].

ويقول المفسرون إن الله خلق آدم من طين، فصوَّره وتركه في الشمس أربعين سنة، فصار صلصالاً، فنفخ فيه الروح[٣٨]. بينما يقول رأي ثانٍ إنه لما خلق الله آدم من الطين على صورة الإنسان، جف، فكانت الريح إذا مرت به سُمع له صلصلة، فلذلك سماه الله صلصالاً[٣٩].

٣٥. الطبري، تفسير ٢٢: ١٩١-١٩٢.
٣٦. نفس المصدر ١٤: ٥٩.
٣٧. نفس المصدر ١٤: ٦١.
٣٨. الرازي، تفسير ١٩: ١٨٣.
٣٩. نفس المصدر ١٩: ١٨٣.

www.christianlib.com

وتكرر القول إن آدم خُلق ﴿مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ﴾ في آيتين أخريين (الحجر ١٥: ٢٨ و٣٣). وبمعنى مقارب، جاءت آية ثالثة لتقول إن آدم خُلق ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (الرحمن ٥٥: ١٤)، دون ذكر «الحَمَأ المسنون».

في مجموعة ثانية من الآيات نقرأ أن آدم خُلق ﴿مِنْ طِينٍ﴾ (السجدة ٣٢: ٧؛ ص ٣٨: ٧١). وتوضح آية أخرى نوعية الطين أنه ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ (الصافات ٣٧: ١١). والطين اللازب، هو الطين اللاصق، ووُصف باللّزوبِ، لأنه ترابٌ مخلوطٌ بماء[٤٠]. والتحديد الأخير يقول إن الإنسان خُلق ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ (الحج ٢٢: ٥).

وبهذا، فإننا نجد في القرآن ثلاثة بيانات في مسألة خلق آدم (صَلْصَالٍ ـ طين ـ تراب). ولربط هذه العناصر معاً، يحتاج القارئ إلى مساعدة الشرّاح المسلمين، الذين يقول أحدهم إن الله خلق الإنسان: «أولاً من تراب ثم من طين ثم من حَمَأ مسنون ثم من صلصال كالفخار»[٤١].

وهذا التوضيح قام به الرازي لربط الآيات أعلاه بوحدة متصلة. ولكن الأخذ به يثير إشكالية أخرى لأنه يفيد أن خلق الإنسان مرّ بمراحل، وهو ما يتعارض مع الآية القرآنية التي تقول إن الله خلق آدم ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران ٣: ٥٩)؛ حيث يُفهم من أمر ﴿كُنْ﴾ الخلق الفوري، خلافاً للعملية الطويلة التي شرحها الرازي.

١٥: ٢٨-٤٢

في التعليق على سورة البقرة (٢: ٣٤)، استعرضنا الإشكالية الواردة حول رفض إبليس السجود لآدم. وهذه الإشكالية يكررها هذا النص (الحجر ١٥: ٢٨ ـ ٤٢)، إلا أنه يورد تفصيلاً غير السجود يستوجب التوقف عنده. فبعد طرد الله لإبليس، فإن إبليس قال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر ١٥: ٣٩)، وفي هذه الآية نجد أن إبليس يصرّح بأنه تعرض للإغواء من الله، ويُلاحظ أن الله في النص لم يرد على هذا الاتهام.

وإذا حاولنا معرفة ما الذي قصده إبليس، فإننا لا نجد تفسيرًا، بحسب علماء الإسلام، سوى كون إبليس كان واقعاً ضمن المشيئة الإلهية التي جعلته لا يسجد. ولهذا اتهم إبليسُ اللهَ بأنه

٤٠. الطبري، تفسير ١٩: ٥١١.
٤١. الرازي، تفسير ١٩: ١٨٣.

www.christianlib.com

وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ
عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ
مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ
بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا
بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ

أغواه. وبناءً على ذلك، فإن بعض العلماء المسلمين قالوا إن الله قد يريد خلق الكفر في الكافر ويصده عن الدين، للأدلة التالية[٤٢]:

أولاً، أن الله وافق على طلب إبليس بالاستمهال، رغم تصريح إبليس أنه يريد هذه المهلة من أجل إغواء الناس. ولو كان الله يريد تجنيب الناس هذه التجارب، لما كان قد أمهله؛

ثانياً، أنه لو كان مراد الله إرشاد الناس وهدايتهم، لترك الساحة مفتوحة للأنبياء والأولياء فحسب، ولم يسمح لإبليس وأعوانه بالعمل؛

ثالثاً، أن الله أعلم إبليس بحلول اللعنة الأبدية عليه، وهذا ما أسقطه في لجة اليأس، ودفعه لكل هذه الأعمال الشريرة؛

رابعاً، أن إبليس سأل الله أن يمهله ليوم البعث. وبسبب هذا التمديد في الزمن يزداد استحقاقه للعذاب، مما يدل على أن الله أراد أن يزداد عذاب إبليس وكذلك عقابه؛

خامساً، أن إبليس[٤٣] قد صرح أن الله أغواه[٤٤].

---

٤٢. الرازي، تفسير ١٩: ١٨٩-١٩٠.

٤٣. انظر بشأن إبليس التعليق على: (البقرة ٢: ٣٤، والأعراف ٧: ١٦)، في المجلد الأول من هذا الكتاب.

٤٤. القرآن يكرر دور الله في إغواء البشر. انظر التعليقات على: (آل عمران ٣: ١٤، الأنعام ٦: ١٠٨)، في المجلد الأول من هذا الكتاب، و(هود ١١: ٣٤)، صفحة ٨٥، و (إبراهيم ١٤: ٤)، صفحة ١٥٠.

www.christianlib.com

مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞
نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ
﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ
إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾
قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ

١٥: ٤٩-٥١

في الآية خطاب لمحمد يأمره أن يقول لقريشٍ إن الله هو الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وإن عذابه أليم (٤٩ ـ ٥٠) ثم تضيف الآية التالية: ‹وَنَبِّئْهُمْ [يا محمد] عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ› (٥١).

فما الرابط بين الجزئين: وصف الله والأمر بالإخبار عن ضيف إبراهيم؟ لا يوجد في التفاسير أي حديث عن الرابطة بين الأمرين، لكن مؤلِّف «من غرائب آي التنزيل» يقدم احتماليْن[٤٥]:

الأول، أنه بعد أن جاءت الآيتان (٤٩ و٥٠) غلب الخوف على صحابة محمد، فجاءت الآية التالية لتخبر عن إبراهيم: «ليزول خوف الصحابة وتسكن قلوبهم. فإن ضيف إبراهيم جاءوا ببشارة للولي، وهو إبراهيم، وعقوبة للعدو، وهم قوم لوط»؛

الثاني، «إن وجه الارتباط أن العبد، وإن كان كثير الذنوب والخطايا، وغير طامع في المغفرة، لا يبعد أن يغفر الله تعالى له على يأسه، كما رزق إبراهيم الولد على يأسه بعد ما شاخ، وبلغ مائة سنة أو قريباً منها».

---

٤٥. الرازي، غرائب آي التنزيل ٢٤٧-٢٤٨.

بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا
ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ
إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ
قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ
﴿٦٣﴾ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ
وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾

ونعلق: إن الطرح الأول تنقضه حقيقة أن النص يصف الله بالْغَفُور الرَّحِيم. وبالتالي، لم يكن أتباع محمد ليخشوا من ‹الْعَذَابُ الأَلِيمَ› حتى تأتي قصة إبراهيم لتزيل خوفهم المفترض. والمؤلف يتحدث عن المسلمين الأوائل كمن يتحدث عن أطفالٍ لا يميزون المعاني في الآية، فيصيبهم ذعر من سماع لفظة عذاب، فيتدخل الله لتسليتهم بقصة مفرحة!

وأما الاحتمال الثاني من أن القصد بيان أن الله يغفر الذنوب والخطايا، فهو يجعل النص ينطق بما ليس فيه، لأن لا رابط بين رزق إبراهيم بولد والغفران.

هل ثمة من تفسير؟

نعم، حينما نظم محمد النص كان أسير الفاصلة، أو قافية الآية للتأثير على السامعين دون النظر للمحتوى. لنلاحظ معاً المفردات في نهاية الآيات: «الرَّحِيمُ ـ الأَلِـيمَ ـ إِبْرَاهِيمَ». فمحمد قدّم نصاً مفككاً، لأنه وقع في شبكة الفاصلة (القافية) ليس إلّا.

www.christianlib.com

وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ
أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ
﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ
هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ
﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾
وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ

١٥: ٧٢

ينقسم المفسرون بشأن المخاطَب والمخاطِب في الآية هنا إلى قولين:

الأول: إن الخطاب فيه لمحمد، إذ تعني الآية: «وحياتك يا محمدُ إن قومك من قريش ‹لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ›»[٤٦]؛

الثاني: إن الملائكة هي التي خاطبت لوطاً قائلةً: ‹لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ›[٤٧].

وفي كلا الحالين نلاحظ أن التفسير قائم على أساس تقديري، فمرة أسند المفسرون الفعل إلى الله وجعلوا محمداً المخاطَب، ومرة قالوا إن الملائكة هي التي خاطبت لوطاً. واختلاف التفسير يؤدي إلى اختلاف الصورة المتحصلة من الآية.

والسؤال: أين البلاغة في آية لا نعرف بالضبط الفاعل ولا المخاطَب فيها؟

٤٦. الطبري، تفسير ١٤: ٩١.
٤٧. الرازي، تفسير ١٩: ٢٠٧.

www.christianlib.com

١٥: ٧٨

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹الْأَيْكَةِ› بالهمزة وكسر التاء.
- وقرأ ورش عن نافع: ‹لَيْكَةِ› بترك الهمزة منها[٤٨].

وقد تكرر الاختلاف في قراءات هذه الكلمة في مواضع أخرى بالقرآن كما هو موضح فيما يلي:

الآية	الرسم		القراءة		الترتيب الزمني
	الكلمة	العثماني	حفص	ورش	
‹وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ› (الحجر ١٥: ٧٨)	الْأَيْكَةِ	الايكه	الْأَيْكَةِ	الايكة (ليكة)	٣
‹كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ› (الشعراء ٢٦: ١٧٦)	لْئَيْكَةِ	لسكه	الْأَيْكَةِ	ليكة	٢
‹وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ› (ص ٣٨: ١٣)	لْئَيْكَةِ	لسكه	الْأَيْكَةِ	ليكة	١

بحسب المراجع الإسلامية فترتيب نزول السور هو كالتالي:

- سورة ص: الثامنة والثلاثون[٤٩]
- سورة الشعراء: السابعة والأربعون[٥٠]
- سورة الحجر: الرابعة والخمسين[٥١]

لا تفرق المراجع الإسلامية بين كلمتي ‹الْأَيْكَةِ› و‹ليكة›، واعتمدت قراءة حفص على رسم الكلمة في سورة الحجر ‹الايكه› بينما اعتمدت قراءة ورش عن نافع على رسم الكلمة في سورتي الشعراء وص ‹لسكه›. ويبدو أن الاختلاف في رسم الكلمة يشير إلى أنه مع الوقت قد حدث تطورٌ صوتيٌ ولفظيٌ خضعت له النصوص القرآنية.

على الرغم من الاعتقاد السائد بأن القرآن الذي بين أيدينا هو نسخة طبق الأصل من «اللوح المحفوظ الأزلي». لكن المرجح أنه قد حدث خطأ في التدوين. إذ يبدو أن الكاتب عند تدوينه

٤٨. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٥٧٨، وانظر عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٢٦٢.
٤٩. ابن عاشور، تفسير ٢٣: ٢٠١.
٥٠. نفس المصدر ١٩: ٩٠.
٥١. نفس المصدر ١٤: ٦.

www.christianlib.com

أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ
﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟
عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ

الكلمة في مصحف عثمان، أخطأ إما بإضافة الألف مرتين في كلمة «ليكة» قبل اللام وبعدها في سورة الحجر، أو أخطأ بإسقاط الألفين في سورتي الشعراء وص.

١٥: ٨٠

تقول الآية إن أصحاب الحجر، وهم أهل ثمود[٥٢]، قد كذّبوا المرسلين، بينما لا يذكر لنا النص أي مرسلين، سوى إنه كان صالح[٥٣]. ولتبرير إيراد صيغة الجمع هنا، فإن المفسرين قدموا الآراء التالية:

أ. إن من كذّب واحداً من الرسل فكأنما كذبهم جميعاً[٥٤].

ونعقب: هذا الرأي لا يجد ما يدعمه من سياق الآيات. فالآية تتحدث بشكل قاطع عن مرسلين.

ب. أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين[٥٥].

ونعقب: هذا الرأي أضعف من الأول، ليس لأنه لا يجد ما يدعمه من سياق الآيات فحسب، بل أيضاً لأنه يوسع صفة المرسلين ويطبقها على جماعة المؤمنين.

ج. «ولعل القوم....منكرين لكل الرسل»[٥٦].

ونعقب: هذا الاحتمال تخميني بحت لتهدئة قلق القارئ الذي لا يجد جواباً.

---

٥٢. الطبري، تفسير ١٤: ١٠٣.
٥٣. نفس المصدر ١٤: ١٠٤.
٥٤. الزمخشري، الكشاف ٣: ٤١٥، القرطبي، تفسير ١٢: ٢٣٨.
٥٥. نفس المصادر.
٥٦. الرازي، تفسير ١٩: ٢٠٩.

www.christianlib.com

ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا
مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا
مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ
ٱلۡمُبِينُ ٨٩ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١

١٥: ٨٥

تخبر الآية أن الساعة آتية، وأنه على محمد أن يتعامل مع المشركين برفق، ويعفو عنهم عفواً حسناً[٥٧]. ولكن هذه الآية قد نسخت:

١. قيل إنها منسوخة بالآية التي تقول: ‹وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ› (البقرة ٢: ١٩١ والنساء ٤: ١٩)[٥٨].
٢. وقال فريق آخر إنها نسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٥٩].

١٥: ٨٨

رأى بعض الشارحين أن في الآية توجيهاً لمحمد بألاّ يأسف على «المشركين» جراء رفضهم اعتناق الإسلام، ووفق أصحاب هذا الرأي فإن الآية منسوخة بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٦٠] حيث لم يعد الأمر يقتصر على الحزن بل تعداه إلى ممارسة فعل العنف.

إلا أن المعنى الأكثر حضوراً في المصادر الإسلامية يشير إلى أن الآية تحمل تعزية لمحمد بألا يحزن بسبب نعم المشركين الدنيوية؛ وعلى ذلك، فالآية غير منسوخة بآية السيف[٦١].

---

٥٧. الطبري، تفسير ١٤: ١٠٦.
٥٨. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٨٠، النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٤٨٢. قارن: مكي، الإيضاح ٣٢٩.
٥٩. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ٤٢-٤٣، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٨، شعلة، صفوة الراسخ ١٤٩.
٦٠. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٨١، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ٤٣، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٨.
٦١. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٨١.

www.christianlib.com

١٥: ٨٩

في الآية إعلان من محمد أنه نذير بالعقاب الإلهي إن لم يؤمنوا به، ولكن هذا الإعلان نُسخ بآية السيف[٦٢]. ويتحفظ ابن الجوزي على ذلك، لأنه يرى أن الآية خبر، والخبر لا يُنسخ[٦٣].

١٥: ٩٠-٩١

في محاولة لمعرفة من هم ‹المُقْتَسِمِينَ› يجد القارئ في التفاسير آراء متعددة، نعرضها فيما يلي:

١. الذين انتشروا في طرق مكة أيام المواسم للدعاية ضد محمد. وكانوا يحذرون الناس من دعوة محمد، ويرون أنه ساحر أو كاهن أو شاعر[٦٤].
٢. مجموعة من قريش قسمت القرآن إلى أجناس أدبية، فجعلت بعضه شعراً، وبعضَه سحراً، وبعضه كهانةً وبعضه أساطير الأولين[٦٥].
٣. اليهود والمسيحيون، إذ آمنوا ببعض الأجزاء من القرآن، وكفروا ببعضه الآخر[٦٦].
٤. الذين آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعض آخر[٦٧] دون تحديد هويتهم.
٥. أهلُ الكتابِ، ولكنهم سُمّوا المقتسمين، لأن بعضهم قال استهزاءً بالقرآن: «هذه السورةُ لي». وقال بعضهم: «هذه لي»[٦٨].
٦. قوم صالح، أقسموا على مهاجمته ليلاً، فرمتهم الملائكة بالحجارة حتى قتلتهم. أي إن الاقتسام من «القَسَمُ» لا من «القِسمة»[٦٩].

هذا التنوع في التفسير يعكس الحيرة في تعريف هوية هؤلاء المقتسمين. ويلاحَظ أن المفسرين كانوا يشيرون في الأقوال (٣ و٤ و٥) عن توزيع القرآن، وهذه أقوال لا تنتبه إلى حقيقة أن سورة الحجر مكية، وبالتالي فإن الشطر الأكبر من القرآن لم يُوح بعد حتى يتم تقسيمه، ناهيك عن أن جمع القرآن تم بعد وفاة محمد.

---

٦٢. التوبة ٩: ٥، ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٨١، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٣.
٦٣. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٨١.
٦٤. الرازي، تفسير ١٩: ٢١٦. قارن: القرطبي، تفسير ١٢: ٢٥٥.
٦٥. القرطبي، تفسير ١٢: ٢٥٦. قارن: الطبري، تفسير ١٤: ١٣٥، ١٣٧، الرازي، تفسير ١٩: ٢١٦.
٦٦. الطبري، تفسير ١٤: ١٢٩، الرازي، تفسير ١٩: ٢١٦، القرطبي، تفسير ١٢: ٢٥٦.
٦٧. الطبري، تفسير ١٤: ١٢٩.
٦٨. نفس المصدر ١٤: ١٣١، وانظر الرازي، تفسير ١٩: ٢١٦، القرطبي، تفسير ١٢: ٢٥٦.
٦٩. الرازي، تفسير ١٩: ٢١٦، القرطبي، تفسير ١٢: ٢٥٦.

www.christianlib.com

فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ
وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ
مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ
بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ
حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

١٥: ٩٢-٩٣

يقول النص إن جميع الناس سيُسألون يوم القيامة ‹عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ›، وهذا الخبر يتعارض مع آية أخرى تقول بأنه ‹لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ› (الرحمن ٥٥: ٣٩).

١٥: ٩٤

في الآية توجيه لمحمد أن يترك «المشركين» لشأنهم إن رفضوا الإيمان بدعوته، ولكن هذا التوجيه قد نُسخ:

١. بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٧٠].

٢. وفي قول آخر نسخ بالآية التي تقول: ‹فإن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ› (النساء ٤: ٨٩)[٧١].

٧٠. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٨، النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٤٨٢، قارن: ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٨٢.
٧١. الطبري، تفسير ١٤: ١٤٥.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

سُميت السورة باسم «النَّحْلِ» لأنّ هذه المفردة لم ترد إلاّ في هذه السورة (الآية ٦٨). ويسميها البعض «سورة النِّعَم»، لأن فيها ذكر نِعَم الله على الناس (ابن عاشور ١٤: ٩٣).

سورة النَّحْلِ مكية ولكنها تحتوي على أجزاء مدنية:

الآيات ١٢٦ ـ ١٢٨: تشير إلى قرار محمد أن يُمثّل بسبعين من قريش، انتقاماً لتمثيلهم بجثة حمزة، عم محمد، بعد قتله (ابن عاشور ١٤: ٩٣) في معركة أُحد، أي في السنة الثالثة للهجرة (٦٢٥ م).

ويرى نولدكه أن الآيات التالية مدنية:

- ١١٠: يُشار فيها إلى المهاجرين
- ١٢٣: تصف الإسلام بملة إبراهيم، وهي من مصطلحات المدينة
- ١٢٤: تشير إلى اليهود (نولدكه: ١٣١ ـ ١٣٢)

يعتبر فايل (Weil) أن الآيات (١٠١ ـ ١٠٣) مدنية، لورود النسخ فيها. ولكن نولدكه يخالفه (نولدكه ١٣٢ ـ ١٣٣).

تقدم السورة براهين على وجود الخالق، مستمدة من الطبيعة؛ وتدعو إلى نبذ الشرك والالتزام بالتوحيد. هذه كلها من أجل إقامة الدليل على صحة ادّعاء محمد النبوة، وأصالة القرآن.

ويتبدى من السورة يأس محمد من قريش، مما يرجح أنها تعود إلى فترة متأخرة في مكة.

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ
إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا
يُشۡرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٤﴾ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ
خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ
حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ
بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ
وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ
ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم
بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ
وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ
لَكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ
تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ

www.christianlib.com

٨:١٦

لطالما سأل المكيون محمداً تقديم البرهان على نبوته بمعجزة ما. فكان محمد يجيبهم بأن لا معجزة تنفع معهم. وفي إحدى المرات، تلا عليهم آيات يقول فيها إنه مُرسل من لدن الله، وأضاف القول متوجهاً لأهل مكة: إن الله جعل لكم أيها الناس ‹الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً›. ونلاحظ في هذه العبارة أمرين:

أولاً: تكشف هذه الآية وهن البرهان القرآني، حيث تقدم الآية ‹الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ›. كوسيلة للبرهنة عن الله. وحتى بالنسبة لشعب بسيط بدائي، فلن تكفيه كلمات محمد عن تلك الحيوانات التي يقوتها ويربيها بنفسه في حياته اليومية، وكأنها معجزة الله المذهلة. فكلمات محمد لم تكن مقنعة، حيث فشل في إثبات قدرة الله، والبرهنة على كونه رسولاً له بأية صورة معجزية!

ثانياً: كانت قريش تؤمن بالله، لكن إيمانها كان شركياً، بشهادة القرآن نفسه الذي يقول إن قريشاً كانت تقول: ‹مَا نَعْبُدُهُمْ [الأوثان] إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى› (الزمر ٣٩: ٣). ومع ذلك، في هذه الآية أخبرهم محمدٌ عن الله ببرهان غير ذي قيمة، ومن قبيل تحصيل الحاصل، وهذا ما لم يطلبوه، بل كانوا يسألونه البرهنة على صحة دعواه أنه مُرسل من الله، وهو الأمر الذي تجنّبه.

١٢:١٦

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ›.
- وقرأ عبد الله بن مسعود: «وَالرِيَاحُ مُسَخَّرَاتٌ»[١].

ليس هناك أي تقارب في اللفظ أو المعنى بين كلمتي: ‹النجوم› و‹الرياح›. مما يُبرهن على أن القرّاء كانوا يختارون الكلمات وفق أذواقهم الحِسِيَّة؛ ويُشير إلى دور العامل الفردي في تدوين القرآن. أما إذا قبلنا بأنها مجرد قراءات سُمعت من محمد مباشرة، فهذا معناه أن محمدًا كان ينسى ما قرأه للبعض مثل ابن مسعود ويملي للبعض الآخر شيئًا مغايراً تماماً، كما تدل الآية: ‹سنقرئك أفلا تنسى إلا ما شاء الله...› (الأعلى ٨٧: ٦-٧)، فعبارة «إلاّ ما شاءَ اللهُ» توحي بأنّ محمدًا ربما لا يتذكرُ دائمًا قراءةً أو نصًا بشكلٍ دقيقٍ، لأنّ اللهَ ربما يُنسيهِ إياهُ[٢].

١. السجستاني، كتاب المصاحف ٣٢٠.
٢. للاطلاع على مزيدٍ من النقاش حول ميلِ محمدٍ إلى النسيانِ، انظرْ «الترتيب التاريخي للقرآن»، في المجلد الأول من هذا الكتاب.

www.christianlib.com

تَشۡكُرُونَ ١٤ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا
وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦ أَفَمَن
يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ
إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩ وَٱلَّذِينَ
يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ

سؤال: إن كان النبيّ محمدٌ الذي تلقّى «وحيًا» من اللهِ نسيَ أجزاءً من القراءةِ «إلاّ ما شاءَ اللهُ»، فكيف يمكنُ أن يُتوقعَ من أتباعِهِ أن يكونوا أقلّ ميلًا إلى النسيانِ؟

١٦: ١٥

انظر التعليق على (الرعد ١٣: ٣)، صفحة ١٣٧.

١٦: ١٩

- قراءة الجماعة: ‹يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ›[٣].
- وقرأ الأعمش: «يعلم الذي تبدون وما تكتمون»[٤].
- وقرأ طلحة: «يعلم ما يخفون وما يعلنون»[٥].

يُلاحظ أنه ليس ثمة اختلاف كبير بين هذه القراءات من ناحية المعنى، بل أن الخلاف هو في الصورة الفنية للعبارات، مما يشير بوضوح إلى دور العامل الشخصي لكل قارئ في تدوين القرآن.

٣. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٦٠٧.
٤. نفس المصدر ٤: ٦٠٨.
٥. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٢٧٣.

www.christianlib.com

ويبدو أن العديد من كلمات القرآن كانت في البداية بأحرف ولغة أعجمية ثم عُرِبت فيما بعد من أكثر من مترجم، مما يفسر اختيار مرادفات مختلفة لنفس التعبير. ويشير أبو عبيد القاسم بن سلام إلى تعريب بعض الكلمات الأعجمية ثم إدخالها في القرآن، أو كلمات كانت أعجمية في القرآن ثم عربت لاحقًا، معلقًا: «والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية»[٦].

١٦: ٢١

نلاحظ في هذه الآية أمرين:

أ. وصفت الآية الأصنام بتعبير: ‹أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء›. كان يكفي لفظة ‹أَمْوات›. فلماذا التكرار بجملة: ‹غَيْرُ أَحْيَاء›؟ وأين وجه البلاغة في هذا التكرار؟

علَّل الرازي سبب التكرار بأن أهل مكة، وبسبب عبادتهم للأوثان، هم على ضلال، ونعتهم بالجهل والغباء كاتبًا:[٧]

> ومن تكلم مع الجاهل الغر الغبي فقد يحسن أن يعبر عن المعنى الواحد بالعبارات الكثيرة، وغرضه منه الإعلام بكون ذلك المخاطب في غاية الغباوة وأنه إنما يعيد تلك الكلمات لكون ذلك السامع في نهاية الجهالة، وأنه لا يفهم المعنى المقصود بالعبارة الواحدة.

ونعلق: لما وجد المفسرُ الحشوَ في القرآن، قال إن علة التكرار مردّها أن الخطاب كان موجهاً لأهل «الغباوة». وهذا التعليل يتناقض مع ما يُعرف عن عرب عصر محمد، بأنهم كانوا أهل بلاغة وبيان. ومن هو من أهل البلاغة والبيان، فهو حتماً ليس من أهل «الغباوة».

ثم، دعنا نقبل، جدلاً، قول الرازي، أفلم يكن يتوجب على القرآن أن يرتقي بصيغة الخطاب لأن المفترض أنه نص إلهي يتميز بالبيان اللغوي؟ ولو فرضنا مثلاً أن الآية كانت تخاطب أهل فحش، فهل كان النص سيضم فحشاً «لكون ذلك السامع في نهاية «الفحش»»؟

---

٦. السيوطي، الإتقان ٩٤٠.

٧. الرازي، تفسير ٢٠: ١٦.

وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ
قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا
يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ
أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ
يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى
ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ
مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ
ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ
عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا
كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ

ب. ‹وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ›

الضمير هنا في ‹وَمَا يَشۡعُرُونَ› عائد إلى الأصنام.

وأما عن الضمير في ‹يُبۡعَثُونَ›، فثمة رأيان على من يعود الضمير هنا:

- الأول: أنه عائد إلى العابدين للأصنام، ويصبح المعنى أن الأصنام لا يشعرون متى يُبعث عابدوهم؛
- الثاني: أنه عائد إلى الأصنام، بمعني أن هذه الأصنام لا تعرف متى يبعثها الله[٨]. ويقول ابن عباس إن الله يبعث الأصنام ولها أرواح[٩].

---

٨. الرازي، تفسير ٢٠: ١٦.
٩. نفس المصدر.

www.christianlib.com

ومن حقنا أن نسأل: ما فائدة بعث الأصنام يوم القيامة، ولمَ يجب أن تُبعث فيها أرواح؟ وما مصير هذه الأرواح، هل ستحال إلى النار؟ وعندها نسأل: بأي جرم ستعاقب، وإن أتلف الله أرواح هذه الأصنام، فما هي فائدة خلق هذه الأرواح؟

هنا نجد الإشكالية التي تكررت كثيرًا: أي بلاغة هناك حين يتحير القارئ مَنْ المقصود في الخطاب؟

١٦: ٢٤

من هذه الآية نعلم أن بعض القرشيين اتهموا محمداً بأن هذه الآيات القرآنية التي يقرأها على أصحابه ليست وحياً من الله[١٠]، بل أنها مجرد ‹أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ›: أي قصص مأخوذة من كتب السابقين[١١].

١٦: ٢٥

راجع التعليق على (الأنعام ٦: ١٦٤)، المجلد الأول من هذا الكتاب.

١٦: ٢٦

في الآية حديث عن طاغية، تقول بعض الآراء إنه نُمرودُ بنُ كَنْعان[١٢]. ويوضح المفسرون أن نُمرودَ شيّد بناءً ليصعد إلى السماء: «إنه النُّمْرود بن كنعان وقومه، أرادوا صعودَ السّماء وقتالَ أهله، فَبَنوا الصرحَ، ليصعدوا منه...»[١٣].

إن الآية لا تحدد الشخصية المذكورة هنا. وضبابية القصة القرآنية تترك القارئ في حيرة من أمره، لهذا حاول المفسرون أن يخلصوا الآية من إشكالية غموض القصد، فذهبوا إلى القول أن الآية تشير إلى نمرود بن كنعان، ولكن هذا الشرح ضلّ، لأن نمرود هو ابن كوش بن حام بن نوح[١٤] بينما قصة البرج حدثت حينما شرع الناس بعد الطوفان يبنون مدينة وبرجاً عالياً يخلّدون به

١٠. القرطبي، تفسير ١٢: ٣١١.
١١. ابن كثير، تفسير ٨: ٣٠٣. وقد تناولنا مقولة إن القرآن هو ‹أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ› في التعليق على (الأنفال ٨: ٣١-٣٣)، المجلد الأول من هذا الكتاب.
١٢. الطبري، تفسير ١٤: ٢٠٢-٢٠٣، القرطبي، تفسير ١٢: ٣١٣.
١٣. القرطبي، تفسير ١٢: ٣١٣.
١٤. سفر التكوين ١٠: ٨.

www.christianlib.com

جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟
مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ
ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ
تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾
فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا
وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى
ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ
فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ
هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟
بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى
ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ

www.christianlib.com

اسمهم، فعاقبهم الله بأن بلبل ألسنتهم، فلم يستطيعوا التفاهم، وكفوا عن البنيان، ولذلك سُمّيت المدينة «بابل» لأن هناك بلبل الله ألسنتهم[١٥].

١٦: ٣٦ و٨٩

راجع التعليق على (يونس ١٠: ٤٧)، صفحة ٦٠.

١٦: ٤١

- قراءة الجمهور: «لَنُبَوِّئَنَّهُمْ»[١٦].
- وقرأ أبو جعفر: «لَنُبَوِيَنَّهُمْ»[١٧].
- وقرأ علي بن أبي طالب[١٨] وابن مسعود وآخرون: «لَنُثْوِيَنَّهُمْ»[١٩].

- **لَنُبَوِّئَنَّهُمْ أو لَنُبَوِيَنَّهُمْ**: تعني لَنُحِلّهُمْ وَلَنُسْكِنَنَّهُم، لِأَنَّ التَّبَوُّء فِي كَلَام الْعَرَب يعني الْحُلُول بِالْمَكَانِ وَالنُّزُول بِهِ[٢٠].
- **لَنُثْوِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً**: أما قراءة علي ابن أبي طالب وابن مسعود «لَنُثْوِيَنَّهُمْ» فتشير إلى طول مقامهم[٢١]، بما يعنى لنقيمهم في الدنيا مقامًا محمودًا[٢٢].

والفرق بين الإقامة والنزول هو طول المدة الزمنية. فقراءة ابن مسعود تشير إلى مدة أطول، خاصةً وأن القسم الأخير من الآية ‹وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ› يدل على أن هذه الإقامة في الآخرة أفضل وأحسن. وبالتالي تكون قراءة علي بن أبي طالب وابن مسعود هي الأرجح. ويؤكد هذا المعنى ما جاء في الآية ‹إنه ربي أحسن مثواي›، (يوسف ١٢: ٢٣)، والتي تعني أن الله تولاني في طول مقامي[٢٣].

---

١٥. سفر التكوين ١١: ١-٩.
١٦. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٢٨٠.
١٧. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٦٣٢.
١٨. ابن جني، المحتسب ٢: ٩.
١٩. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٦٣٢. انظر التعليق على التهميز في مقدمة القراءات المختلفة، صفحة ٢٦.
٢٠. الطبري، تفسير ١٤: ٢٢٥.
٢١. ابن منظور، لسان العرب ٥٢٤.
٢٢. قارن: ابن منظور، لسان العرب ٥٢٤.
٢٣. ابن منظور، لسان العرب ٥٢٤.

www.christianlib.com

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ
ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ
لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾
أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟
ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾
يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟
إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ
ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ
إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ
لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا
يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى
ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ
ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا

www.christianlib.com

تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا
يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٦١ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ
وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم
مُّفۡرَطُونَ ٦٢ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤ وَٱللَّهُ
أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ

١٦: ٤٨

- القراءة الشائعة: ‹أَوَلَمْ يَرَوْا›، بالياء على الخبر عن الذين مكروا السيئات، وقد ذكر الطبري أنها قراءة عامة قرّاء الحجاز والمدينة والبصرة[٢٤].
- وقرأ بعض القرّاء الكوفيين: «أَوَلَمْ تَرَوْا» بالتاء على الخطاب لما تقدم في الآية السابقة ‹فإن ربكم لرءوف رحيم›[٢٥].

فالقراءة بالياء ‹يَرَوْا› كما قال الطبري: «خبر عن الذين مكروا السيئات»؛ أما القراءة بالتاء ‹تَرَوْا› على الخطاب، أي خطاب للمسلمين، وهو تنبيه لهم وحثٌ على التفكير في ما خلق الله. هذه النوعية من الاختلافات في قراءات القرآن تدل على أن القرآن تم تنقيطه حسب ذوق وفهم القراء، كون المصاحف الأولى كانت خالية وعارية من التنقيط[٢٦].

---

٢٤. الطبري، تفسير ١٤: ٢٣٩.
٢٥. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٦٣٧.
٢٦. الداني، المحكم ١٨.

www.christianlib.com

يَسۡمَعُونَ ٦٥ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ
بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ
وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٦٧
وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا
يَعۡرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ
بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ
يَتَفَكَّرُونَ ٦٩ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ
ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠ وَٱللَّهُ فَضَّلَ
بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا
مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١ وَٱللَّهُ جَعَلَ
لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ
وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ
٧٢ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا
تَعۡلَمُونَ ٧٤ ۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن
رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ
بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا
يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي
هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

www.christianlib.com

١٦: ٦٧

اختلف المفسرون بالمراد بـ «السكر» وبالتالي في حكم نسخ الآية:

القول الأول ـ إنها منسوخة:

قال البعض إنه الخمر، وعلى هذا ذهب فريق إلى أن الآية نُسِخت بـ: ‹إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ...رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ› (المائدة ٥: ٩٠)[٢٧]. وقال فريق آخر إنها منسوخة بالآية: ‹قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ› (الأعراف ٧: ٣٣)[٢٨].

القول الثاني ـ إنها محكمة:

انقسم أصحاب القول بأن الآية محكمة إلى رأيين:

فسَّر البعض «السكر» هنا على أنه هو «الخل» بلغة أهل الحبشة، وبعضهم قال أيضًا إنها لغة أهل اليمن، وعلى هذا فالآية محكمة[٢٩]؛ كما قالوا إن «السكر» هنا يعني «الطعم»، أي طعم، وبهذا فالآية محكمة[٣٠].

١٦: ٧٦

من أجل توضيح عجز الأصنام، تقول الآية إن المثل المنطبق على الصنم هو مثل الرجل الأبكم، فكما أن الرجل الأبكم عالة على أقاربه كما يذهب التفسير، كذلك الصنم عالة على صاحبه لأنه يحتاج إلى الصيانة والخدمة. وكما أن الأبكم «من الناس الذي لا يقدرُ على شيء، فهو كلٌّ [عبءٌ] على أوليائه من بني أعمامه وغيرهم ‹أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ›. يقولُ: حيثما يوجّهه لا يأتِ بخيرٍ؛ لأنه لا يفهمُ ما يُقال له، ولا يقدر أن يُعبِّرَ عن نفسِه ما يريدُ، فهو لا يَفهمُ، ولا يُفْهَمُ عنه، فكذلك الصنمُ، لا يعقلِ ما يُقال له، فيأتمرَ لأمرِ من أمرَه، ولا ينطقُ فيأمرَ وينهي»[٣١].

إن تمثيل الصنم -الذي لا ينفع والمشبه قرآنياً بأنه عبء على صاحبه- بالأبكم، والقول إن الأبكم عالة على من حوله فيه إساءة لشريحة اجتماعية تعاني مشكلة البكم. ثم إن الآية لا تسيء

---

٢٧. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٨٣-٣٨٥، مكي، الإيضاح ٣٣١، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ٤٣، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٩، شعلة، صفوة الراسخ ١٥٠.

٢٨. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ٤٣.

٢٩. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٨٥.

٣٠. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٨٦، مكي، الإيضاح ٣٣٣، شعلة، صفوة الراسخ ١٥٠، النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٤٨٧.

٣١. الطبري، تفسير ١٤: ٣٠٩-٣١٠. قارن: القرطبي، تفسير ١٢: ٣٨٧ و الزمخشري، الكشاف ٣: ٤٥٧.

www.christianlib.com

وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا
وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ أَلَمۡ يَرَوۡاْ
إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ
لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ
وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ
لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ
سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ
عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٨٢
يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ

إلى هذه الشريحة الاجتماعية فحسب، بل هي تجعل الإساءة صادرة عن الله نفسه عندما تنسب له تشبيه الصنم بالأبكم.

www.christianlib.com

١٦: ٧٩

في هذه الآية تكررت إشكالية ‹أَلَمْ يَرَوْا› كما في الآية السابقة (النحل ١٦: ٤٨)[٣٢]. وبذلك أصبحت هوية المخاطَب في الآية محل تساؤل متجدد: هل هم المسلمون أم ‹الذين مكروا السيئات›[٣٣]؟

١٦: ٨٠

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹يَوْمَ›.
- وجاء في مصحف ابن مسعود: «حِينَ»[٣٤].

فقراءة ابن مسعود «حِينَ» جاءت بمعنى وقت مُبْهَم من الدّهر يصلح لجميع الأزمان كلها، طالت أو قصرت[٣٥]. أما القراءة الشائعة «يَوْمَ»، واليوم معروف مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها[٣٦].

وكلمة ‹يوم› قدتأتي كذلك بمعنى «حين»، فمثلًا: ‹...**يوم** ولدت **ويوم** أموت **ويوم** أبعث حيا› (مريم ١٩: ٣٣)، والمقصود: «...**حين** ولدت **وحين** أموت **وحين** أبعث حيا».

سياق الآية يتحدث عن بيوت من الجلد والوبر يستعملها البدو في ترحالهم، وعن وقت حملها ونقلها[٣٧]. وقد نعتها القرآن بالخفة. فقراءة ابن مسعود تفادت التكرار ، فقرأها كالتالي: «حين ظعنكم ويوم إقامتكم»، بالإضافة إلى أنه قد أتى بالمعنى الأدق تماشيًا مع سياق الآية.

١٦: ٨٢

تقول الآية يا محمد إن أدار المشركون ظهورهم لك، وأعرضوا عنك، فقد أديت رسالتك، لأنه ليس عليك إلا البلاغ[٣٨]. وهذه الآية نسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٣٩].

---

٣٢. انظر الخطيب، معجم القراءات ٤: ٦٦٩.
٣٣. (النحل ١٦: ٤٥).
٣٤. السجستاني، كتاب المصاحف ٣٢١.
٣٥. ابن منظور، لسان العرب ١٠٧٣.
٣٦. نفس المصدر ٤٩٧٤.
٣٧. الطبري، تفسير ١٤: ٣١٧.
٣٨. نفس المصدر ١٤: ٣٢٤-٣٢٥.
٣٩. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٨٦، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٩.

www.christianlib.com

مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ
أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ
فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ
عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا
عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ
وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ
يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟
ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا
تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ
أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ
بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ
عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ
ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾
وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟

www.christianlib.com

١٦: ٨٣

تكررت هنا إشكالية التاء والهاء في كتابة كلمة ‹نِعْمَتَ› و«نِعْمَه» كما في سورة المائدة[٤٠].

١٦: ٨٤ و٨٦ و١١١

تقول الآية ‹لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ› في الاعتذار، ولكن يرد بعد آيتين أنهم سيتكلمون: ‹وَإِذَا رَأى الَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَاءهُمْ قَالُواْ: رَبَّنَا هَؤُلاء شُرَكَآؤُنَا› آية ٨٦، ويعاد تأكيد هذه الفكرة في نفس السورة: ‹يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِها› آية ١١١.

فهل يتكلمون؟ أم يعتذرون؟ أم يجادلون؟ ثلاثة خيارات مطروحة في هذه السورة.

١٦: ٩٦

- القراء الشائعة: ‹لَنجْزِيَنَّ›، بالنون وقد ذكر أبو حيان أنها قراءة عاصم وابن كثير[٤١].
- وقرأ نافع وحمزة وآخرون: «لَيجْزِيَنَّ»[٤٢].
- وجاء في مصحف ابن مسعود: «لَيُوَفِّيَنَّ»[٤٣].

القراءة بالياء هي أكثر توافقًا مع الآيات السابقة التي تتحدث عن الله بضمير الغائب، على غرار صيغة الأفعال: ‹يبلوكم›، ‹يُبيننَّ›، ‹يُضِل›، ‹يشاء›، ‹يهدي› في السياق، وليس بضمير المتكلم. ويبين سياق الآية، بما لايدع مجالًا للشك، هذا الطرح، حيث تذهب الآية للقول: ‹مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ **وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ** الذِينَ صَبَرُوا...›، ولو كان الله هو المتكلم لكان السياق على الشكل التالي: «مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ **وَمَا عندنا بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ** الَّذِينَ صَبَرُوا...». ويؤكد هذا الرأي ما ذكره مكي أن القراءة بالياء هي القراءة الأكثر اختيارًا بين القراء[٤٤]. أذًا، هل جاءت القراءة بالنون لإثارة حماس القارئ المسلم ترسيخاً لفكرة ألوهية النص؟ أم أن عُري المصاحف الأولى من التنقيط هو الذي أدى لهذه الاختلافات في الضمائر؟

---

٤٠. انظر التعليق على المائدة ٥:١١، في المجلد الأول من هذا الكتاب، وكذلك يونس ١٠:٣٣، صفحة ٥٧، وهود ١١:٨٦، صفحة ١٠١.
٤١. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٥١٦.
٤٢. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٢٩٥.
٤٣. السجستاني، كتاب المصاحف ٣٢١.
٤٤. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٦٨٤.

www.christianlib.com

أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ
لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ
عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ
وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾
قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى
وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ
لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ

أما عن قراءة ابن مسعود فقد جاءت مغايرة في الحرف والمعنى، لأن كلمة «يوفي» تأتي دائمًا بالمعنى الإيجابي، كما في العديد من مواضع القرآن مثل (النساء ٤: ١٧٣، هود ١١: ١١١، النور ٢٤: ٢٥، فاطر ٣٥: ٣٠، الأحقاف ٤٦: ١٩، وغيرها). أما عن «يجزي»، فقد تحمل المعنيين السلبي والإيجابي، كما هو واضح على سبييل المثال لا الحصر في الآية: ‹وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا** بِالْحُسْنَى› (النجم ٥٣: ٣١)، وكذلك الآية ‹**أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**› (آل عمران ٣: ٨٧)، والآية ‹**ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ** بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا› (الكهف ١٨: ١٠٦)، وعلى هذا فقراءة ابن مسعود هي الأكثر

www.christianlib.com

بلاغة، لاسيما وأنها تتماشى مع صيغ الأفعال في سياق الآيات، كما أنه قرأ بنفس صيغة الفعل في الآية التي تليها مباشرة، ليثبت المعنى.

١٦: ٩٨

قرأ ابن كثير وابن محيصن: «الْقُرَانَ»[٤٥].

١٦: ١٠٠

ثمة رأيان في ما يرجع إليه ضمير ‹بِهِ›[٤٦]:

الأول: راجع إلى ربهم الله.

الثاني: راجع إلى الشيطان.

والسؤال البديهي: أي بلاغة، وأي بيان في ضمير يمكن أن يعود إلى الله أو إلى الشيطان؟

١٦: ١٠١

ثمة ملاحظتان بصدد هذه الآية:

أ. تُقر الآية التبديل في القرآن: ‹وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ›، وهذا يتناقض مع ما جاء في (يونس ١٠: ٦٤)[٤٧].

ب. كيف يقول الله ‹والله أَعْلَمُ› وهو المتحدث؟ فمن المفترض أن الله هو المتكلم في الآية. إذْ بينما يرد القول بضمير نحن: ‹وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ› يتحوّل الضمير فجأةً إلى هو: ‹والله أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ›. وهذا التبديل المفاجئ في الكلام، ليس له من تفسير إلاّ بأن النص تعرض لزلة تلاوة أو كتابة.

١٦: ١٠٢

راجع التعليق على (البقرة٢: ٩٧)، بالمجلد الأول من هذا الكتاب.

---

٤٥. انظر التعليق على (الحجر ١٥: ١)، صفحة ١٦٤.

٤٦. الرازي، تفسير ٢٠: ١١٧، القرطبي، تفسير ١٢: ٤٢٦. قارن: الزمخشري، الكشاف ٣: ٤٧٣ وابن كثير، تفسير ٨: ٣٥٤.

٤٧. راجع التعليق على سورة (البقرة ٢: ١٠٦)، بالمجلد الأول من هذا الكتاب، و(يونس ١٠: ٦٤)، صفحة ٦٣.

www.christianlib.com

هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ
مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ
ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى
ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ
فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا
فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠ ۞ يَوۡمَ
تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١١١
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ
مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ
يَصۡنَعُونَ ١١٢ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ
ظَٰلِمُونَ ١١٣ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن
كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ
أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٥
وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ
عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ
قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن
قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ
عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا

www.christianlib.com

١٦: ١٠٦

تعفي الآية المرء من التصريح اللفظي بالكفر وقلبه مؤمن، وتقول أن لا تثريب عليه. وكان ذلك في مكة، ولكن عندما تغير العهد وتبدلت الظروف، نُسخت هذه الإجازة. ويختلف العلماء في الناسخ، فقالوا:

- هذا الجزء منسوخ بالاستثناء الوارد في نفس الآية: ‹إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ›[٤٨].
- أو منسوخ بالاستثناء الوارد في آية: ‹إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ›[٤٩].
- أو منسوخ بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٥٠]. ويستثنى من ذلك من يمارس التقية وهو المبدأ الذي استمر ساريًا في الإسلام.

١٦: ١١٢

- قراءة الجماعة: ‹فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ›[٥١].
- وقرأ أُبيّ بن كعب: «فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ». بالتقديم والتأخير[٥٢].
- و قرأ ابن مسعود: «فَأَذَاقَهَا اللهُ الْخَوْفَ وَالْجُوعَ»، دون كلمة ‹لباس›[٥٣].

فقراءة أُبيّ بن كعب تبرهن على أن للقرّاء الحرية في تقديم وتأخير العطف، وكذلك جاءت قراءة ابن مسعود إلا أنها وردت دون كلمة ‹لباس›، لأنها بحسب الظاهر لا تتناسب مع الذوق اللُغوي وذلك بالنظر إلى الفعل المستخدم: ‹فَأَذَاقَهَا›. وقد انتبه القرطبي لهذه المعضلة فقال: وَأَصْل الذَّوْق بِالْفَمِ ثُمَّ يُسْتَعَار فَيُوضَع مَوْضِع الِابْتِلَاء[٥٤]، بمعنى أنه يمكن استعارة ‹أَذَاقَهَا› للتعبير عن الابتلاء أي: فَابْتَلاَهَا اللهُ لِبَاسَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ؛ فرغم محاولة التبرير بوجود صورة بلاغية، فإن هذه الاستعارة : ‹الِابْتِلَاء› لا تتناسب مع كلمة ‹لباس›؛ علاوة على أن إضافة كلمة ‹لباس› لا يفيد المعنى الإجمالي للآية. وبالتالي تكون قراءة ابن مسعود هي الأكثر ترجيحًا.

---

٤٨. (النحل ١٦: ١٠٦)، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ٤٣، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٩.
٤٩. (النساء ٤: ٩٨)، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٩.
٥٠. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ٤٣، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٥٩.
٥١. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٦٩٤.
٥٢. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٢٩٨. قارن: العكبري، إعراب القراءات الشواذ ١: ٧٧١.
٥٣. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٦٩٥
٥٤. القرطبي، تفسير ١٢: ٤٥٢-٤٥٣.

www.christianlib.com

لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾
وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ
أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾
إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ
وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن
ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾

١٦: ١٢٤

- قراءة الجماعة: «إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ»[٥٥] مبني للمجهول.
- وقرأ الحسن البصري وآخرون: «إِنَّمَا جَعَلَ السَّبْتَ»[٥٦]، مبني للمعلوم.
- وقرأ الأعمش: «إِنَّمَا أنزلنا السَّبْتَ»[٥٧].
- و قرأ ابن مسعود: «إِنَّا أنزلنا السَّبْتَ»[٥٨].

٥٥. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٧٠٢.
٥٦. العكبري، إعراب القراءات الشواذ ١: ٧٧٣.
٥٧. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٥: ٥٣٠.
٥٨. الخطيب، معجم القراءات ٤: ٧٠٢.

www.christianlib.com

اختار الحسن البصري وجمهور القرّاء فعل ‹جعل› السبت، بمعنى أن الله وضع السبت وفَرْضَ تَعْظِيمه؛ أما ابن مسعود والأعمش فقد اختارا فعل «أنزل»، الذي قد يعني أن الله أوحى بهذه الوصية في التوراة (الوصية الرابعة من الوصايا العشر)، المتعلقة بحرمة يوم السبت وقدسيته.

١٦: ١٢٥

في الآية تظهر السياسة التي كان محمد يتبعها في مكة من خلال الجدال الحسن مع المشركين، إلا أن هذا النهج في الدعوة للإسلام أصبح محل جدال:

قال فريق أول: **إن الآية منسوخة**

وإنها منسوخة بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٥٩].

قال فريق آخر: **إنها محكمة**

يقول أصحابه إن الجدال لا يتنافى مع القتال، لأن الآية لا تقول اقتصر على مجادلتهم[٦٠]. وهذا القول يعني أن الآية لا تحتوي على أي تسامح، لأن الغاية من الجدال هو تحويل الشخص إلى الإسلام، وإن فشلت طريقة الحوار، فبالسيف. أي إن القائلين بأن الآية محكمة، يقولون عملياً إن الجدال هو الخطوة الأولى لضم المرء إلى الإسلام، وأما إذا فشل الجدال، فالخطوة الثانية هي السيف.

١٦: ١٢٦

يعود الاختلاف بشأن ما إذا كانت هذه الآية منسوخة أم لا إلى كيفية فهمها:

القول الأول: **إنها منسوخة**

أمرت الآية المسلمين قتال من يعلن عليهم الحرب، ثم جاءت سورة التوبة لتنسخ هذا الشرط بآية السيف: ‹فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ› (التوبة ٩: ٥)[٦١]، فصار قتال غير المسلمين واجباً على المسلم في كل حينٍ وكل مكان، ولو لم يبدأ هذا الآخر الحرب.

القول الثاني: **إنها محكمة**

بعضهم قال إن الآية تأمر بمعاقبة من ظلم عقاباً على قدر ظلمه لا أكثر، وهذا حكم غير منسوخ[٦٢].

---

٥٩. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٨٧، مكي، الإيضاح ٣٣٦، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ٤٣-٤٤، ابن سلامة ٦٠، النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٤٨٧.

٦٠. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٨٧، مكي، الإيضاح ٣٣٦، شعلة، صفوة الراسخ ١٥٠-١٥١، النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٤٨٧-٤٨٨.

٦١. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٨٨.

٦٢. نفس المصدر ٣٨٨-٣٨٩.

www.christianlib.com

وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا
يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨

١٦: ١٢٧

في الآية إعلان من محمد أنه سيتمسك بالصبر بوجه كل أذى. ولدينا قولان بصدد هذه الآية من زاوية الناسخ والمنسوخ:

القول الأول: **إنها منسوخة**

قال بعضهم إن الحث على الصبر قد نُسخ بالقاعدة الواردة في آية السيف (التوبة ٩: ٥)[٦٣].

القول الثاني: **إنها محكمة**

قال أصحاب هذا الرأى إن الصبر المنشود لا يتعارض مع القتال[٦٤].

٦٣. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٨٩، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ٤٤، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٦٠، شعلة، صفوة الراسخ ١٥١.
٦٤. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٨٩، شعلة، صفوة الراسخ ١٥١.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــــــة

سُميت بسورة الإسراء لأنها ابتدأت بذكر قصة الإسراء، ولكنها كانت تُعرف في عهد محمد بسورة بَنِي إِسْرَائِيل (ابن عاشور ١٥: ٥).

السورة، حسب معظم العلماء المسلمين مكية. ولكن توجد آراء تقول بمدنية بعض الآيات فيها، وهذه الآيات محل اختلاف كبير في مدنيتها، وهي: ٢٦، ٣٢-٣٣، ٥٧، ٦٠، ٧٣-٧٤، ٧٨، ٨٠، ١٠٧، وقيل فقط: ٧٣-٨٠ (ابن عاشور ١٥: ٦).

الآية الأولى عن الإسراء لا تتصل بما بعدها، ويضع نولدكه احتمال أن يكون هناك جزء مفقود بعد الآية الأولى، أو أن الآية منتزعة من سياق آخر وموضوعة هنا (نولدكه ١٢٢). وسوف نناقش الآية الأولى في التعليقات.

والواضح من هذه الأقوال أن السورة قد تنزّلت بشكل متفرق، «والرباط الداخلي الذي يجمع الأجزاء المختلفة ضعيف ورباطها الخارجي فيه من الشوائب ما يبرر الشك في وحدة السورة» (نولدكه ١٢٥).

تعود السورة إلى فترة ما قبل الهجرة بحوالي السنة ونصف السنة (ابن عاشور ١٥: ٦)، عندما كان محمد أقل حدة تجاه قريش منه في السنة الأخيرة في مكة.

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ① وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا

١٧:١

أ. جاء في الآية ذكر: ‹الْمَسْجِدِ الأَقْصَى› على أنه المكان الذي أسرى محمد إليه من مكة. ونقرأ ما ورد لدى المفسرين عن هذا المسجد:

- «‹إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا (الأقصى)› يعني: إلى مسجد بيتِ المقدس. وقيل له: الأَقْصَى، لأنّه أبعدُ المساجدِ التي تُزارُ، ويُبتغى في زيارته الفضلُ بعد المسجد الحرامِ»[١].
- «سُمِّيَ الأقصى لِبُعْدِ ما بينه وبين الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ [في مكة]»[٢].

حينما نقرأ ذكر ‹الْمَسْجِدِ الأَقْصَى›، وأقوال المفسرين عنه، يتبادر إلى ذهننا سؤال: كيف وُجد هذا المسجد في بيت المقدس، ولم يكن في بيت المقدس سوى دور العبادة المسيحية، ولاسيما بعد هدم هيكل سليمان في القرن الأول الميلادي؟ في ذلك العهد ـ الذي تتحدث عنه الآية ـ لم يكن ثمة مساجد للإسلام في أي مكان، ولا حتى في مكة. علمًا بأن بناء المسجد الأقصى بدأ في العصر الأموي، وأُنجز العمل به في سنة ٧٢ هجرية (٦٩١ م)، في عهد الخليفة الأموي الخامس عَبْدِ المَلِك بن مَرْوَان (٦٤٦ ـ ٧٠٥ م)[٣].

١. الطبري، تفسير ١٤: ٤٢٠.

٢. القرطبي، تفسير ١٣: ١٦.

3. Lundquist, *The Temple of Jerusalem* 190-191

www.christianlib.com

فكيف حدث الإسراء إلى مسجد لم يُبنَ بعدُ؟ وهل يوجد تفسير لذكر: ‹الْمَسْجِدِ الأَقْصَى› في آية مكية؟ يبدو أنه بعد أن بنى المسلمون الْمَسْجِد الأَقْصَى، قرروا منحه شرعية إسلامية، فقالوا إن هذا هو المسجد الذي أسرى إليه محمد. ومن الواضح أن حكاية الإسراء والمعراج «صدىً لإسراء [إيليًّا] النبي إلى سيناء ليرى الله[٤]، وصدى لمعراج [إيلِيًّا] إلى السّماء في عربة من نار[٥]»[٦].

ويرى «فايل»[٧] أن الآية الأولى من سورة الإسراء نُظمت وأُدرجت في القرآن في عهد أبي بكر، ويضيف القول إن من غير الممكن أن يدّعي محمد لنفسه هذه الرحلة العجائبية. إضافةً لذلك، فإن آية الإسراء لا تتصل بما بعدها[٨]، إذْ تعقبها فورًا حكاية موسى.

يظهر جليًا من القفزة بين الآية الأولى والآيات اللاحقة، وكذلك من اختلاف الفاصلة (القافية) في الآية عما بعدها من الآيات، أن الآية الأولى مضافة إلى السورة، لكننا لا نوافق فايل بأن الآية أُضيفت في عهد أبي بكر، بل نرجّح أنها نُظمت وأُضيفت إلى القرآن في فترة أبعد. وربما أضيفت هذه الآية في عهد الأمويين، في حقبة بناء المسجد الأقصى.

ب. أغلب علماء الإسلام يتبنون القول بأنه عقب الإسراء (مكة ← بيت المقدس) حدث المعراج (الأرض ← السماء)، ولكن الآية الأولى من السورة لا تشير إلى المعراج، ولا يوجد فيها ما يدعم هذا القول، لا بل إن في آية أخرى من سورة الإسراء نفسها جاء أن القرشيين طلبوا من محمد أنْ يصعد إلى السماء ويعود إليهم بكتاب يثبت نبوته، فاعتذر عن ذلك، وقال لهم: ‹سُبْحَانَ رَبِّي! هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً؟›» (الإسراء ١٧: ٩٣).

ونعتقد أن المفسرين أضافوا قصة المعراج للآية متأثرين بكتاب «رؤيا أخنوخ الثالث»، الذي يعود تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد، ويتحدث عن معراج إيليا، لا سيما أن قصص هذا الحدث كانت معروفة في الجزيرة العربية[٩].

---

٤. سفر ملوك الأول ١٩.

٥. سفر ملوك الثاني ٢.

٦. الحداد، أطوار الدعوة ٤٨٣.

7. Gustav Weil (1808-1889).

٨. نولدكه، تاريخ القرآن ٣١٥-٣١٦.

9. Lundquist, *The Temple of Jerusalem* 187.

www.christianlib.com

تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ۝٢ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا
شَكُورٗا ۝٣ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ

١٧: ٤

- قراءة الجمهور في صيغة المفرد ‹فِي الْكِتَابِ›[١٠].
- وقد وردت قراءة أخرى في صيغة الجمع لأبي العالية، وسعيد بن جبير: «فِي الْكُتُبِ»[١١].

ويُقصد ‹في الْكِتَابِ› التوراة[١٢]؛ أما صيغة الجمع: ‹الْكُتُبِ› فتعني كتبًا أخرى بجانب التوراة. وهذا الاختلاف راجع لرسم المصحف ‹الكتب›، فالكلمة الإشكالية جاءت بدون ألف المدّ في وسطها، كما هو الحال في المصاحف والمخطوطات الأولى للقرآن. وبالتالي فمن الصعب تحديد كون المفردة بالجمع كظاهر الرسم أم بالإفراد.

ونتساءل: هل يقصد القرآن التوراة فقط؟ أم التوراة والزبور وغيرهما؟

١٠. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٩.
١١. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٣٠٧، الخطيب، معجم القراءات ٥: ٩.
١٢. الزمخشري، الكشاف ٣: ٤٩٤-٤٩٥.

www.christianlib.com

١٧: ٤-٥

تفيد الآية (٤) أن الله قد قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب (أي التوراة) بأنهم سوف يفسدون ‹فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ›. ولما جاء الوعد، جاءهم أناس ‹أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ› (آية ٥).

إن النص القرآني لا يدخل في التفاصيل. ومن ثم، فالقارئ مضطر لمحاولة فهم النص من خلال المفسرين الذين تنوعت وتضاربت أقوالهم بهذا الشأن. وفيما يلي الخطوط العامة لأقوال المفسرين في محاولاتهم لشرح هذا النص:

قول أول	• حينما كذّب بنو إسرائيل إرميا وتعرضوا له، فإن الله أحل عليهم غضبه من خلال جيش أهل بابل الذين كانوا تحت حكم بُختَنَصَّر في المرة الأولى، أو: • يُروى أن الله أرسل عليهم جالوت فقتلهم. ثم جاءهم بُختَنَصَّر ثانيةً فقتلهم ودمّرهم تدميرًا.	القرطبي ١٣: ٢٠-٢١
قول ثانٍ	• سَنْحاريب ملك بابل، جاء ومعه ست مئة ألف راية، تحت كل راية مئة ألف فارس [أي إن العدد **ستون مليار فارس!!**]. فأتى بيت المقدس، فهزمه الله، وأمات جميع هذا الجيش إلا سَنْحاريب وخمسة أشخاص من كتّابه. ثم عفا بنو إسرائيل عن سَنْحاريب فرجع إلى بابل. • مات سَنْحاريب بعد سبع سنوات، واستخلف بُختَنَصَّر، وفي هذه الأثناء تدهورت الأحوال الأخلاقية في إسرائيل وقتلوا نبيهم شَعْيَا، فجاء بُختَنَصَّر ودخل بيت المقدس وأباد بني إسرائيل.	القرطبي ١٣: ٢١-٢٢ قارن: الطبري ١٤: ٤٥٩-٤٦٠
قول ثالث	• بعد أن فسد بنو إسرائيل وانتشرت بينهم الرذيلة، وتكرر قتل الأنبياء، فإن الله سلط عليهم بُختَنَصَّر، حيث أباد من أباد، ورحّل الباقين إلى أرضه. • ثم عاد بنو إسرائيل إلى أرض أجدادهم، وبعد حين من الدهر جاءهم جالوت فأهلكهم.	الرازي ٢٠: ١٥٦-١٥٧

يتضح من كلام المفسرين مدى حيرتهم في محاولاتهم ايجاد مخرج لتفسير هاتين الآيتين، مما أوقعهم في أخطاء تاريخية وغير منطقية. فعلى سبيل المثال: القول إن سنحاريب ملك بابل، بينما المعروف تاريخيًا أنه كان ملك آشور[١٣]، وإهلاك الله لستين مليارًا من جنود سنحاريب، الأمر غير الواقعي، مع خلط الشخصيات فيما يتناقض جذريًا مع المعطيات التاريخية، كجعل جالوت (جليات) مثلاً بعد بختنصر (نبوخذ نصر).

13. *Holman Bible Dictionary* 1245.

www.christianlib.com

عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأۡسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدًا مَّفۡعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ

الخلاصة

النص القرآني شديد الغموض، فهو يشير إلى ما اعتبره قرارًا إلهيًا بإنزال دمار على بني إسرائيل، ولكن بدون أية تفاصيل، ولهذا نجد بعض الروايات تتجنب بدورها التفصيل، بل تتحدث بالعموم عن الفساد، مثل الرواية الواردة لدى الزمخشري التي تقول إن الفساد الأول المشار إليه بالآية هو قتل زكريا وسجن أرميا. والفساد الثاني هو قتل يحيى بن زكريا والتخطيط لقتل المسيح[١٤].

ومن ثَمَّ، فإن النص القرآني غير مفهوم بحد ذاته، كما أن المفسرين أدرجوا أحداثًا وأسماءً كثيرة، مما أبقى النص غامضًا حتى مع وفرة الشروحات. وهذا ما توصّل إليه الرازي ضمنًا، إذ قال: «واعلم أنه لا يتعلق كثير غرض في معرفة أولئك الأقوام بأعيانهم، بل المقصود هو أنهم لما أكثروا من المعاصي سلط عليهم أقوامًا قتلوهم وأفنوهم»[١٥].

١٧: ٥

أ. ‹عِبَادًا›

- قرأ الجمهور: ‹عِبَادًا›[١٦].
- وقرأ الحسن البصري وآخرون: «عَبِيدًا»[١٧].

‹عباد› هي جمع «عابد»، وأما «عبيد» فهي جمع «عَبْد». وغالبًا ما تُستعملُ كلمة «عَبِيد» للمملوكين و«عِبَاد» بمعنى المؤمنين المتقين. والملاحظ أن صفة «العبيد» تأتي في القرآن بمعنى:

١٤. الزمخشري، الكشاف ٣: ٤٩٤-٤٩٥.
١٥. الرازي، تفسير ٢٠: ١٥٧.
١٦. الخطيب، معجم القراءات ٥: ١٢.
١٧. نفس المصدر.

www.christianlib.com

الناس عامة، والأشرار خاصة[١٨]. أما ‹عباد› فتأتي في القرآن مقترنةً بالأخيار[١٩]: ‹إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ› (الصافات ٣٧: ٤٠، ٧٤، ١٢٨، ١٦٠)؛ الأمر الذي يؤكده البيضاوي في تفسيره لكلمة ‹يَاعِبَادِ› في (الزخرف ٦٨:٤٣)، بقوله: «لفظ العباد وإن كان يُطلق لكل من هو مملوك مخلوق لله تعالى إلا أن **المراد به المتقون** خاصة بقرينة ذكره عقيب الآية السابقة مع أن **عادة القرآن العظيم جارية على تخصيص لفظ العباد بالمؤمنين المتقين**»[٢٠]. وبالتالي، فسياق الآية لا يتماشى مع هذه الصفة «عباد الله»، لأنه ليس هناك ما يدل على إيمان هؤلاء المحاربين الأشداء. وقد وصفهم الزمخشري بأنهم «كفرة»، وكذلك أيضًا الحسن، وقيل أنهم: جنود سنحاريب، أو بختنصر وجنوده، أوالعمالقة[٢١]. أوغيرهم ممن قتلوا علماء بني إسرائيل و«أحرقوا التوراة، وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفًا»[٢٢].

ونتساءل: إذا كان هؤلاء «كفرة»، فكيف يعبر عنهم القرآن بـ ‹عبادًا لنا›، أي بالمؤمنين المتقين؟

ب. ‹فَجَاسُوا›

- قراءة الجمهور: ‹فَجَاسُوا›[٢٣].
- وقرأ ابن عباس وآخرون: «فَحَاسُوا»[٢٤].

الجَوْس: مصدر جاسَ جَوْسًا وجَوَسانًا، تردّد، وأيضًا طلب الشيء باستقصاء. أما الحَوْس: انتشار الغارةِ والقتلُ والتحرّك في ذلك، وقيل: هو الضربُ في الحرب، والمعاني مُقْتَرِبَةٌ[٢٥]. والمعنى مختلف والفرق واضح. فسياق الآية يتحدث عن وقوع غزو، فبالتالي قراءة ابن عباس هي الأقرب إلى المعنى من قراءة الجمهور.

ونتساءل: هل كان عُري المصاحف الأولى من التنقيط سببًا في مثل هذا الاختلاف؟

---

١٨. انظر (آل عمران ٣: ١٨٢، الأنفال ٨: ٥١، الحج ٢٢: ١٠، فصلت٤١: ٤٦، ق ٥٠: ٢٩).
١٩. انظر على سبيل المثال (البقرة ٢: ١٨٦، الفرقان ٢٥: ٦٣، الصافات ٣٧: ٤٠، ٧٤، ١٢٨، ١٦٠).
٢٠. الحنفي، حاشية محيي الدين شيخ زاده ٧: ٤٨٤. التشديد لنا.
٢١. الزمخشري، الكشاف ٣: ٤٩٥، و القرطبي، تفسير ١٣: ٢١-٢٢.
٢٢. الزمخشري، الكشاف ٣: ٤٩٥.
٢٣. الخطيب، معجم القراءات ٥: ١٣.
٢٤. نفس المصدر.
٢٥. ابن منظور، لسان العرب ٧٢٦، ١٠٤٨.

www.christianlib.com

أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا
جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ
مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ٧ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ
عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ٨ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي
هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا
كَبِيرٗا ٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٠ وَيَدۡعُ
ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ١١ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ
وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا
مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ
تَفۡصِيلٗا ١٢ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤
مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ
وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن
نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا
تَدۡمِيرٗا ١٦ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ١٧ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ
لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ
ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩

www.christianlib.com

١٧: ١٦

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا...›.
- وقرأ أبيّ بن كعب: «بَعَثْنَا فِيهَا أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا فَمَكَرُوا فِيهَا...»[٢٦].

تقول القراءة الشائعة إن الدمار سيحل بالقرية نتيجة فسق المترفين، بينما تعني قراءة أبيّ أن أكابر مجرميها هم الذي يمكرون بالقرية، وكأن القول يفيد أنهم ينشرون الفسق. وهنا يصبح لدينا اختلاف في صياغة الآية نفسها كما في معنى الآية. وليس من الضروري أن يكون المترف الذي يعيش في تنعم فاسقًا، وإلا كان كل مترف فاسق شرير. وقد جاءت قراءة ابن كعب أكثر موضوعية إذ أشارت إلى المجرمين مباشرة سواء كانوا مترفين أم فقراء.

١٧: ١٦

يرد حكم لله في الآية أنه إنْ أراد هلاك بلد ما، أَمَرَ ‹مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا›، ويُفهم منها أن الله عندما يقرر إهلاك قرية ما، فإنه يهيئ الأرضية التي تمهد لإبادتها، ويخلق المبرر لنزول العذاب. وحسب شروحات المفسرين، فإن الآية تعني:

أ. إن الله يأمر مُترفيها بالطاعةِ، لكنهم يعصون الأوامر الإلهية، فيستحقون العذاب[٢٧].

ونعقب: حتى لو فسقت شريحة من أهل القرية، فلماذا يطال العذاب كل أهلها؟ وأين قول القرآن في خمسة مواضع: ‹وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى›[٢٨].

ب. يكثّر الله عدد المترفين[٢٩].

ونعقب: لماذا يكثّر الله عدد المترفين، هل ليهلك أهل القرية؟ ألم يكن من العدل أن يقلل عدد المترفين ويُبقي على حياة الباقين، أو على الأقل يهلك هذا العدد المحدود من المترفين الفاسقين، لا أن يزيدهم؟

ج. إن معنى الآية: أمّرنا مترفيها، أي: جعلناهم أمراء، أيْ سلّطناهم بالإمارة[٣٠].

ونعقب: نعقب على ج مثل التعقيب على أ.

٢٦. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٣١٤.
٢٧. الطبري، تفسير ١٤: ٥٢٧، الرازي، تفسير ٢٠: ١٧٥.
٢٨. (الأنعام ٦ : ١٦٤، الإسراء ١٧: ١٥، فاطر ٣٥: ١٨، الزمر ٣٩: ٧، النجم ٥٣: ٣٨).
٢٩. الطبري، تفسير ١٤: ٥٣٠-٥٣١، الرازي، تفسير ٢٠: ١٧٦.
٣٠. الرازي، غرائب آي التنزيل ٢٧٤-٢٧٥.

www.christianlib.com

كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ٢٠
ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ
تَفْضِيلًا ٢١ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ٢٢ ۞ وَقَضَىٰ
رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ
أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣
وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ٢٤
رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ
غَفُورًا ٢٥ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ٢٦
إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ٢٧ وَإِمَّا
تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ٢٨ وَلَا

إن التأويلات التي يقدمها المفسرون لا تناسب منطوق الآية التي تعلن بجلاء أن الله يدبر الهلاك للقرية بواسطة دفع المترفين نحو اتجاه ضالٍ؛ لهذا بعد أن يتناول الرازي مختلف التأويلات، يقول: «واعلم أن جميع الوجوه الثلاثة التي ذكرناها في التمسك بهذه الآية، لا شك أنّ كلها عدول عن ظاهر اللفظ»[٣١]. وقد أغفل الرازي واقعة أن هذه الوجوه الثلاثة تجعل الله ظالمًا، لأنها تصوره وهو يدفع المترفين باتجاه الشرّ، ثم يعاقب أبرياء على خطايا المجرمين.

وأخيرًا: إنْ كان قصد الآية ـ وهي التي تقرر حكمًا إلهيًا ـ أحد الوجوه الثلاثة، فلماذا أتت بهذا الشكل الملتبس، ولم توضح ما هو المقصد الحقيقي منها.

٣١. الرازي، تفسير ٢٠: ١٧٨.

www.christianlib.com

١٧: ٢١

- قراءة الجماعة: ‹وَأَكْبَرُ›[٣٢].
- وقُرِيء: «وَأَكْثَرُ»[٣٣].

كما سبق وأشرنا في المجلد الأول من هذا الكتاب (انظر التعليق على البقرة ٢: ٢١٩)، فإن كلمة ‹أَكْبَرِ› هي صفة للحجم أكثر منها للعدد، بينما كلمة «أَكْثَرَ» صفة للعدد.

١٧: ٢٣

أ. ‹وَقَضَى›

- قراءة الجمهور: ‹وَقَضَى›[٣٤].
- وقرأ ابن عباس: «وَوَصَى»[٣٥].
- وقرأ أُبي بن كعب: «ووصى»[٣٦].
- وعن قتادة أنه في حرف ابن مسعود: «ووصى»[٣٧].
- وقرأ الضحاك بن مزاحم: «ووصى»[٣٨].

ويعلل ابن عباس قراءته بالقول: إن أصل الكلمة «ووصى» فالتصقت الواو بما بعدهما فصارت ‹وَقَضَى›[٣٩]. ويبرر ابن عباس قراءته بالقول: «ولو كان على القضاء [أي: ‹وَقَضَى›] ما عصى الله أحد قَطّ؛ لأن خلاف قضاء الله ممتنع»[٤٠]. كما أخرج أبو عبيد عن ابن عباس قوله: «أنزل الله هذا الحرف على لسان نبيه...«ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه» فلصقت إحدى الواوين بالصاد، فقرأ الناس: ‹وقضى ربك›. ولو نزلت على القضاء ما أشرك به أحدٌ»[٤١].

---

٣٢. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٧.
٣٣. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ١٩.
٣٤. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٧.
٣٥. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٣١٥، الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٧.
٣٦. السيوطي، الدر المنثور ٩: ٢٨٧. وانظر ابن كثير، تفسير ٨: ٤٦٦-٤٦٧.
٣٧. السيوطي، الدر المنثور ٩: ٢٨٨. انظر الطبري، تفسير ١٤: ٥٤٢.
٣٨. ابن كثير، تفسير ٨: ٤٦٦-٤٦٧.
٣٩. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٧.
٤٠. الرازي، تفسير ٢٠: ١٨٥.
٤١. السيوطي، الدر المنثور ٩: ٢٨٧، أيضًا بحسب محقق الدر المنثور.

www.christianlib.com

رُفضت قراءة ابن عباس من جانب العلماء المسلمين[٤٢] كقراءة رسمية. وحدد الرازي سبب الرفض بقوله: «وأعلم أن هذا القول بعيد جدًا **لأنه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد تطرق إلى القرآن، ولو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك أنه طعن عظيم في الدين**»[٤٣]. أي أن الأمر لا يقاس بمقياس الصح والخطأ، بل ما يهم هو توفير الأمان لمصداقية القرآن.

فالله ‹إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ› (البقرة ٢: ١١٧)، أما الإحسان إلى الوالدين، على سبيل المثال، فكان وصية فقط وليس قضاءً: ‹وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا...› (الأحقاف ٤٦: ١٥).

ففي هذا الخبر من الرازي نرى بكل وضوح الحرج أو المعضلة التي وقع فيها رسم المصحف وعلماء المسلمين. فكلمة «وَوَصَى» أقوى وأكثر منطقية من‹وَقَضَى›، إضافة إلى أن ابن عباس دافع عن موقفه دون أن يكترث إلى أنه يُؤكد بذلك على تغيير وتحريف القرآن.

ونتساءل: لماذا يجدُ علماءُ المسلمين قراءةَ ابنِ عباسٍ خطرًا وانتهاكًا لقدسيةِ القرآنِ؟ وهل يرتكزُ رفضُهم على ذكرِه تعديلًا باديًا على هذه الآية؟ ثم، لِمَ خُصَّ بالانتقادِ على قراءتِه، بينما تستخدمُ القراءاتُ الأخرى صياغتَهُ نفسَها على نحوٍ دقيقٍ؟

ب. ‹يَبْلُغَنَّ›

- ‹إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا›
- جاء في مصحف ابن مسعود: «إِمَّا يَبْلُغَانِ عِنْدَكَ الْكِبَرَ إِمَّا واحد وَإما كِلَاهُمَا»[٤٤].

كلمة «يبلغانِ»[٤٥] في مصحف ابن مسعود لا تخالف رسم مصحف عثمان، لأن ألف المدّ كان من النادر كتابتها في وسط الكلمة، كما هو الحال في المصاحف الأولى للقرآن. وبالتالي يجوز

٤٢. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٧.

٤٣. الرازي، تفسير ٢٠: ١٨٥. التشديد لنا.

٤٤. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٤٠، وقارن مع السجستاني، كتاب المصاحف ٦٤، (طبعة ١٩٣٦)، والسجستاني، كتاب المصاحف ٣٢١ (طبعة ٢٠٠٢). كلمة «يبلغانِ» تعود إلى الطبعة الأولى للسجستاني، وهي الكلمة الأصح، ونحن نتساءل لماذا تغيرت لاحقًا في الطبعة الحديثة للسجستاني إلى «يبلغنّ»؟

٤٥. في القراءتين جاءت «إن» شرطية متصلة بما الزائدة للتأكيد. وورد في القراءة الشائعة للقرآن ‹يبلغنَّ› بنون التوكيد الثقيلة (انظر الدرويش، إعراب القرآن ٤: ٣٣٩)، خلافًا لمصحف ابن مسعود الذي ورد فيه «يبلغان» بتخفيف النون. .

www.christianlib.com

رسمها على الوجهين. إلا أن صيغة التوكيد في ‹يبلغنَّ› في هذا الموضع غير مستساغة البتة، حيث لا تنسجم مع البلاغة، كون كلمة «يبلغنَّ» هي فعل الشرط. والأَولى هو أن يقع التوكيد في جواب الشرط، ليصبح «فلا تقولنَّ» ليفيد التشديد على النهي عن قول ‹أفٍ لهما›، كما يظهر من الجدول التالي:

أين موضع التشديد الصحيح؟
قراءة غير مستساغة في القرآن الحالي للتشديد: ‹يبلغنَّ›
‹إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فلا تقل لهما›
قراءة مفضلة للتشديد: «تقولنَّ»
«إِمَّا يَبْلُغَانِ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فلا تقولنَّ لهما»

١٧: ٢٤

تطلب الآية من المسلمين الدعاء للوالدين بالرحمة، ولكن هذا الدعاء نُسخ في حال كان الأبوان غير مسلمين وذلك بموجب الآية: ‹مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى› (التوبة ٩: ١١٣)[٤٦]؛ فعندما يموت الأبوان على غير دين الإسلام، فلا يحق للأبناء الترحم عليهما ولا الدعاء لهما[٤٧].

---

٤٦. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٩٠-٣٩١، مكي، الإيضاح ٣٣٧، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٤، النحاس، الناسخ والمنسوخ ٢: ٤٨٩، الطبري، تفسير ١٤: ٥٥٣-٥٥٥.

٤٧. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٦٠.

www.christianlib.com

تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا
مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا
بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ
كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا
تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ
سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا
بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾
وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾
وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ
عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ
ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ
إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا
مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ
لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ
إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ
سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا
تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا

www.christianlib.com

١٧: ٤٢، ٤٣

- القراءة الشائعة للقرآن ‹يَقُولُونَ›، في كلتا الآيتين.
- وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، والأعمش "تَقُولُونَ" في الآيتين.[٤٨]
- وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن عامر "تَقُولُونَ" في الآية ٤٢.[٤٩]
- وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن عامر "يَقُولُونَ" في الآية ٤٣.[٥٠]

في الآية ٤٠ بدأ النص القرآني بصيغة الخطاب: ‹ربكم› ...‹إنكم›... ‹لتقولون›، ثم التفت في الآية التي تليها باسلوب الحكاية: ‹ليتذكرون›...‹وما يزيدهم›، مما سبب صعوبة في تحديد صيغة الآية ٤٢ بين الخطاب والحكاية، فمن قرأها بالتاء فقد اعتمد على الآية ٤٠، وأما من قرأها بالياء فقد اعتمد على الآية ٤١، وكذلك الأمر في ٤٣. وغياب التنقيط في المصاحف الأولى جعل من المستحيل تحديد القراءة الصحيحة في بعض الحالات. ونحن نرجح القراءة بالخطاب، لنشوز الآية ٤١ عن السياق، وهي التي تتحدث عن القرآن كتذكرة وعبرة، رغم كونه في البدايات الأولى للدعوة، حيث يبدو أنها أقحمت في هذا الموضع، الأمر الذي أدى إلى هذا الارتباك. وقد أوضح نولدكه أن هذه السورة قد تنزّلت بشكل متفرق، "والرباط الداخلي الذي يجمع الأجزاء المختلفة ضعيف ورباطها الخارجي فيه من الشوائب ما يبرر الشك في وحدة السورة"[٥١]، كما سبق وأشرنا في مقدمة هذه السورة.

١٧: ٤٤

- القراءة الشائعة للقرآن ‹تُسَبِّح له السموات السبع والأرض› بصيغة المؤنث.
- وقرأ ابن كثير ونافع وآخرون "يُسَبِّح له السموات السبع والأرض"[٥٢] بصيغة المذكر.
- وجاء في مصحف ابن مسعود: "سبحت له الأرض وسبحت له السموات" بالتقديم والتأخير، مع استخدام صيغة الماضي: "سبحت له"[٥٣]، دون ذكر كلمة ‹السبع›.

---

٤٨. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٦٩-٧٠.
٤٩. نفس المصدر ٥: ٦٩.
٥٠. نفس المصدر ٥: ٧٠.
٥١. نولدكه، تاريخ القرآن ١٢٥.
٥٢. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٧١.
٥٣. السجستاني، كتاب المصاحف ٣٢١، الخطيب، معجم القراءات ٥: ٧٢.

www.christianlib.com

بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ
وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا
مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾
۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ
فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ
رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ
فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى

من قرأ بصيغة التأنيث قال إن ذلك يرجع لأن السماء مؤنثة. ومن قرأ بالتذكير اعتبر أنه تأنيث غير حقيقي[٥٤].

أما من جهة استخدام ابن مسعود لصيغة الماضي فذلك يوافق ما ورد في القرآن في آيات تتحدث عن تسبيح السماوات والأرض:

- ‹سَبَّحَ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...› (الحديد ٥٧:١)
- ‹سَبَّحَ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...› (الحشر ٥٩:١)
- ‹سَبَّحَ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...› (الصف ٦١:١)

٥٤. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٧١.

www.christianlib.com

أما القراءة الشائعة للقرآن فقد أتت بصيغة المضارع مثل الآيات التالية:

- ‹يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...› (الحشر ٥٩: ٢٤)
- ‹يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...› (الجمعة ٦٢: ١)
- ‹يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...› (التغابن ٦٤: ١)

ومن المرجح أن الاختلاف بين القراءة الشائعة وقراءة ابن كثير قد حدث بسبب عُري المصاحف الأولى من التنقيط والتشكيل. أما الفرق بينها وبين مصحف ابن مسعود، فيبدو أنه كان للقراء الأوائل مساحة واسعة لاختيار القراءة المناسبة لهم بحسب استحسانهم الشخصي، وتدوينها في مصاحفهم.

١٧: ٤٥

رُوي أن محمدًا كان يتعرض لأذى من جانب بعض القرشيين أثناء تلاوته للقرآن، فجعله اللهُ غيرَ مرئي بالنسبة لهم[٥٥]، وذكرت الآية الخبر: ‹جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ **حِجَابًا مَّسْتُورًا**›، والمقصود: «**حِجَابًا ساتِرًا**».

لكن كيف برّر المفسرون استعمال الآية لصيغة المفعول ‹**مَّسْتُورًا**› عوضًا عن صيغة الفاعل «**ساتِرًا**»؟ قالوا: إن ‹مَّسْتُورًا› تعني: «ذو ستر»، في حين أن الأخفش قال إن: «المستور هنا بمعنى السّاتر، فإن الفاعل قد يجيء بلفظ المفعول»، وتحليل الأخفش يتحفظ عليه كثيرٌ من علماء الإسلام[٥٦]. آخرون هربوا من اللفظة الخاطئة قائلين: «هو حجاب لا يُرى، فهو مستور، ويجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب، فهو مستور بغيره»[٥٧].

تأويلات تحيّر القارئ والغاية منها التعمية على الخطأ في اللفظة، والتي نتجت من التقيد بالفاصلة: غَفُورًا (آية ٤٤) ـ مَّسْتُورًا (آية ٤٥) ـ نُفُورًا (آية ٤٦) ـ مَّسْحُورًا (آية ٤٧).

٥٥. القرطبي، تفسير ١٣: ٩٤-٩٥.
٥٦. الرازي، تفسير ٢٠: ٢٢٣. قارن: الطبري، تفسير ١٤: ٦٠٨.
٥٧. الزمخشري، الكشاف ٣: ٥٢٣.

يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ
لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن
يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ
زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ
عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ
أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

١٧: ٥٤

تقول الآية لمحمد أن رسالته تقتصر على تبليغ الإسلام للناس، وأنه ليس رقيبًا أو وكيلاً على أحدٍ[٥٨]. ولدينا بشأن نسخها قولان:

القول الأول: إنها منسوخة

رأى بعضهم أن الآية منسوخة بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٥٩].

القول الثاني: إنها محكمة

فسر البعض ‹وَكيلاً› بمعنى قادر على إصلاح قلوبهم، وبالتالي فالآية محكمة[٦٠]. أي ما يطلب من محمد حسب هذا الشرح هو إكراه الناس على اعتناق الإسلام لفظًا، وأما مسألة أن يؤمنوا حقًا بالإسلام، فهو خارج نطاق واجباته. وما يهم أصحاب هذا القول هو عملية الأسلمة بحد ذاتها، لا صدق إسلام المرء.

٥٨. الطبري، تفسير ١٤: ٦٢٥

٥٩. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٩٢، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٤، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٦١.

٦٠. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٩٢.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

١٧: ٥٧

أ. ‹يدعون›

- قراءة الجماعة: ‹يَدْعَون› بصيغة الغائب[٦١].
- قراءة ابن مسعود وابن عباس وآخرين: «تَدْعون» بصيغة المخاطب[٦٢].

قيل أن الذين أمر محمد أن يقول لهم هذا القول «...كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَة وَعُزَيْرًا وَالْمَسِيح، وَبَعْضهمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنْ الْجِنّ»[٦٣]

وفيما يلي نوضح الفرق بين القراءتين في مَن يشير إليهم ضميرا الغائب والمخاطب:

- ‹يَدْعَون [أي الملائكة يدعون] يبتغون [أي الملائكة يبتغون]›
- «تَدْعون [أي أنتم أيها المشركين] يبتغون [أي الملائكة يبتغون]»

اعتمدت قراءة الجماعة على صيغة الغائب ‹يملكون› في الآية السابقة. أما قراءة ابن مسعود وابن عباس فقد اعتمدت على صيغة المخاطب ‹عنكم› في الآية السابقة أيضًا.

غموض الآيات وغياب التنقيط جعل القراء الأوائل يختلفون في فهمهم للمقصود من الآية، وبالتالي استخدم القراء الضمائر بناءً على ذلك.

ونتساءل: من المخاطب في الآية؟ هل هو محمد، بحسب قراءة ابن مسعود؟ أم من يدعون الجن، بحسب قراءة الجماعة؟

ب. ‹إِلَى رَبِّهِمُ›

- قراءة الجمهور: ‹إِلَى رَبِّهِمُ›، أي إلى رب الملائكة[٦٤].
- قراءة ابن مسعود: «إِلَى رَبِّكَ» بالكاف هي خطابٌ لمحمدٍ، والمقصود إلى رب محمد[٦٥].

٦١. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٨١.
٦٢. نفس المصدر.
٦٣. الطبري، تفسير ١٤: ٦٢٧.
٦٤. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٨١.
٦٥. نفس المصدر.

www.christianlib.com

وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا
شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ۝٥٨ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ
أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ
بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ۝٥٩ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ

سياق الآية ‹عَذَابَ رَبِّكَ› وما قبلها ‹وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ› (الإسراء ١٧:٥٥) يشير إلى أن الخطاب موجه لمحمد، وبناءً على ذلك فقد جاءت قراءة ابن مسعود «إِلَى رَبِّكَ» لتتماشى مع هذا السياق. وباختلاف القراءات يتحول الحديث عن «الملائكة أو النبيين» إلى الحديث عن «المشركين»، وأيضًا من «رب المشركين» إلى «رب محمد»! وكون ابن مسعود كان يحفظها في صدره بضمير المفرد المخاطب «ربك»، إشارة لمحمد، بينما باقي الجمهور كانوا يحفظونها في صدورهم في صيغة جمع الغائب ‹رَبِّهِمُ›، إشارة إلى إله قريش، مما يغير المعنى تمامًا، وبالتالي يشكك في وحدانية النص القرآني، والزعم بحفظه في الصدور.

١٧: ٥٨

تقدم هذه الآية رؤية مفادها أن كل قَرۡيَةٍ (مدينة) ستتعرض للهلاك والعذاب قبل يوم القيامة. والمفسرون يقولون إن كل مدينة إما أنها عرضة للهلاك والخراب أو أنه ستحل بها أنواع القتل والعذاب، بما في ذلك مكة: التي يُعتقد أنها ستخرب على يد الأحباش؛ والمدينة التي ستحل عليها المجاعات[٦٦].

٦٦. الزمخشري، الكشاف ٣: ٥٢٦.

www.christianlib.com

هذه الرؤية لمصير العالم لا ترتبط بأي عصيان بشري أو رؤية لنهاية العالم، بل مجرد قرار إلهي لا تبرير له. ويُطرح سؤال عن الهدف من وراء إهلاك المدن. ولعل السؤال يغدو استغرابًا عندما يتعلق الأمر بمكة والمدينة. ولهذا السبب ربما قالت بعض الآراء إن المقصود بهذه القرى: قرى الكفار، التي ستكون عاقبتها «أحد أمرين: إما الاستئصال بالكلية، وهو المراد من الإهلاك، أو بعذاب شديد دون ذلك من قتل كبريائهم وتسليط المسلمين عليهم بالسبي واغتنام الأموال وأخذ الجزية»[٦٧].

فنرى أن الله قد منح المسلمين حق إهلاك المدن غير الإسلامية من خلال القتل والتسلط والسبي والاستيلاء على المال والحصول على الجزية.

وهنا نتساءل:

١. لِمَ لَمْ يشرح محمد للمسلمين المقصد من الآية، فوفر علينا تأويلات غير متطابقة؟
٢. ولأي سبب قرر الله في حكمه الأزلي أن يحل الدمار بالمدن؟

١٧: ٥٩

مرات ومرات سألت قريشٌ محمدًا الإتيان بمعجزات، وكان دائمًا يرفض طلبها، وقد ردّ ذات مرة قائلاً: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾.

التبرير الذي قدمته الآية يفيد أن عدم تصديق أمم سابقة لمعجزات أنبياء آخرين سبب كافٍ لعدم تقديم محمد معجزاتٍ. وهذا تبرير عجيب، لأن القرشيين كانوا يسألون برهانًا على صدق نبوة محمد، من خلال دليل خارق للطبيعة.

تصرح الآية أن محمدًا لم يأتِ بالمعجزات، وهذا الموقف كان قد أعلنه مرارًا، خلافًا للرائج في الأدبيات الإسلامية التي تتحدث عن معجزات متخيلة لمحمدٍ[٦٨].

٦٧. الراري، تفسير ٢٠: ٢٣٤.
٦٨. انظر التعليقات على: (الأعراف ٧: ٢٦)، في المجلد الأول من هذا الكتاب، و(يونس ١٠: ٥٣)، صفحة ٦١، (الرعد ١٣: ٢٧)، صفحة ١٤٤.

www.christianlib.com

وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِۚ
وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ
أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ

١٧: ٦٠

تقول الآية إن رؤيا محمد صارت فتنة للناس، وحسب المفسرين، فإن ‹الرُّؤيَا› المقصودة تعنى أحد المعاني التالية:

١. الرؤيا هي رؤيا حقيقية أُريها محمدٌ ليلة أسرى به، وليست برؤيا منام[٦٩]؛
٢. الله أرى محمدًا في المنام مصير كفار قريش في بدر[٧٠]؛
٣. قالت طائفة من الشارحين إن الرؤيا حدثت لمحمد سنة الحديبية، فهو، وإن لم يدخل مكة في ذلك الحين بسبب اتفاق الهدنة، لكنه سيدخلها لاحقًا[٧١]، وهو ما حدث حين تم الاستيلاء على مكة، كما رأوا.
٤. نسب إلى سعيد بن المسيب أن محمدًا رأى «بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك»[٧٢].

٦٩. الطبري، تفسير ١٤: ٦٤١، الرازي، تفسير ٢٠: ٢٣٨. قارن: البغوي، تفسير ٥: ١٠٣.
٧٠. الرازي، تفسير ٢٠: ٢٣٧.
٧١. البغوي، تفسير ٥: ١٠٣، الرازي، تفسير ٢٠: ٢٣٧.
٧٢. الرازي، تفسير ٢٠: ٢٣٧.

www.christianlib.com

وأما الأقوال بشأن الشجرة الملعونة، فهي متعددة، ومنها[٧٣]:

١. شجرة الزقوم[٧٤]. وجاءت تسميتها بالشجرة الملعونة مجازًا، اعتمادًا على اصطلاح عربي يقول إن كل طعام كريه هو طعام ملعون. وقيل الملعون أكلها[٧٥]؛

٢. قيل إن الشجرة الملعونة في القرآن هي اليهود[٧٦]. وهذا التأويل من أمثلة العنصرية في الفكر الإسلامي الذي يبخس الآخر، ويحط من شأنه **لا لشيء سوى أنه يهودي**.

إذًا، لدينا في النص مسألتان: أولاهما، ما هي ‹الرُّؤيَا›، وثانيهما، ما هي ‹الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ›، وعندما نقرأ النص بحد ذاته، فلا نصل إلى فهم لقصد منه، وحينما نراجع الشروحات نصبح أشد حيرة، لأن هذا التعدد في الشروحات يزيد النص تعقيدًا.

١٧: ٦١

انظر التعليق على (البقرة ٢: ٣٤)، المجلد الأول من هذا الكتاب، و(الحجر ١٥: ٢٨ ـ ٤٢)، صفحة ١٧١.

١٧: ٦٢

تقول الآية إن إبليس طلب من الله أن يؤخر عقابه ‹إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ›، والسؤال: كيف عرف إبليس أن آدم سيطرد من الجنة، وأن مسار الكون سيتضمن يوم القيامة؟

نحن لا نجد في أي نص قرآني توضيح من أين استقى إبليس معرفته بأن ثمة يوم قيامة، إلا إذا كان النص يقصد ضمنًا أن لإبليس قدرة على معرفة المستقبل.

٧٣. وانظر السيوطي، أسباب النزول لنفس الآية.

٧٤. الطبري، تفسير ١٤: ٦٤٧-٦٤٩.

٧٥. البغوي، تفسير ٥: ١٠٣.

٧٦. الرازي، تفسير ٢٠: ٢٣٨.

www.christianlib.com

جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ
وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ
وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى
ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ
ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ

١٧: ٦٤

تخبرنا هذه الآية أن الله رد على إبليس بأن له أن يستفزز ويجلب على الناس كل ما في حوزته من قوة، ويشاركهم في الأموال والأولاد. وسنحاول أن نفهم الآية من خلال المفسرين:

﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾: استخفف واستجهل. والمقصود بالآية الغناء واللعب[٧٧]. ويقال أن كل صوت دعا إلى طاعة إبليس هو الاستفزاز[٧٨].

ويفصّل الرازي معاني: ﴿وَأَجْلِبْ﴾

١. من الجلبة، أي الصياح، والمعنى: صح عليهم بخيلك ورجلك.

٢. وقيل أجلب على العدو إجلابًا إذا جمع عليه الخيول، والمعنى: اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدك.

٣. وقيل: «يجلبون عليه بمعنى يعينون عليه»، ومعناه: «اعن عليهم بخيلك ورجلك».

٤. قيل: «أجلب الرجل على الرجل إذا توعده الشر وجمع عليه الجمع»[٧٩].

٧٧. الطبري، تفسير ١٤: ٦٥٧.
٧٨. نفس المصدر ١٤: ٦٥٨.
٧٩. الرازي، تفسير ٢١: ٧.

www.christianlib.com

معنى ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ والأَوْلادِ﴾

أما معنى ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ والأَوْلادِ﴾، فهو حسب المفسرين كالتالي:

المشاركة في الأموال: تكون «بإنفاق في غير طاعة الله»[٨٠].

وأما المشاركة بالأولاد، فالمقصود:

١. «أولاد الزنا»[٨١].

تعليق: يعلن هذا الشرح أن إبليس صار شريكًا بالولد بسبب الزنا. فهل من العدل أن يغدو الولد ثمرةً شارك بها إبليس، وهو ضحية تصرف الآباء؟ وبدلاً من أن يحمي اللهُ الولدَ من آثام الآباء فإنه يسلمه للشيطان ليصبح الشيطان مشاركًا فيه.

٢. قيل «أنها الموؤودة»[٨٢]: و هي البنت التي كانت تُدفن حية من قبل أبيها في فترة ما قبل الإسلام؛

تعليق: هذا الشرح غير واضح، فهل دفن البنات يجعل إبليس شريكًا فيهنّ، أم يجعل الآباء شركاء الشيطان؟

٣. وقيل بل نقل العقائد الكافرة إليهم[٨٣]، بأن يعلموا أولادهم «الأديان الباطلة كاليهودية والنصرانية وغيرهما».

تعليق: إضافة لما ذكرناه أعلاه من أن الأولاد يتحملون، وفقًا لهذه التفسيرات، عواقب تصرفات الآباء، فإن هذا الشرح ينضح بعداء شديد لغير المسلمين، لأنه ينظر إلى هذه الأديان كنواتج شيطانية.

٤. وقيل بل تسميتهم الأولاد: عبد الحارث وعبد شمس وعبد العزى وعبد الدار وغير هذه الأسماء[٨٤].

تعليق: لماذا يجب أن يتعرض الأبناء لنفوذ الشيطان، والآباء هم من أطلقوا عليهم هذه الأسماء؟

على ضوء ما سبق، نجد أن الله في هذه الآية قد منح إبليس قوة التأثير على الناس ﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾، رغم أنه في تلك اللحظة لم تكن حواء قد خُلِقت بعد، ولم يتضح سقوط الإنسان من الجنة. كما

---

٨٠. الطبري، تفسير ١٤: ٦٦٠.

٨١. نفس المصدر ١٤: ٦٦٤، البغوي، تفسير ٥: ١٠٥.

٨٢. البغوي، تفسير ٥: ١٠٥.

٨٣. الطبري، تفسير ١٤: ٦٦٤.

٨٤. البغوي، تفسير ٥: ١٠٥.

www.christianlib.com

وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ
فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا
كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ
ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾
وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾
وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ
وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ
شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا
تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ

أعطى له قوات داعمة ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾، وقدرة على حرف مسار الناس من خلال المشاركة في الأموال والأولاد.

ونتساءل: أليس منح الله لإبليس القدرة ليمارس سطوته بهذا الشكل سببًا كافيًا لسقوط الإنسان؟ وبالتالي ما هو مبرر معاقبة مَنْ وقع في الخطايا، ما دام لإبليس كل هذه القوى والسلطان على الناس؟

www.christianlib.com

١٧: ٧٢

نجد في الآية مسألتين:

أولاً: ثمة غموض في الآية، يخص المقصود بالعمى

القول الأول: العمى راجع إلى النّعم التي عددتها الآيات (٦٦ ـ ٧٠). والمعنى هو العمى عن هذه النعم الواردة في الآيات.

والقول الثاني: هو راجع إلى «الدنيا»[٨٥]. ويكشف هذا التباين في القول مدى الغموض في كثير من نصوص القرآن.

ثانيًا: باعتبار أن الإنسان أعمى عن شيء في الدنيا: بغض النظر عن نوعية العمى، وما إذا كان حقيقيًا أو مجازيًا، فإنه في الآخرة ولا شك سيبصر. ولهذا، ففهم الآية عسير، ولا بد من الالتجاء إلى المفسرين، الذين قدموا لنا هذه الأقوال:

١. من كان في هذه الدنيا أعمى عن الاعتبار، فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار[٨٦].
٢. ثمة من قال إن من عمي عن البراهين الحسية عن الله، فهو في الآخرة، الغائبة التي لم يرها، أعمى وأضل سبيلاً[٨٧].
٣. من كان في هذه الدنيا أعمى عن معرفة الله، فهو في الآخرة أعمى عن طريق الجنة[٨٨].
٤. من كان في هذه الدنيا أعمى القلب، حشر يوم القيامة أعمى العين والبصر[٨٩].

لا يوجد في الآية نفسها ما يرجح أي قول، ولكن الآية تشير إلى عمى متناظر: فمن هو أعمى، مجازًا أو حقيقة، هو في الآخرة أعمى أيضًا بنفس نوعية العمى. فمن كان أعمى عن أمر الله في الدنيا، فهو سيبصر خطأه في الآخرة. وإن كان أعمى عن ضلال، فسوف يتبين ضلاله في الآخرة. وبالتالي فهذه صورة عسيرة الفهم: أن يكون الإنسان أعمى في الدنيا والآخرة.

وكان يمكن الأخذ بقول الثالث، ولكن صيغة الآية لا تسمح بذلك، بل تشير إلى ظرف مكان: مكان الدنيا يقابله مكان الآخرة. والأرجح أن هذا النص جاء لينذر القرشيين بعيدًا عن أي دقة في الصياغة أو المعنى.

٨٥. البغوي، تفسير ٥: ١١٠.
٨٦. البغوي، تفسير ٥: ١١٠.
٨٧. الطبري، تفسير ١٥: ١٠-١١.
٨٨. الرازي، تفسير ٢١: ٢٠.
٨٩. نفس المصدر.

www.christianlib.com

لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾
أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ
كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

١٧: ٧٦

- القراءة الشائعة: ‹خِلَافَكَ›، بكسر الخاء، بمعنى «مخالفة لك»[٩٠].
- وقُرئ: «خِلْفَكَ»[٩١] بدون ألف، «ويجوز أن يكون بمعنى يخلفونك»[٩٢].
- قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو عن عاصم «خَلْفَكَ»[٩٣].
- في حين نجد قراءة لعطاء بن أبي رباح:«بَعْدَكَ»[٩٤].

ذكر ابن الأَنْبَارِيّ ‹خِلَافَكَ› بمعنى «مُخَالَفَتك»[٩٥]؛ وهناك من فسر هذه الكلمة ‹خِلَافَكَ› بمعنى «بَعْدك»[٩٦] كما في قراءة عطاء بن أبي رباح، وقراءة نافع وابن كثير: «خَلْفَكَ». أما قراءة من قرأ «خِلْفَكَ» فالمعنى مختلف بعض الشيء، حيث إن القراءة تعني «من أخذ مكانك وأصبح خليفة

٩٠. الخطيب، معجم القراءات ٥: ١٠٤.
٩١. نفس المصدر، وانظر العكبري، إعراب القراءات الشواذ ١: ٧٩٨.
٩٢. العكبري، إعراب القراءات الشواذ ١: ٧٩٨.
٩٣. الرازي، تفسير ٢١: ٢٤.
٩٤. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٣٣٤.
٩٥. القرطبي، تفسير ١٣: ١٣٧.
٩٦. الطبري، تفسير ١٥: ٢١.

www.christianlib.com

لك»؛ وهذه القراءات المختلفة سببها من جهة عدم وجود التشكيل[٩٧] وغياب ألف المدّ في وسط الكلمة بالمصاحف الأولى؛ ومن جهة أخرى حرية اختيار القارئ للمرادفة التي يراها مناسبة للنص كقراءة عطاء بن أبي رباح، التي تختلف كلية عن رسم المصحف، بينما تتوافق مع معنى القراءات.

١٧: ٧٨

بخصوص متى يكون «دُلُوكِ الشَّمْسِ» لدينا قولان:

أ. وقت غروب الشمس، والصلاة هي صلاة المغرب[٩٨].

ب. وقت ميلها للزوال: والصلاة هي صلاة الظهر[٩٩].

وهنا يحضرنا سؤال: أي لغة عربية هذه عندما لا يتضح من عبارة تشير إلى الزمان، أي وقت يُقصد به؟ والسؤال الآخر: لِمَ لَمْ يسأل المسلمون محمدًا عما قصده بهذه العبارة، ولاسيما أنها تحدد موعد صلاة، بما لها من أهمية؛ كون الصلاة أحد أركان الإسلام الخمسة.

١٧: ٧٩

حسب ما ورد في سورة الْمُزَّمِّلِ[١٠٠] ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾، كان ثمة لزامًا على محمد أداء صلاة الليل، ولكن جاءت هذه الآية[١٠١] لتلغي هذا الفرض ولتجعل قيام الليل عبادة ﴿نَافِلَةً﴾ تطوع على محمد[١٠٢]. إلا أن بعض المفسرين قد توسعوا في الآيتين، فقالوا إن المسلمين كانوا ملزمين بدورهم بذلك، إسوةً بمحمد، وأن إلغاء فرض صلاة الليل لصالح التطوع في أدائها ينطبق على المسلمين أيضًا مثل محمد[١٠٣].

على أي حال، يجد المرء في التفاسير اختلافات كثيرة في الرأي، ولكن الشرح الوحيد الذي ينسجم مع علاقة الناسخ والمنسوخ هو الموضح أعلاه.

---

٩٧. الداني، المحكم ٢٢-٢٣.
٩٨. الطبري، تفسير ١٥: ٢٢، الرازي، تفسير ٢١: ٢٦. قارن: البغوي، تفسير ٥: ١١٤.
٩٩. الطبري، تفسير ١٥: ٢٥، الرازي، تفسير ٢١: ٢٦، البغوي، تفسير ٥: ١١٤.
١٠٠. (الْمُزَّمِّل ٧٣: ٢-٤).
١٠١. (الإسراء ١٧: ٧٩).
١٠٢. مكي، الإيضاح ٣٤٠.
١٠٣. البغوي، تفسير ٥: ١١٥.

www.christianlib.com

مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ
وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ
ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا
بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ
رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ
كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا
كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ
تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ
تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾
أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ
تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا

www.christianlib.com

١٧: ٩٢

- قراءة الجمهور: ‹أو تُسْقِطَ السَّمَاءَ›[١٠٤].
- قرأ مجاهد: «أو يَسْقُطَ السَّمَاءُ»[١٠٥]، والسماءُ فاعل.
- وفي قراءة أخرى عن مجاهد: «أو تَسقُطَ السماءُ»[١٠٦]، بصيغة التأنيث.

قراءة الجمهور: ‹تُسْقِطَ السَّمَاءَ› تفيد أن الخطاب إلى محمد، بمعنى أن معارضيه يتحدونه أن يسقط السماءَ عليهم؛ أما قراءة مجاهد الأولى: «يَسْقُطَ السَّمَاءُ» فصيغة التذكير في هذه القراءة «يَسْقُطَ» بمعنى أن التأنيث للسماء مجازي، أو اعتبرت السماء بمثابة سقف وهو مذكر، فذكر الفعل[١٠٧]، والقراءتان لمجاهد تفيدان أن التحدي يكون للسماء بمعنى أن هي التي تسقط على معارضيّ محمد.

وخلاصة القول هو أنه باختلاف القراءات يختلف المعنى! وهذا الاختلاف في القراءتين (الجمهور ومجاهد) ناتج ولاشك عن الاختلاف في تنقيط وتشكيل رسم المصحف ‹سسط السما›.

والسؤال المطروح: أين هي الفصاحة، والبيان[١٠٨] على ضوء هذا الاختلاف ؟

١٧: ٩٣

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ›.
- قرأ ابن مسعود: «بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ»[١٠٩].

تختلف الصورة بين مصحف عثمان وقراءة ابن مسعود. فقراءة مصحف عثمان تفيد أن هذا البيت يكون ‹من زخرف›، أي ذو زخرفة عجيبة تبهر العقول. أما قراءة ابن مسعود فهي تتماشى تمامًا مع نبرة التحدي التي ترد على لسان أهل قريش، حيث طلبوا أن يكون هذا البيت «من ذهب»، الأمر الذي يتطلب على الأغلب معجزة لندرة معدن الذهب وغلاء ثمنه. وعلى النقيض،

---

١٠٤. الخطيب، معجم القراءات ٥: ١١٨.

١٠٥. نفس المصدر، وانظر عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٣٣٧.

١٠٦. الخطيب، معجم القراءات ٥: ١١٨.

١٠٧. نفس المصدر.

١٠٨. (الشعراء ٢٦: ١٩٥).

١٠٩. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٣٣٨.

www.christianlib.com

مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا
﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ
لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ
كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾
۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ
تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ
قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ
جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ
مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ
مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾
وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا
بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾

www.christianlib.com

فالقراءة الشائعة تكتفي بكون البيت ‹من زخرفٍ›، وحتى إن كانت تلك الزخارف مصنوعة من ذهبٍ، فلا يمكن بحالٍ من الأحوال مقارنتها ببيت مصنوع بكامله من الذهب. أما ما أتت به القراءة الشائعة، فلا يتعدى كونه تحديًا «باهتًا»، لا يتجاوز حدود الواقع.

أذًا فقد كان من الطبيعي قبول تحدٍ مثل هذا يؤيد قدرة الله على كل شيء، وتحقيقه يبرهن على حقيقة نبوة محمد. ولكن هذا التحدي قد ذهب أدراج الرياح بعدم استطاعة محمد الإتيان بأية معجزة لمعارضيه، على خلاف ما أتى به سائر الرسل الذين سبقوه على مر العصور؛ واكتفاء محمد بقوله أنه مجرد رسول من البشر.

ونتساءل: هل سائر الرسل الذين سبقوا محمدًا لم يكونوا من البشر؟ وعلى أي أساس يطلب محمد من معارضيه أن يؤمنوا برسالته التي لا ترتكز على أية معجزة أو برهان؟

١٧: ١٠١

في النص، يرد أن موسى أوتي ‹تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ›، ويذكر المفسرون أن الآيات التسع هي الضربات الخمس التي نزلت على المصريين (كما وردت في سورة الأعراف) والبقية هي معجزات[١١٠].

في الواقع، إن الضربات التي نزلت على المصريين كانت عشرًا، لا خمسًا[١١١].

١٧: ١٠١

- قراءة الجمهور: ‹فَسْئَلْ›[١١٢].
- وقرأ محمد رسول الإسلام: «‹فَسَالَ›...على لفظ الماضي بغير همز، وهي لغة قريش»[١١٣].

نلاحظ أنه في رسم المصحف لا يوجد كرسي للهمزة ‹فَسْئَلْ›، الأمر الذي يثير إشكالية خطيرة؛ وهي لماذا أُقحمت هذه الهمزة دون سبب؟ وخصوصًا أنها أدت إلى تحريف في بعض الكلمات في القرآن، وكمثال على ذلك ما رأيناه في (يوسف ١٢: ١٦): ‹وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ›[١١٤].

---

١١٠. الطبري، تفسير ١٥: ١٠٠، ١٠٢، القرطبي، تفسير ١٣: ١٨٢، الرازي، تفسير ٢١: ٦٥

١١١. انظر التعليق على (الأعراف ٧: ١٣٣)، المجلد الأول من هذا الكتاب.

١١٢. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٨٢.

١١٣. الزمخشري، الكشاف ٣: ٥٥٧، والخطيب، معجم القراءات ٥: ١٢٧.

١١٤. انظر التعليق على (يوسف ١٢: ١٦)، صفحة ١١٣.

www.christianlib.com

والهمز هو من اختراع الخليل بن أحمد الفراهيدي، من بعد موت محمد بفترة ليست بالقليلة[١١٥]. وقراءة محمد نفسه بحسب الزمخشري بدون همز، وهي كذلك في لغة قريش، بل ذكر النيسابوري في مستدركه على الصحيحين تحت باب «قراءات النبي صلعم مما لم يخرجاه[١١٦] **وقد صح سنده**»، قول ابن عمر «**إنما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم**»، أي من بعد محمد وصحابته[١١٧].

ونتساءل: لماذا استثنيت هذه القراءة ولم يقرأ بها المسلمون؟ وكيف يسمح المسلمون بالقراءة بخلاف قراءة محمد؟

١١٥. السيوطي، الإتقان ٢٢٤٥.

١١٦. أي صحيحا البخاري ومسلم.

١١٧. النيسابوري، المستدرك ٢: ٢٥١، والسيوطي، الإتقان ٦٢٧. التشديد لنا.

www.christianlib.com

قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا
﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ
ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا
تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا
وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

سورة الكهف مكية، لكن هناك عدم اتفاق بخصوص بعض الآيات، إذْ يقول بعض العلماء المسلمين إن فيها آيات مدنية: ١ ـ ٨، ٢٨، ٨٣ (نولدكه: ١٢٦)، ومنهم من يضيف الآيات: ١٠٧ ـ ١١٠ (ابن عاشور ١٥: ٢٤٢).

ما يميز السورة هو اشتمالها على مجموعة قصص: أصحاب الكهف (الآيات: ٩ ـ ٢٦)، وموسى والعبد الصالح (الآيات: ٦٠ ـ ٨٢)، وهو المعروف في أمهات التفاسير باسم (الخضر)، وقصة ذي القرنين (الآيات: ٨٣ ـ ١٠٢). هذه القصص ليس لها مرجعية من التاريخ الكتابي ولا العام، بل كانت أساطير متداولة في الشرق، وظّفها محمد في سياقات سياسية واجتماعية مختلفة برهاناً على معرفته بالتاريخ. وسنسلط الأضواء عليها في مواضعها في السورة.

إلى جانب القصص، نجد في السورة تحذيرات لقريش من العصيان وعدم اتباع محمد، مثلاً: ٢٦ ـ ٢٩.

ترجع السورة إلى السنة السادسة من الدعوة المكية، ومن المحتمل أن قصة الخضر وقصة ذي القرنين تعودان إلى زمن آخر، ووضعتا في هذه السورة لجمع القصص كلها في سورة واحدة (Wherry III: 77).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ
بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا
حَسَنٗا ٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ٤ مَّا لَهُم بِهِۦ
مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥
فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ إِنَّا
جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ
مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ٨ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ
ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ
وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِى ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١
ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَىُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ
نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ
إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ
لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ
عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ
وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ
لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ
ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِى فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧
وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ

www.christianlib.com

www.christianlib.com

١٨: ١-٢

في الآية: ‹أنزلَ على عبدِه الكتابَ، ولم يَجعلْ له عِوَجاً قيِّمًا› تقديم وتأخير بالألفاظ؛ حيث إن التركيب الصحيح هو: «أنزلَ على عبدِه الكتاب قَيِّمًا، ولم يجعلْ له عِوَجًا»، هذا ما تؤكده الشروحات التي تقول إن المقصود: «وأنزَل عليه كتاباً قيِّمًا، ولم يَجعْلْ له عِوَجًا»، وقال ابن عبَّاس: «أنزَل الكتابَ عدْلاً قيِّماً، ولم يَجعَلْ له عِوجَاً»[١].

إن شرح المفسرين عبر إجراء التقديم والتأخير يعيد السؤال عن صحة دعوى البلاغة القرآنية.

١٨: ٩-٢٦

يروي هذا النص قصة أصحاب الكهف على أنها قصة تاريخية. وبالعودة للتاريخ، نجد أن القصة القرآنية تعود بأصولها إلى أساطير معروفة في المصادر المسيحية بقصة «السّبعة النّيام» المتداولة قبل الإسلام. وقد رجح ابن عاشور أن مصدر قصة أهل الكهف هو «النصارى» إذ ذكر أن «قريشاً استقوا من اليهود شيئًا ومن النصارى شيئًا، فقد كانت لقريش مخالطة مع نصارى الشام في رحلتهم الصيفية إلى الشام، لأن قصة أهل الكهف لم تكن من أمور بني إسرائيل، وإنما هي من شؤون النصارى»[٢].

وقد جاءت قصة أهل الكهف في بعض المخطوطات السريانية، فأوردها يعقوب السروجي (ت ٥٢١ م) في عظة من عظاته. وقد نهلت أقدم إشارة للقصة في الأدب الأوروبي من الخرافات اليونانية. كما دُونت في كتاب لاتيني من تأليف غريغوريوس. وتقول القصة إنه لما كان دِشيوس[٣] إمبراطور روما (٢٤٩ ـ ٢٥١م) يضطهد المسيحيين أشد اضطهاد ليقضي عليهم، هرب سبعة شبان من أهالي مدينة أفسس، واختبأوا في كهف قريب من تلك المدينة، فناموا حوالي ٢٠٠ سنة تقريباً، ولم يخرجوا منه ثانية إلاّ في سنة (٤٤٧ م) في عهد الملك ثيودوسيوس الثاني[٤]. حينما استيقظوا رأوا أن المسيحية انتشرت بشكل واسع، فذُهلوا لأنهم عندما ناموا كان الناس يعتبرون الصليب علامة احتقار وعار، وحينما استيقظوا رأوه يتلألأ على تاج الإمبراطور وعلى أعلام مملكته، وعرفوا أن

---

١. الطبري، تفسير ١٥: ١٤٠.

٢. ابن عاشور، تفسير ١٥: ١٩٦. رينولدز، القرآن في محيطه التاريخي ١٩٤.

3. Gaius Messius Quintus Decius (249–251).

4. Theodosius.

www.christianlib.com

ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨
وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا
أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ
إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا
يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ١٩ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي
مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٢٠ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ

جميع رعايا المملكة الرومانية قد اعتنقوا المسيحية. وقد وظفت نحل مسيحية القصة دليلاً على القيامة، كما نجدها عند المتكلم النسطوري باباي الكبير[٥].

القصة الخرافية كانت تهدف إلى إظهار السرعة العجائبية لانتشار المسيحية، وقد وصلت الجزيرة العربية، وأخذها محمد وأضافها للقرآن. والجدير ذكره أن أغلب الروايات تتفق على أن عدد الشبان: سبعة، ولكن إحدى المخطوطات السريانية التي تعود إلى القرن السادس تقول إن العدد هو: ثمانية[6]. والقرآن بدوره يعكس هذا الاختلاف في عدد أهل الكهف، فيقول: ‹سيقولون: ثلاثةٌ رابعُهُم كلبُهم، ويقولون: خمسةً سادسُهم كلبُهم، رجماً بالغيب، ويقولون: سبعةٌ ثامنُهم كلبُهم›، ولم يعلن محمد عدد أصحاب الكهف، بل آثر أن يترك الأمر مجهولاً أيضاً، فقالت الآية: ‹قلْ: ربّي أعلم بعدَّتِهم ما يَعلَمُهُم إلاّ قليلٌ›.

هذه القصة ذُكرت في القرآن كبرهان على نبوة محمد. ولكن عدم الدقة في عدد النيام لا يستقيم مع هدف القصة هنا. ولا شك أن هناك من القرشيين الذين قالوا إنه لو كان محمد متصلاً بالسماء، لكان قد حدد بدقة عدد النيام، ولم يبق العدد أسير الاحتمالات.

---

٥. الحداد، أطوار الدعوة ٥٩٠-٥٩١. وقارن: ١٤٧-١٤٨.

6. OSQ, 147

www.christianlib.com

حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم
بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾
سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا
بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ
إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾
وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ

١٨: ٢١

- قراءة الجمهور: ‹الَّذِينَ غَلَبُوا› بصيغة الفاعل[٧].
- وقرأ الحسن البصري وآخرون: الَّذِينَ «غُلِبُوا» بصيغة المفعول به[٨].

انقسم المسلمون إلى فريقين في معنى قراءة الجمهور ‹الَّذِينَ غَلَبُوا على أمرهم› كما يلي:

أ. فريق يجيز البناء على القبور تعظيماً لأصحابها، وللصلاة فيها. ويستند أصحاب هذا الرأي على هذه الآية لإثبات صحة موقفهم، ويأخذ بذلك فقهاء الإسلام الذين أجازوا بناء المساجد على الأضرحة وزيارتها. ووجود مساجد على الأضرحة في الدول الإسلامية كمسجد الحسين والسيدة زينب والسيدة عائشة وغيرها هي أمثلة على ذلك. وما يؤكد هذا المعنى ما ذكره الطبري في تفسيره لهذه الآية: «قال المسلمون: بل نحن أحقّ بهم، هم منا، نبني عليهم مسجدًا نصلي فيه، ونعبد الله فيه»[٩].

---

٧. الخطيب، معجم القراءات ٥: ١٨١.

٨. نفس المصدر.

٩. الطبري، تفسير ١٥: ٢١٧. والمسلمون هنا، حسب العقيدة الإسلامية، هم الذين عاشوا قبل مجيء محمد ويؤمنون بوحدانية الله وبرسله، وينتظرون

www.christianlib.com

ب. وفريق آخر رأى في نفس قراءة الجمهور أن ‹الَّذِينَ غَلَبُوا› هم الكفار، وبالتالي لا يجوز بناء المساجد على الأضرحة. وقد ذكر القرطبي هذا المعنى في قوله: «وَتَنْشَأُ هُنَا مَسَائِل مَمْنُوعَة وَجَائِزَة؛ فَاِتِّخَاذ الْمَسَاجِد عَلَى الْقُبُور وَالصَّلَاة فِيهَا وَالْبِنَاء عَلَيْهَا، إِلَى غَيْر ذَلِكَ مِمَّا تَضَمَّنَتْهُ السُّنَّة مِنْ النَّهْي عَنْهُ مَمْنُوع لَا يَجُوز» وأضاف القرطبي عَنْ اِبْن عَبَّاس قوله أن محمدًا قد لعن «زَوَّارَات الْقُبُور وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِد وَالسُّرُج»[١٠]. ويستند أصحاب هذا الرأي كذلك على حديثٍ في الصَّحيحين عن عائشة التي روت عن محمد قوله «في مرضه الذي لم يقم منه: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[١١]. وأضاف الشنقيطي أن محمدًا: «لا يلعن إلا على فعل حرام شديد الحرمة»[١٢].

- والملاحظ هنا أنه في قراءة الجمهور نفسها اختلف الفقهاء، وبالتالي المسلمون، على جواز بناء مساجد على الأضرحة من عدمه، وذلك راجع لغموض الآية التي لا تحسم هوية هؤلاء الذين غَلَبُوا.
- أما قراءة الحسن البصري «الَّذِينَ غُلِبُوا»، فهي تفيد المنع بحسب رأي أبي حيان الأندلسي حيث قال: «...والمعنى أن الطائفة التي أرادت المسجد كانت تريد أن لا يبنى عليهم شيئًا»[١٣].

و لا بد من التساؤل هنا: كيف نوفِّق بين الرأي الذي يمنع اتخاذ القبور مساجدًا، وما يقوم به الحجاج المسلمون حتى اليوم من زيارة المسجد النبوي الذي يحوي ضريح محمد حيث دفن، بل والصلاة فيه؟ فبأي حق يجوز للمسلمين ضم قبر محمد إلى المسجد النبوي[١٤]؟ وبحسب حديث عائشة عن محمد، ألا تشمل اللعنة المسلمين أيضاً؟ ولماذا الكيل بمكيالين لدى أغلب المسلمين، حيث تراهم يلعنون اليهود والنصارى على هذا الفعل، ومن جهة أخرى يتوقعون أن ينال المسلم ثوابًا على الصلاة في ضريح محمد؟

مجيء نبي اسمه أحمد (محمد)، و المقصود هنا أن المسلمين (قبل الإسلام) أحق بأهل الكهف من الكفار.

١٠. القرطبي، تفسير ١٣: ٢٤٢.

١١. الشنقيطي، أضواء البيان ٣: ٢٠٥.

١٢. نفس المصدر.

١٣. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ١٠٩.

١٤ بعد التوسعة التي قام بها عمر بن عبد العزيز عام ٩١ هـ/ ٧١٠ م.

www.christianlib.com

إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ

١٨:٢٥

أ. ‹لَبِثُوا›

- قراءة الجماعة: ‹لَبِثُوا›[١٥].
- وفي مصحف ابن مسعود: «وَقَالُوا: لَبِثُوا»[١٦].

بحسب ابن مسعود، الناس هم الذين قالوا ذلك. أما في قراءة الجماعة فالقول بعدد السنين هو «خبر من الله»[١٧].

ب. ‹سِنِينَ›

- قراءة الجماعة: ‹ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ›[١٨].
- وقرأ حمزة والكسائي: «ثَلَاثَ مِائَةِ سَنِين»[١٩]، بإسقاط التنوين عن «مائة».
- وقرأ الضحاك : «ثَلَاثَ مِائَةِ سَنُون»[٢٠].
- وقرأ أُبيّ بن كعب: «ثَلَاثَ مِائَةَ سَنَة»[٢١].
- وفي مصحف ابن مسعود: «ثَلَاثَ مِائَةَ سَنَة»[٢٢].

---

١٥. الخطيب، معجم القراءات ٥: ١٨٦.
١٦. نفس المصدر.
١٧. الطبري، تفسير ١٥: ٢٢٨-٢٢٩.
١٨. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٣٥٩. قارن: القرطبي، تفسير ١٣: ٢٥٣.
١٩. القرطبي، تفسير ١٣: ٢٥٣.
٢٠. نفس المصدر.
٢١. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٣٥٩. قارن: القرطبي، تفسير ١٣: ٢٥٣.
٢٢. نفس المصادر.

www.christianlib.com

غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا
يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ
لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ
أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ
فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟
يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى
ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ
جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا
زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا
نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا
وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ

حاول القراء إيجاد حل للإشكالية الموجودة في رسم المصحف لكلمة ‹سِنِينَ›، والتي تخالف القاعدة المعروفة. إذ لجأ الكسائي وحمزة إلى إضافة مائة إلى «سنين»! وذهب الضحاك إلى أبعد من ذلك حيث قرأها بالواو! أما قراءة أُبيّ ومصحف ابن مسعود فقد جاءت بحسب القاعدة اللغوية المتبعة إلى يومنا هذا: «ثَلَاثَ مِائَةَ سَنَةٍ». فلماذا شذَّت قراءة الجماعة عن هذه القاعدة؟

www.christianlib.com

١٨:٢٦

- قراءة الجماعة: ‹أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ› على التعجب. ويرى البعض الآخر احتمال أن الفعلين وردا في صيغة الأمر[٢٣].
- وقرأ عيسى بن عمر «أَسْمَعَ بِهِ وأَبْصرَ» بصيغة الخبر[٢٤].

مما يرجح أنه كان للقراء الحرية في اختيار الأسلوب المناسب بحسب ذوقهم الشخصي.

١٨:٢٩

في الآية يُترَك للإنسان حرية الإيمان أو عدمه، إلا أن هذا الاختيار قد نُسخ بآية: ‹وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ› (الإنسان ٧٦: ٣٠)[٢٥].

١٨: ٣٢-٤٠

في النص حديث عن رجلين، يمثّل أحدهما المؤمن، والآخر الكافر. وكان صاحب **الحديقتين** يمثل الكافر، فقال لصاحبه المؤمن: ‹أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً› (آ ٣٤)، ودخل حديقته (آ ٣٥) بدون تحديد أي منهما[٢٦]، وهو ظالم لنفسه بالكفر، وقال إنه لا يظن أن القيامة واقعة، وعلى فرض وقوعها ـ كما تزعم أيها المؤمن ـ ورجعت إلى ربي لأجدن عنده أفضل من هذه **الحديقة** (آ ٣٥ وآ ٣٦).

ثم يقول الرجل الثاني (أي المؤمن) في الآية (٤٠): ‹فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ› **بالمفرد**.

الحديث في النص مشوش، يبدأ بالجنتين، بدون معرفة الفائدة التمثيلية من وجود جنتين، ثم ينتقل النص إلى جنة مفردة، ثم يجيب الآخر بذكر الجنة بالمفرد، عوضاً أن يقول: «فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن **جَنَّتِيكَ**». ولا تتضح الغاية من تنوع ذكر الجنة بين المثنى والمفرد.

---

٢٣. الخطيب، معجم القراءات ٥: ١٩٠.
٢٤. نفس المصدر.
٢٥. ابن الجوري، نواسخ القرآن ٣٩٥، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٤، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٦١.
٢٦. المقصود: أي من الجنتين.

www.christianlib.com

أَبَدًا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا
مُنقَلَبًا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ
ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ٣٨
وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ
مَالًا وَوَلَدًا ٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ٤٠ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ
طَلَبًا ٤١ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ٤٢ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ
يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ٤٣ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ
ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ٤٤ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ٤٥ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ٤٦ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً

٣٧:١٨

- قراءة الجماعة: ‹قال له صاحبه وهو **يحَاوِرُهُ** أكفرت...›[٢٧].
- وقرأ أُبيّ بن كعب: «قال له صاحبه وهو **يُخَاصِمُهُ** أكفرت...»[٢٨].
- وقرأ ثابت البناني: «قال له صَاحِبُهُ وَهُوَ يحَاوِرُهُ **وَيْلَكَ** أَكَفَرْتَ»[٢٩].

---

٢٧. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢١٠.

٢٨. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٣٦٥.

٢٩. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢١٠.

www.christianlib.com

«الحوار» هو المناقشة وتبادل الرأي، بينما «المخاصمة» تحمل سمة الاحتداد والمجادلة. وسياق الآية يدل على وجود مخاصمة بين الصاحبين، وقد ذهب الرازي في تفسيره إلى هذا المعنى مفيدًا أن الحوار قد تطور بين الصاحبين إلى حد الطرد والتوبيخ[٣٠]. وقد جاءت قراءة أُبي بن كعب متماشية مع هذا السياق، أما قراءة البناني، فقد أكدت ذلك بإضافة «ويلك»، بما يفيد أنه قد حصلت خصومة، لا مجرد حوار عادي كما تقول قراءة الجماعة.

والسؤال المطروح: هل سقطت سهوًا كلمة «ويلك» من مصحف عثمان؟

١٨:٤٤

- قراءة الجماعة: ‹لِلَّهِ الْحَقِّ›[٣١].
- وقرأ أبو حيوة وزيد بن علي وآخرون: «لِلَّهِ الْحَقَّ»[٣٢].
- قرأ أُبيّ بن كعب: «الحَقُّ للهِ»[٣٣]، صفةً لكلمة الولاية.
- وقرأ ابن مسعود: «للهِ وَهُوَ الْحَقُّ»[٣٤].

في هذه القراءات يظهر بوضوح تقديم وتأخير وإضافة، مما يبطل القول بقدسية النص القرآني.

(انظر: أوجه الاختلاف في القراءات، في «القـراءات المختلفـة للقـرآن» بالمجلد الأول من هذا الكتاب).

١٨:٤٥

- قراءة الجمهور :‹تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ›[٣٥].
- وقرأ ابن مسعود وابن عباس وآخرون : «تُذْرِيه الرِّيحُ»[٣٦].

---

٣٠. الرازي، تفسير ٢١: ١٢٥.
٣١. نفس المصدر ٥: ٢٢٥.
٣٢. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ١٢٤.
٣٣. نفس المصدر.
٣٤. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٢٦.
٣٥. نفس المصدر ٥: ٢٢٧.
٣٦. نفس المصدر ٥: ٢٢٧-٢٢٩، وانظر عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٣٧١-٣٧٢.

www.christianlib.com

وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا
كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ
ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا
ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا
يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ
مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ
لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ
شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾

- **الرِّيَاحُ-الرِّيحُ**: جاءت قراءة الجمهور بالجمع، أما قراءة ابن مسعود وابن عباس فهي بالإفراد. هذه الاختلافات ناتجة عن قناعات القراء بإضافة أو حذف ألف المدّ التي نادراً ما تظهر في وسط الكلمة في المصاحف الأولى.
- **تَذْرُوهُ-تُذْرِيه**: تغيير حرف بآخر كما نرى في هاتين القراءتين، يوضح أن المسلمين الأوائل كانت لهم حرية الزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير. بل إن الأمر قد وصل إلى حد حرق نسخ من القرآن عند الحاجة، كما فعل عثمان بن عفان[٣٧]، والتغيير فيه كما في حال الحجاج بن يوسف الثقفي[٣٨].

هل يجرؤ المسلم اليوم على تغيير ولو حرف واحد من القرآن دون أن يتعرض للأذى؟ ومتى ظهرت قدسية وحرفية النص القرآني التي نسمع بها اليوم؟

٣٧. السجستاني، كتاب المصاحف ١٧٧.
٣٨. نفس المصدر ٤٦٣.

www.christianlib.com

١٨:٥٥

في الآية إشكالية تتعلق بماهية إبليس وما إذا كان من الملائكة أم من الجن. فبينما يقول مطلع الآية إن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم، فإن إبليس أبى وكان من الجن. والإشكالية هنا أن الأمر كان للملائكة، فلماذا يطلب من إبليس السجود، خاصة أن الآية تقول عنه إنه ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾؟

كيف يمكن أن يكون إبليس من الملائكة ومن الجن؟ حسب الرازي، فإن في هذا وجوه:

الأول: «أنه من الملائكة. وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجن»، لسبب الاحتمالات التالية:

أ. أن الجن قبيلة من الملائكة.

ب. أن الجن سُموا جناً بمعنى الاستتار، ولما كان الملائكة غير مرئيين، فيصح عليهم صفة الجن؛

ج. «أنه (إبليس) كان خازن الجنة، ونُسب إلى الجنة»[٣٩].

الثاني: «أنه من الجن الذين هم الشياطين والذين خُلقوا من نار، و (إبليس) هو أبوهم».

الثالث: أنه كان من الملائكة، فمسخ وصار كائناً آخر[٤٠]. وبمعنى مشابه، نُقِل عن ابن عباس: «كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة، اسمه عزازيل، وكان من سكان الأرض، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، فذاك دعاه إلى الكِبْر. وكان من حي يُسَمَّون جِنّاً»[٤١].

إذاً، لدينا ثلاثة أقوال مع مجموعة تفرعات بشأن شخصية مركزية في القرآن، ألا وهي شخصية إبليس. فهل هو من الملائكة أم من الجن؟ والقارئ سيتساءل: لمَ لم يطرح المسلمون على محمد السؤال عن حقيقة إبليس؟ أم أن الآيات كانت تُتلى على مسامعهم، وكانوا يسمعونها بدون تحليل؟

مع ذلك، فهذا التشويش بشأن إبليس، نعتقد أنه ناتج عن ناتج عن اختلاف القصص الشفوية التي وصلت محمداً، في بعض التفاصيل. إن القصة القرآنية لها تطابقات شديدة مع الأدب الأبوكريفي اليهودي والمسيحي. ففي الفصول من الرابع عشر إلى السادس عشر من كتاب «حياة آدم وحواء»[٤٢]

٣٩. الرازي، تفسير ٢١: ١٣٧. قارن: الطبري، تفسير ١٥: ٢٨٦-٢٨٨.
٤٠. الرازي، تفسير ٢١: ١٣٧.
٤١. الطبري، تفسير ١٥: ٢٨٦.
42. "The Life of Adam and Eve" 2: 262.

www.christianlib.com

(المكتوب ١٠٠ ق. م-٤٠٠ م)[٤٣] يروى أن ميكائيل أمر الملائكة بأن يعبدوا آدم فاعترض إبليس لأن آدم أقل منهم شأناً، وأحدث سناً. وإذ أبى السجود هو وقومه، تم إنزالهم إلى الأرض. وكتاب «Questions of Bartholomew» (حوالي القرن الثالث الميلادي)، يشير في تفاصيل كثيرة مشابهة للقصة القرآنية إلى أن الشيطان رفض السجود، معللاً اعتراضه بأن جوهره من نار، خلافاً لآدم المخلوق من الطين[٤٤].

وجاء في كتاب «كهف الكنوز»[٤٥] السرياني أن الله جعل لآدم سلطاناً على جميع المخلوقات، ولهذا وقرته الملائكة، إلا إبليس الذي تملكته الغيرة، وقال: يجب أن يعبدني أنا الذي خُلقت من نور وهواء، أما هو فقد خُلق من طين. فطرد من الجنة هو وقومه، وعُرف من ثم بالشيطان[٤٦]. وكتاب «كهف الكنوز» نص سرياني يحتوي على تاريخ مختصر للعالم، منذ بدء الخليقة حتى صلب المسيح، منسوب لأفرام السرياني (حوالي ٣٠٦ ـ ٣٧٣). والطبعة السريانية، والترجمة العربية للكتاب مع الترجمة الألمانية، أصدرها «كارل بِتسولد»[٤٧] تحت عنوان: Die Schatzhöhle.

إذاً، عناصر وتفاصيل مختلفة عن القصة وصلت محمداً، فقدمها بصياغته الخاصة، ولكن آثار اختلاف الروايات بقيت في النصوص القرآنية بسبب عدم انصهار هذه التفاصيل سوية وسبكها في وحدة قصصية متماسكة.

---

43. "Life of Adam and Eve" 2: 252; "Given the relationship with the Pseudepigrapha, Josephus, rabbinic traditions, and perhaps Paul, the most natural span for the original composition would be between 100 B.C. and A.D. 200, more probably toward the end of the first Christian century. The Greek and Latin texts were produced between that time and A.D. 400."

44. EQ 1: 525. Compare: *Qur'ān: An Encyclopedia* 180, قارن دائرة المعارف الإسلامية ١٠٤

45. Cave of Treasures.

٤٦. دائرة المعارف الإسلامية ١٠٤.

47. Carl Bezold.

www.christianlib.com

وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ
جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ
أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ
وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ

١٨:٥٣

- قراءة الجماعة: ‹مُوَاقِعُوهَا› أي: «مخالطوها، وواقعون فيها»[٤٨].
- وقرأ ابن مسعود وآخرون: «مُلَاقُوهَا»[٤٩].
- وقرأ علقمة: «مُلَافُوهَا»، أي: «ظنوا أنهم مجتمعون فيها»[٥٠].

تتقارب المعاني فيما بينها في هذه القراءات، إلا أن قراءتي ابن مسعود وعلقمة لا توافقان رسم المصحف، وهذا النوع من الاختلاف في اختيار المترادفات حسب ذوق القارئ كان موجودًا في المصاحف الأولى، الأمر الذي يظهر بوضوح عدم صحة القول بوحدانية النص القرآني. ويتكرر هذا النوع من الاختلاف بكثرة في المصاحف الأولى، وعلى سبيل المثال نجد في مخطوطة صنعاء آية: ‹وَيشفِ صدور قوم مؤمنين› (التوبة ٩: ١٤) كما يلي: ‹ويدهب عىط صدور قوم مومىں›[٥١] أي «ويذهب غيظ صدور قوم مؤمنين».

٤٨. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٤٢.

٤٩. نفس المصدر.

٥٠. نفس المصدر، قارن: القرطبي، تفسير ١٣: ٣٠٨.

51. Puin, Elizabeth. *"Ein früher Koranpalimpsest aus San'ā' (DAM 01-27.1) – Teil II"* 553, Fol.4v Z.19.

www.christianlib.com

فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ
وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٥٧ وَرَبُّكَ
ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ
لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ٥٨ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا
لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ٥٩ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ
أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي
ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبٗا ٦٢ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ
أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ٦٣ قَالَ
ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ
ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ
أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ
صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن
شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي
عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي

www.christianlib.com

هذه قصة خرافية تحكي عن رحلة قام بها موسى برفقة يُوشَع بنِ نُونٍ[٥٢]، وفي طريقهما التقيا برجل (آية ٦٥) تقول التفاسير إنه يُدعى الخضر[٥٣]، فتشارك موسى والخضر برحلة قام خلالها الخضر بأعمال غير مفهومة، إذ أحدث خرقاً بسفينة لكي لا يستولي عليها ملك البلاد (آية ٧١ و٧٩)، وقتل صبياً بحجة أنه سيغدو كافراً وسيرهق والديه المؤمنين (آية ٧٤ و٨٠).

قال النص إن موقع تعارف موسى والخضر كان منطقة ‹مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ› (آية ٦٠)، وهو اجتماع بحر فارس والروم[٥٤]. وقال بعض المفسرين إنه طَنْجَةُ[٥٥]. وهذا ما يقودنا للسؤال: كيف يلتقي بحر فارس وبحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)؟ وإن قبلنا أن طَنْجَةُ هي ‹مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ›، نجد أننا أمام مشكلة، فموسى لم يشد رحاله قط إلى هذه المدينة. إذا علمنا أن موسى لم يقم بمثل هذه الرحلة، يتضح لنا أن هذه التفاصيل غير صحيحة، وليس لدينا في المصادر التاريخية أي حديث عن شخصية الخضر المزعوم.

من جهة أخرى، فإن القرآن نفسه لم يذكر هذا الشخص الذي رافق موسى بأي اسم، بل دعي فقط بعبد الله. ويكتفي سيد قطب بذكره على أنه عبد الله بدون الإشارة إلى تقاليد التفاسير الكلاسيكية عن الخضر. بل يقول: «لا يذكر القرآن شيئاً عن العبد الصالح الذي لقيه موسى. من هو؟ ما اسمه؟ هل هو نبي أو رسول؟»[٥٦]. ورداً على سؤال عمّن يكون هذا العبد إذا لم يكن الخضر، يقول ليمان إن صورة هذا الشخص المدعو الخضر تعود إلى صور أو أفكار (motifs) ميثولوجية ظهرت في ملحمة جلجامش، في بحثه عن نبع الحياة. ولا يستبعد أن تكون عناصر أخرى قد دخلت في تشكيل الحكايات الإسلامية عن الخضر[٥٧].

تعليق على الآية ٨٠

شرحاً لسبب قيام هذا الشخص ـ المدعو الخضر في التفاسير ـ بقتل طفل، فإن الرازي يقول: «لعله علم بالوحي أن المضار الناشئة عن قتل ذلك الغلام أقل من المضار الناشئة بسبب حصول تلك المفاسد للأبوين، فلهذا السبب أقدم على قتله»[٥٨]. وهذا يقودنا إلى طرح الأسئلة التالية:

---

٥٢. الطبري، تفسير ١٥: ٣٠٨.

٥٣. نفس المصدر ١٥: ٣١٨.

٥٤. نفس المصدر ١٥: ٣٠٨-٣٠٩.

٥٥. نفس المصدر ١٥: ٣٠٩، والزمخشري، الكشاف ٣: ٥٩٦.

٥٦. قطب، في ظلال القرآن ٤: ٢٢٧٧.

57. *Qur'ān: An Encyclopedia* 344

٥٨. الرازي، تفسير ٢١: ١٦٠.

www.christianlib.com

ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ قَالَ
أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ
أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُل
لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا
تُصَٰحِبۡنِي قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ

- هل معرفة عبد الله هذا بما سيكون عليه هذا الصبي تخول له حق قتل طفل؟ وإن كان موته أفضل، فلماذا سمح الله بهذه الجريمة عندما خلقه وقرر له مصيراً قاتماً، ثم أرسل الخضر ليقتله؟
- ولماذا لا تتم تصفية عتاة المجرمين والسفاحين بهذه الطريقة، مما يوفر على البشرية الكثير من الشرور؟
- بدأت رحلة موسى مع هذا العبد الذي وصفه القرآن بأنه تعلم من لدن الله (الآية ٦٥) وأن موسى طلب منه تعلم ما عُلّم (الآية ٦٦)، فهل يجب على معلم ونبيٍ بحجم موسى إذاً أن يحتذي حذوه ويقوم بقتل الأطفال الذين قد يتسببوا في مضار؟ ألا يجب أن يكون معلم النبي ذا مستوى سامٍ، فيعلمه كيف يخلص الناس (ولاسيما الأطفال الأبرياء) روحياً، لا أن يقضي عليهم؟

www.christianlib.com

١٨: ٦٣

- القراءة الشائعة: ‹إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ›
- جاء في مصحف ابن مسعود: «وَمَا أَنْسَانِيهُ أَنْ أَذْكُرَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ»[٥٩]، بالتقديم والتأخير.

لا يوجد تغيير كبير في المعنى، إلا أن الفرق الواضح هو في تقديم وتأخير بعض الكلمات كما جاء في مصحف ابن مسعود، مما يدل على أن قرّاءً بحجم ابن مسعود كانوا لا يتمسكون بحرفية القرآن.

الحشو في الآية (٦٣)

يقولون إنّ كلام اللهَ ليس فيه زيادة. فالألفاظ فيه على قدود المعاني بلا زيادة ولا نقصان! حسناً. لكن في هذه الآية زيادة أحدثتْ فيها خللاً ظاهراً. هذه في رأيي ليست زيادة بل حشوٌ كما في كثيرٍ من آيات القرآن. إنّ كلمة ‹مَا أَنْسَانِيهِ إلاّ الشيطانُ› كافية لتأدية المعنى المطلوب، فما هي الحكمة «البالغة» من إضافة ‹أَنْ أَذْكُرَهُ›؟ وإذا كان القرآن حريصاً على كلمة ‹أَنْ أَذْكُرَهُ›، فما فائدة الضمير في ‹أَنْسَانِيهِ› هنا؟ لقد كان من الواجب أن يقول «وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَا الشَّيْطَانُ» [فحسب]، أو «مَا أَنسَاني إِلَا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ»، وأما الجمع بينهما معاً فهو نشاز.

(محنتي مع القرآن ١٥٩ ـ ١٦٠)

١٨: ٧١

- القراءة الشائعة: ‹لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا›، بتاء الخطاب.
- وقرأ الحسن وأبو رجاء: «لِتُغْرِّقَ أَهْلَهَا» بتاء الخطاب والتشديد[٦٠].
- وقرأ حمزة والكسائي وخلف وآخرون: «لِيَغْرَقَ أَهْلُهَا»[٦١]، وكذلك عند عامة قراء الكوفة[٦٢].

أتت القراءة الشائعة للقرآن بتاء الخطاب، وهو كلام موسى للعبد الصالح، والفاعل هنا العبد الصالح[٦٣]، وتشابهها القراءة الثانية. أما قراءة حمزة فتعني «أَنَّ الأَهْل هُمْ الَّذِينَ يَغْرَقونَ»[٦٤]. والملاحظ

٥٩. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٥٦.
٦٠. نفس المصدر ٥: ٢٦٥، وعمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٣٨٤.
٦١. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ١٤١.
٦٢. الطبري، تفسير ١٥: ٣٣٧.
٦٣. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٦٤.
٦٤. الطبري، تفسير ١٥: ٣٣٧.

www.christianlib.com

ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ
فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ
سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ

أن كل هذه القراءات توافق رسم المصحف، والظاهر أن الاختلاف بينها قد جاء بسبب عُري المصاحف الأولى من التنقيط والتشكيل[٦٥]، فاجتهد كل مُقرئ بحسب ذوقه اللغوي وفهمه للآية.

١٨:٧٧

أوردت المصادر القراءات التالية:

- قراءة الجمهور: ‹... أن يَنْقَضَّ›[٦٦].
- وقرأ أُبيّ بن كعب: «... أن يُنْقَضَ»، وهي مروية عن محمد نفسه[٦٧].
- وقد جاءت في حرف ابن مسعود باللام: «... لِيُنْقَضَ»[٦٨]، بمعنى «لأن ينقض»[٦٩].
- وقرأ علي وعكرمة: «... أَن يَنْقاصَ»[٧٠].
- وقرأ الزهري: «... أَن يَنْقَاصَ»[٧١].
- وقرأ يحي بن يعمر: «... أَن ينفاضّ»[٧٢].
- وقرأ الزهري ويحي بن يَعْمر: «... أَن يَنْقَاضَ»[٧٣].

---

٦٥. الداني، المحكم ٢٢-٢٣.

٦٦. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ١٤٣، قارن عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٣٨٨، والخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٧٥-٢٧٦.

٦٧. نفس المصادر.

٦٨. نفس المصادر.

٦٩. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ١٤٣.

٧٠. نفس المصادر.

٧١. نفس المصادر.

٧٢. عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٣٨٨. قارن: الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٧٥-٢٧٦.

٧٣. نفس المصادر.

www.christianlib.com

إن وجود سبع قراءات لمفردة واحدة يكشف أن غياب التنقيط والتشكيل في الزمن الأول قد أعطى القارئ هوامش كبيرة في تقدير القراءة. غياب القراءة الأصلية أدى بالقراء إلى أن يقرأوا كلٍ بحسب فهمه لسياق الآية.

و أكثر ما يدعو للتساؤل: هل وجود قراءة تعود إلى محمد نفسه يعني أن باقي القراءات لا تعود لمحمد؟ وهل معنى هذا أن أصحاب القراءات الأخرى يعتبرون قراءاتهم أكثر دقة من قراءة أُبي بن كعب التي رواها عن محمد، متلقي الوحي الإسلامي؟

٧٩:١٨

أ. ‹لِمَسَاكِينَ›

- قراءة الجماعة: ‹لِمَسَاكِينَ›، أي: فقراء[٧٤].
- وقرأ علي بن أبي طالب: «لِمَسَّاكِينَ»، أي: لملاّحين. وقيل أن المسّاك دابغ المُسوك[٧٥].

واختلاف القراءة يعطينا اختلافاً في التفصيل القصصي. فمن أصحاب السفينة: هل هم فقراء في المطلق دون تمييز رغم امتلاكهم للسفينة؟ أم ملاحون؟ أم دابغو جلود تحديداً؟ ثم هل من الممكن أن يكون قد حدث تبديل بين حرفي «الميم» و«السين» (جناس تصحيفي أو تصحيحي)، كما حدث في «عميق» و«معيق»[٧٦]، فيكون المقصود «السمّاكين» أي لصيادي السمك كما يدل سياق الآية؟ وكلمة سمك هي كلمة معروفة في ذلك الوقت بدليل رد ابن عباس عندما سئل عن الحواريين حيث قال: «سُمُّوا لبياض ثيابهم كانوا صيادي السمك»[٧٧].

ب. ‹وَرَاءَهُمْ›

- قراءة الجمهور: ‹وَرَاءَهُمْ›[٧٨].
- وقرأ ابن عباس وأبيّ بن كعب وابن مسعود وآخرون: «أَمَامَهُم»[٧٩].

---

٧٤. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٨٢.
٧٥. نفس المصدر، والمسوك هي الجلود.
٧٦. (الحج ٢٢: ٢٧)، وانظر الخطيب، معجم القراءات ٦: ١٠٦.
٧٧. الطبري، تفسير ٢٢: ٦٢١.
٧٨. الخطيب، معجم القراءات: ٥: ٢٨٢، عمر ومكرم، معجم القراءات ٣: ٣٨٨.
٧٩. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٨٢.

www.christianlib.com

يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا

ورغم أن وراء هو عكس أمام، إلا أن بعض الشارحين قالوا إن ‹وَرَاءَهُمْ› لفظ يطلق على الخلف والأمام، ومعناها في هذه الآية: أمامهم[٨٠]! وبهذا القول يزول الفرق بين القراءتين. لكن، في كل الأحوال، هذا الفرق لا ينشأ عن غياب التنقيط، بل يعود إلى قرار القارئ باختيار هذه اللفظة أو تلك، للتعبير عن المعنى الذي يراه مناسبًا.

ج. ‹يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ›

جاءت في المصادر القراءات التالية[٨١]:

- قراءة الجماعة: ‹كُلَّ سَفِينَةٍ›.
- وقرأ أبيّ بن كعب وابن مسعود وعثمان بن عفان وآخرون: «كُلَّ سَفِينَةٍ صالحةٍ».
- وقرأ ابن عباس وآخرون: «كُلَّ سَفِينَةٍ صحيحةٍ».

جاء التوضيح في قراءة ابن مسعود وعثمان بن عفان، صاحب المصحف، الذي قرأ بما ليس في مُصحفهِ! أو قراءة ابن عباس لبيان نوع السفن التي كان يستولي عليها هذا الملك الجائر لأن قراءة الجمهور لا تعطي صورة واضحة عن ماهية هذه السفن: هل كان يأخذ كل سفينة موجودة كما يدل ظاهر النص، أم كان يختار الأصلح والأجود؟

٨٠. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٨٢.
٨١. نفس المصدر ٥: ٢٨٣.

www.christianlib.com

١٨: ٨٠

أ. ‹أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ›

جاءت في المصادر القراءات التالية[٨٢]:

- قراءة الجمهور : ‹وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ›.
- و قرأ ابن عباس: «وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِراً وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ».
- وفي مصحف أُبيّ بن كعب: «أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ وَكَانَ كَافِراً».

جاءت في مصحف أُبي بن كعب وصفًا للغلام «كَانَ كَافِراً»، أما غياب هذه المعلومة في قراءة الجمهور فقد أدى إلى غموض بسبب وجود كلمة «فخشينا» التي كانت تستدعي تبريرها بينما لا يوجد بقراءة الجمهور ما يجزم على أن الصبي سوف يكون كافرًا فيما بعد. ولا تعبر الآية سوى عن خشية «العبد الصالح» أو الأبوين من احتمال كفر الابن. وبالتالي تعد هذه الزيادة من ابن عباس أو من أبي بن كعب، بنعت الغلام بالكفر، محاولة غير مقبولة لتبرير قتل «العبد الصالح» له[٨٣].

ونتساءل: أليست هذه دعوة صريحة لقتل الكافر حتى لو كان غلامًا صغيرًا؟

ب. ‹فَخَشِينَا›

- قراءة الجماعة: ‹فَخَشِينَا›[٨٤].
- وقرأ أُبيّ وابن مسعود: «فَخَافَ رَبُّكَ». وروي أنها جاءت كذلك في مصحف ابن مسعود[٨٥].

اختلف المفسرون، حول هوية المتكلم في قراءة الجماعة: ‹فَخَشِينَا› حيث ذهب البعض إلى أن المتكلم هو الله، وعبَّر عنه الخضر؛ بينما رأى آخرون أن المتكلم هو الخضر[٨٦]. وعلى الرغم من أن كلا القرائتين تتفقان على فكرة أن الله يخشى ويخاف، وفق التعبير القرآني، إلا أن قراءة ابن مسعود تؤكد أن المتكلم هو العبد الصالح، لوجود كلمة «رَبُّكَ».

---

٨٢. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٨٣-٢٨٤.
٨٣. انظر التحليل النقدي لآيات (الكهف ١٨: ٦٠-٨٢)، صفحة ٢٦١.
٨٤. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٨٤.
٨٥. نفس المصدر.
٨٦. القرطبي، تفسير ١٣: ٣٥٢. قارن: الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٨٤.

www.christianlib.com

وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا
ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ
أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا
رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع
عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم
مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾
فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ

ونتساءل: مادام أن الله يخشى أن يصبح الابن كافرًا فيؤذي أبويه المؤمنين بكفره، فلماذا خلقه من الأصل؟ وهل يليق بجلال الله أن يقال عنه أنه يخاف أو يخشى، ولو من باب المجاز؟

١٨:٨١

أ. ‹خيراً منه زَكَوٰةَ›

- قراءة الجماعة: ‹خيراً منه زَكَوٰةَ›[٨٧].
- وقرأ ابن عباس: «أَزْكَى مِنْهُ»[٨٨].

ب. ‹وَأَقْرَبَ›

- قراءة الجمهور: ‹وَأَقْرَبَ›[٨٩].
- وقرأ ابن عباس: «وَأَوْصَلَ»[٩٠].

---

٨٧. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٨٦.
٨٨. نفس المصدر.
٨٩. نفس المصدر.
٩٠. نفس المصدر.

www.christianlib.com

ج. ‹رُحْماً›

- القراءة الشائعة: ‹رُحْماً›[٩١].
- وقرأ ابن عباس: «رَحِماً»[٩٢].

سواء في قراءة الجماعة أو قراءة ابن عباس، فالمعضلة لا زالت مطروحة: كيف يسمح صاحب القرآن بقتل طفل لمجرد احتمالية كفره في المستقبل[٩٣]؟ وهل هذه دعوة صريحة للمسلم بقتل الكافر (غير المسلم)؟ نلاحظ في قراءة الجماعة وقراءة ابن عباس أن هذا الأخير قد التزم بالمعنى الإجمالي للآية دون رسم المصحف، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن القراء الأوائل لم يبالوا بحرفية القرآن كما في الاعتقاد الحالي بأنه مكتوب في «اللوح المحفوظ»، وإنما التزموا بالمعنى الإجمالي في أكثر القراءات.

١٨:٨٦

- القراءة الشائعة: ‹عَيْنٍ حَمِئَةٍ›.
- وقرأ ابن مسعود وآخرون: «عَيْنٍ حَامِيَةٍ»[٩٤].

تعني ‹حَمِئَةٍ›: الطين الأسود بحسب معظم التفاسير الإسلامية، بينما تعنى «حَامِيَةٍ»: الحارة. وبين القراءتين اختلاف في تفصيل «العين» إلا أننا نرجح قراءة ابن مسعود لأنها أخذت الصيغة الأصلية، وهذه النبرة ماهي سوى ياءً وليست همزة، والدليل على ذلك أن المصاحف الأولى والمخطوطات ليس فيها مكان للهمزة التي كان أول من وضع رسمها الخليل بن أحمد الفراهيدي[٩٥]. وقد ذكر الدكتور طيّار آلتى قولاج تعليقاً على الهمزة في مصحف طوب قابي سرايي قائلاً: «ليس هناك مكان للهمزات في أي موضع من المصحف»[٩٦]. كما أنه من الجدير بالذكر، في معرض الحديث

---

٩١. تعني أن المولود الذي جاء بعد المقتول كان أشد رحمة من أخيه الكافر.
٩٢. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٨٦. تفيد أن المولود الجديد كان يصل والديه أكثر من أخيه المقتول، أي يزورهما باستمرار.
٩٣. انظر التحليل النقدي لآية (الكهف ١٨: ٨٠)، صفحة ٢٦٧.
٩٤. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٩٠.
٩٥. ١٠٠هـ/٧١٨م-١٧٣هـ/ ٧٩١م.
٩٦. مصحف طوب قابي ٩٤. انظر جدول «مقارنة بين الفصحى وبعض اللهجات الحالية التي ليس بها تهميز»، في «مقدمة في القراءات المختلفة»، صفحة ٢٧.

www.christianlib.com

وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ
حُسۡنٗا ٨٦ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا
نُّكۡرٗا ٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ
لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ٨٨ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٩ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ
وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ
أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ٩١ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ
وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ
إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن
تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ
أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ

عن التهميز في القرآن، فينبغي الإشارة إلى أن أهل قريش كانوا يسهلون الهمزة، بمعنى أنهم لم يكن همز في لغتهم[٩٧].

١٨:٩٣-٩٤

- القراءة الشائعة: ‹السَّدَّيۡنِ›.
- وقرأ أبو عمرو: «السُّوْدَيْنِ»[٩٨]، بمعنى «سفحين من السَّوْدِ أي سَفْحٌ من الجبل مُسْتَدِقٌّ في الأَرض خَشِنٌ أَسود»[٩٩].

٩٧. الداني، المحكم ٨، قارن النيسابوري، المستدرك ٢: ٢٥١.

٩٨. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٩٨.

٩٩. ابن منظور، لسان العرب ٢١٤٣.

www.christianlib.com

القراءةُ الشائعة للقرآن تفيد أن «السّدّين» في الآية ٩٣ تعني حاجزين، ومن خلال السياق قد يُفهم أن المقصود «جبلين» أو «مكانين مرتفعين». وقد ذكر ابن عباس أن السدين هما «الجبلين، أَرْمِينِيَّة وَأَذْرَبِيجَان»[١٠٠]. أما قراءة أبو عمرو «السُّودَين»[١٠١] في الآية ٩٣، فيُفهم منها أن الحديث عن شيئين لونهما أسود، إلا أن لسان العرب يذكر أن معنى هذه الكلمة هو «سفحي جبلين». والملاحظ أن قراءة أبي عمرو للآية ٩٤ هي «سدًّا»[١٠٢] مما يدل أن أبي عمرو أراد أن يفرق بين الكلمتين في الآيتين، باعتبار أن الأولى عبارة عن حاجز طبيعي، أو جبلين، بينما الثانية عبارة عن حاجز صناعي، أي بوابة بناها ذو القرنين.

١٨: ٨٣-١٠٢

يروي النص قصة ذي القرنين. وذو القرنين هو الإسكندر الأكبر، الفاتح المقدوني[١٠٣]. واختلف المفسرون حول ما إذا كان ذو القرنين نبياً أم لا. ولكن الأدب الإسلامي يراه سليل إبراهيم، رغم أن التوراة لا تذكر شخصية ذي القرنين[١٠٤].

إن صورة الشخص الأسطوري ذي القرنين صورة نمطية نجدها في أساطير عديدة[١٠٥]. ويطرح المفسرون أسباباً مختلفة لسبب تسميته بذي القرنين. أما القصة القرآنية فليس لها سند تاريخي، فإنْ كان المقصود فعلاً الإسكندر الأكبر، الغازي اليوناني الشهير، فإننا نعلم أنه لم يكن نبياً ولم يتلقَّ وحياً. إضافة لذلك، لو كان قد بنى سد يأجوج ومأجوج لكانت وسائل الرصد الحديثة قد حددت مكانه. ولو كان هذه السد قد صار أثراً بعد حين، لوُجدنا أطلاله.

ولكن إذا درسنا القصة القرآنية، فإننا نجد أنها كانت موجودة في أسطورة سريانية ظهرت في القرن السادس الميلادي[١٠٦]، معنونة بـ «أسطورة الإسكندر»[١٠٧]. إن القصة السريانية أوسع من النص القرآني؛ إذ تتكون القصة من إحدى وعشرين صفحة في الطبعة السريانية. وكل جزء قرآني

١٠٠. القرطبي، تفسير ١٣: ٣٧٧، الطبري، تفسير ١٥: ٣٨٧.

١٠١. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٢٩٨

١٠٢. نفس المصدر ٥: ٣٠٢

103. Alexander the Great (356 BC-323 BC).

104. EQ, I, 61-62

١٠٥. دائرة المعارف الإسلامية ٤٩٩٥.

١٠٦. نفس المصدر ٤٩٩٦.

107. The Alexander Legend.

www.christianlib.com

له نظير في النص السرياني[108]. ولدينا دراسة قيِّمة للعلاقة بين القصة القرآنية والقصة السريانية قام بها الباحث «كيفين فان بلادل»[109]، نستعرض خطوطها العامة، ونتشارك مع استنتاجاتها:

ويمهد الباحث لدراسته بتقسيم القصة القرآنية لمواضيع، ثم يبدأ بإجراء مقارنة بين كل جزء منها مع النص السرياني ليصل إلى وجود تطابق مذهل في تفاصيل القصة، باستثناء نقطة اختلاف واحدة، وهي أن النص السرياني يتحدث عن حرب الإسكندر مع فارس، وانتصاره عليه، وهذا التفصيل لا يوجد في النص العربي[110].

ثم ينتقل الباحث، الذي تابع دراسات سابقة قام بها «جِريت رينينك»[111] حول نفس الموضع، إلى تحليل القصة السريانية والسياق الذي كُتبت فيه ليجد أن أسطورة الإسكندر تعكس أحداثاً محددة ونزعات ثقافية كانت سائدة في الفترة ما بين ٦٢٨ ـ ٦٢٩ م. ويبدو أن القصة هي مجرد دعاية نسجها أحد المتعاطفين مع هرقل، حوالي ٦٣٠ م، بعد هزيمة عسكرية وحرب منهكة لمدة ثلاثين سنة، من أجل إعادة توثيق أواصر إخلاص المناطق المستعادة للتو للإمبراطورية وسكانها المنوفيزيين، والتبشير بتأسيس إمبراطورية مسيحية عالمية. وما يشير إلى نجاح أسطورة الإسكندر أنها أُستخدمت من قبل في ثلاثة أسفار أبوكاليبس[112] (apocalypses) على الأقل[113].

وبعد أن ينتهي الباحث من تحديد تاريخ القصة السريانية، والتي تعود بشكل قاطع إلى ٦٢٩ ـ ٦٣٠ م، فإنه يعود لمناقشة القصة القرآنية والقصة السريانية، ويقول إنه ما دام ثمة تطابق كامل في التفاصيل، فإن السبب يعود إلى أحد الاحتمالات التالية:

١. أن النص السرياني أخذ من القرآن، أو
٢. أن الإثنين أخذا من مصدر مشتركٍ، أو
٣. أن القرآن أخذ من الرواية السريانية.

---

108. Bladel, *The Alexander Legend in the Qur'an* 178.
109. Kevin van Bladel.
110. Bladel, *The Alexander Legend in the Qur'an* 178-180.
111. Gerrit Reinink.
١١٢. المقصود أسفار أبوكاليبس سريانية.
113. Bladel, *The Alexander Legend in the Qur'an* 188.

www.christianlib.com

الاحتمال الأول: أن يكون النص السرياني قد أخذ من القرآن، أمر لا يستقيم حيث إن النص السرياني نص موسع. ولو كان مقتبساً من القرآن لكان الهدف منه أن يشرح الرواية القرآنية. ولكن النص السرياني لا يحتوي على أي إشارة إلى النص العربي. أما لو كان الهدف من الرواية السريانية كتابة رؤيا سريانية لأحداث تتصل بالتوسع العربي، فهذا أمر مستبعد لأن تاريخ النص يعود لسنة ٦٣٠ م. أي قبل سنوات من التوسع العربي، وقبل سنوات من ظهور الخطر العربي ـ الإسلامي.

الاحتمال الثاني: بينت دراسة النص السرياني أنه جاء دعماً لهرقل من خلال شرح الأحداث التي مرت ونتائجها في سنة ٦٢٩ م. فبعد أن أدت الحروب الطاحنة بين بيزنطية وفارس إلى نتائج وخيمة على الإمبراطورية الرومانية، جرت معركة سياسية ودعائية ودينية مكثفة لدعم جهود الحرب وتعزيز الولاء داخل الإمبراطورية الرومانية، والنص جاء ضمن هذه السياقات، مما يعني أنه أصيل وليس مأخوذاً من آخر.

الاحتمال الأخير: هو أن النص القرآني مقتبس من النص السرياني. وقناة الاقتباس كانت إما الرحلات التي كان يقوم بها العرب والتي كانت تصل الحدود الرومانية والفارسية، لاسيما أن أسطورة الإسكندر كانت معروفة لدى الغسانيين العرب المنوفيزيين، أو ربما تناهت للمسلمين خلال حملة مؤتة"[114].

وأما سبب إدراج هذه القصة في القرآن فيمكن شرحه بأن دعوة محمد كانت تعلن الإيمان بالأنبياء، وأسطورة الأسكندر تقدمه بوصفه نبياً من خلال النبوءة التي تختم بها الأسطورة"[115]. وبالتالي، فضمها للقرآن كان طبيعياً.

وفي ختام استعراضه القيم يقول الباحث: «ولكن التحديد الدقيق للوقت الذي فيه دخلت قصة ذي القرنين إلى القرآن ـ أفي سنوات محمد الأخيرة، أم بعد ذلك ـ ما زال أمرًا غير مبتوت فيه»[116]. ونحن نميل لترجيح احتمال إنها دخلت القرآن بعد وفاة محمد.

114. Ibid. 189-190.
115. Bladel, *The Alexander Legend in the Qur'an* 191.
116. Ibid.

www.christianlib.com

بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ
قِطۡرٗا ٩٦ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧ قَالَ هَٰذَا
رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ
وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨ ۞وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ
فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا
١٠٠ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ١٠١
أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا

١٨:٩٨

أ. ‹هَٰذَا›

- قراءة الجماعة: ‹هَٰذَا رَحۡمَةٞ›[١١٧].
- وقرأ أبو عبلة: «هَٰذِهِ رَحۡمَةٞ»[١١٨].

انظر التعليق في «مقدمة في القراءات المختلفة» على «المخطوطات القرآنية القديمة»، صفحة ٢١.

ب. ‹دَكَّآءَ›

- القراءة الشائعة: ‹دَكَّآءَ›.
- وقرأ ابن كثير وآخرون: «دَكّٗا»[١١٩].

السجعُ في هذه الآية لا يسمح بإضافة الهمزة لكلمة «دكًا» لوجود لفظة «حقّا» في آخر الآية على غرار ما جاء في آية أخرى تقول: ‹تَرَاني فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبلِ جَعَلَهُ دَكاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً›

---

١١٧. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣١١.

١١٨. نفس المصدر.

١١٩. نفس المصدر ٥: ٣١٢.

www.christianlib.com

(الأعراف ٧:١٤٣)، وكما سبق أن ذكرنا، فالهمزة قد أضيفت لاحقاً إلى علامات التشكيل التي تعرف بشكل الشعر، وهي من ابتكار الخليل بن أحمد الفراهيدي[١٢٠].

١٨:١٠٢

- قراءة الجماعة: ‹أَفَحَسِبَ›[١٢١].
- قرأ ابن عباس وآخرون: «أَفَحَسْبُ»...أيْ أَفَحَسْبُهم ذلك؟ وهو مبتدأ، وخبره ‹أَنْ يَتَّخِذُوا› والمعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله»[١٢٢].
- في حين أنها جاءت في مصحف ابن مسعود: «أَفَظَنَّ»[١٢٣].
- وذكر ابن خالويه قراءة أخرى: «أَفَرَأَيْتَكَ الذين اتخذوا من دوني آلهة أظنوا عبادي لهم أولياء»[١٢٤].

نلاحظ أن هذه الآية تعرضت للعديد من أشكال القراءات التي ذكرها ابن قتيبة[١٢٥]:

- **الاختلاف الأول:** بحسب تشكيل الكلمة كما في الفرق بين قراءة الجماعة ‹أَفَحَسِبَ› وقراءة ابن عباس«أَفَحَسْبُ»، هذا الاختلاف ناتج عن عُري المصاحف الأولى من التشكيل[١٢٦].
- **الاختلاف الثاني:** يظهر في رسم المصاحف للكلمة، كما في الفرق بين مصحف عثمان ‹أَفَحَسِبَ› ومصحف ابن مسعود «أَفَظَنَّ»، وهذا يؤكد أن أصحاب المصاحف الأولى حاولوا الالتزام بالمعنى دون الرسم في الكثير من الأحيان، أي أنهم لم يلتزموا بحرفية النص القرآني بالمفهوم الحالي.
- **الاختلاف الثالث:** يأتي بالإضافة أو النقصان، والتقديم والتأخير مع التغيير في الرسم كما يظهر في القراءة التي ذكرها ابن خالويه: «أَفَرَأَيْتَكَ الذين اتخذوا من دوني آلهة أظنوا عبادي لهم أولياء».

---

١٢٠. الداني، المحكم ٢٢-٢٣، والخليل بن أحمد الفراهيدي ولد سنة ١٠٠ للهجرة-٧١٨ م، وتوفي سنة ١٧٣ هـ الموافق ٧٩١ م.

١٢١. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣١٣، عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ١٨.

١٢٢. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣١٣-٣١٤.

١٢٣. نفس المصدر ٥: ٣١٣، وعمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ١٨.

١٢٤. ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن ٨٥-٨٦.

١٢٥. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ٣٦-٣٨، وانظر «القراءات المختلفة للقرآن»، في المجلد الأول من هذا الكتاب.

١٢٦. الداني، المحكم ٢٢-٢٣.

www.christianlib.com

جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا ١٠٢ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣
ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا
نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ
وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا
حِوَلًا ١٠٨ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن

ونتساءل: كيف يمكن القول بوحدانية النص القرآني أو قدسيته، مع هذا الكم من الاختلافات في قراءات آية واحدة؟

١٨:١٠٥

- قراءة الجمهور: ‹فَلَا نُقِيمُ...وَزْناً›[١٢٧].
- وقرأ ابن مسعود وآخرون: «فَلَا يُقِيمُ...وَزْناً»[١٢٨].
- وقرأ عبيد بن عمير: «فَلَا يَقُومُ...وَزْناً»[١٢٩].
- وقرأ مجاهد وآخرون: «فَلَا يَقُومُ...وَزْنٌ»[١٣٠].
- وهناك قراءة أخرى لمجاهد: «فَلَا تَقُوم...وَزْنٌ»[١٣١].

١٢٧. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣١٨.
١٢٨. نفس المصدر، وعمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٢٠.
١٢٩. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣١٨.
١٣٠. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٢٠.
١٣١. نفس المصدر، وابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن ٨٥.

www.christianlib.com

مما يؤكد حرية القراء الأوائل في اختيار قراءة القرآن بما يناسب ذوقهم وفهمهم للآية، الأمر الذي إن تجرأ أحد اليوم على فعله لاتُهِم بالكفر وتحريف «كتاب الله»!

١٨:١٠٩

أ. ‹مِدَاداً... مَدَداً›

- قراءة الجمهور: ‹مِدَاداً...مَدَداً›[١٣٢].
- وقرأ ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وآخرون: «مَدَداً...مِدَاداً»[١٣٣].

بما أن قراءة ابن مسعود وابن عباس والآخرين قد جاءت بعكس قراءة الجمهور في كلتا الكلمتين، مما يرجح أنهما كانتا في الأصل بدون ألف المد في وسط الكلمة. وما يؤكد هذا الطرح هو عدم وجود ألف المد في وسط هاتين الكلمتين في كل المخطوطات القديمة، وعلى سبيل المثال فإننا نجدها على هذه الصورة في مخطوطات القاهرة[١٣٤]، وطوب قابي[١٣٥]، والمخطوطة البريطانية[١٣٦].

ونتساءل: رغم عدم وجود ألف المد في مخطوطات القرآن، فلماذا أضيفت للكلمة الأولى في المصحف الحالي؟ هل لتأكيد قراءة الجمهور وإبعاد باقي القراءات؟ فغياب ألف المد في وسط الكلمة في المصاحف الأولى يثير إشكالية عويصة ألا وهي تغيير الكلمة من المفرد إلى الجمع، مثل بحر وبحار، أو تغيير معنى الكلمة بالكامل كما رأينا في هذه الآية، حيث الفرق بين الكلمتين واضح وكبير، فالمداد هو الحبر، أما المدَدَ فهو الزيادة والمعونة[١٣٧].

---

١٣٢. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ١٦٠.

١٣٣. نفس المصدر.

١٣٤. مصحف المشهد الحسيني، الرقعة ٥٣٣ ب، الجزء الثاني صفحة ٥٣٤.

١٣٥. مصحف طوب قابي، الرقعة ١٩١ ب، الصفحة ٩٤.

136. MS. Or. 2165, Folio 47b, (BL), London, UK.

١٣٧. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٢٠.

www.christianlib.com

تنفدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ
إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا
صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠

ب. ‹تَنْفَدَ›

- قراءة الجمهور: ‹تَنْفَدَ›[١٣٨].
- قرأ حمزة والكسائي وآخرون: «يَنْفَدَ»[١٣٩].
- قرأها طلحة بن مصرف: «يُقْضَى»[١٤٠].
- في مصحف ابن مسعود: «تُقْضَى»[١٤١].

في قراءتي الجمهور وحمزة والكسائي، غياب التنقيط أدى إلى اختلاف التذكير والتأنيث بينهما. أما في قراءتي طلحة وابن مسعود، فجاءت المفردة بمعنى مقارب ولكن بمرادفة لها، بالتذكير في قراءة طلحة، والتأنيث في مصحف ابن مسعود.

ونتساءل: أين هو الإعجاز البلاغي في النص القرآني مع كل هذه الاختلافات في القراءات؟

---

١٣٨. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٢١.
١٣٩. نفس المصدر.
١٤٠. نفس المصدر.
١٤١. نفس المصدر، والسجستاني، كتاب المصاحف ٣٢٢.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

شخصية مريم هي الشخصية المحورية في السورة ومنها جاءت التسمية. ورُوي أن اسم السورة [أي: «سورة مريم»] أطلقه محمد نفسه، بينما سمّاها ابن عباس «سورة كهيعص» (ابن عاشور ١٦: ٥٧). وما يميز السورة هو وصفُ الله بالرحمن، إذ وردت فيها مفردة «الرحمن» ست عشرة مرة (ابن عاشور ١٦: ٥٩ - ٦٠).

تناولت السورةُ سيرة مريم وحملها الإعجازي (١٥ - ٤٠). كما تناولت سِيَرَ شخصيات كتابية أخرى، إذ نقرأ فيها قصة زكريا وابنه يحيى (١ - ١٤)، وقصة إبراهيم (٤١ - ٥٠). وتشير السورة باختصار إلى موسى (٥١ - ٥٣)، وإسماعيل (٥٤)، وإدريس (٥٦). والسورة من أقدم السور التي ورَد فيها ذِكْرُ شخصياتٍ من العهد الجديد، مثل مريم وزكريا ويحيى وعيسى [المسيح] (نولدكه ١١٦. قارن Wherry 3: 99). ويجد Wherry أن الأخطاء التاريخية في السورةِ تبينُ أن محمداً لم يكن مُطّلعاً بشكل مباشَرٍ على الكتب اليهودية والمسيحية (Wherry 3: 99).

إضافة لذلك، تتناول السورة الجنة وأوصافها، وقد جاء ذكر الجنة في معرض الردِّ عن رَفض مُشركي قريش قضية اليوم الآخِر (ابن عاشور ١٦: ٥٩).

السورةُ مكيةٌ باتفاق عُلماء الإسلام (ابن عاشور ١٦: ٥٧). وثمة من قال إن الآيةَ (٧١): ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ مدنيةٌ (الإتقان ٩٣). وحسبما جاء في «الإتقان»، فإن هذه السورةَ حُملت إلى الحبشةِ المسيحيةِ للبرهنة على وَحدة المعتقدِ مع النجاشي (ملك الحبشة)، إذْ قام جعفر بن أبي طالب بقرأتها عليه (الإتقان ١١٣). ولعل في السورةِ محاولة من قِبَل محمدٍ لكسبِ نفوذٍ لدى النجاشي لتوفير ما هو أكثر من حماية للاجئين، كالدعم المادي مثلاً.

وضعَ ابنُ عاشور هذه السورة بعد سورة فاطر (٣٥)، وقبل سورة طه (٢٠). وحسب تقديره، فإن ترتيبَها هو الرابعُ والأربعون بين سُوَرِ القرآن (ابن عاشور ١٦: ٥٨).

يُلاحَظُ أن هناك اختلافاً في الجزء الذي يتضمن الآيات (٣٤ - ٤٠)؛ فهذا الجزء لا يدخل في نفس الفاصلة (أو القافية) المتبعة في السورة؛ وما يؤكد ذلك أننا نقرأ فيها اتهاماً للمسيحيين بأنهم يدّعون أن الله اتخذ ولداً. وربما أضاف محمدٌ الآيات (٣٤ - ٣٥) في مطلع الفترة الثالثة، أو في نهاية الفترة الثانية للدعوة في مكة (حوالي ٦١٨ ـ ٦١٩ م) (نولدكه ١١٦، قارن: أطوار ٤٦٥ - ٤٦٦، وWherry 3: 100). وقد تمّت إضافة هذا الجزء على النص الأصلي الذي تُلِيَ على مسامع النجاشي مسيحي العقيدة، لأنه من غير المعقول أن يأمرَ محمد بتلاوة نصٍّ أمامه، يحتوي على تكفيرٍ للمسيحيين، دون أن يعلق النجاشي عليه، أو يردَّ على هذا الافتراء. فضلاً عن أن غاية محمد من هذه السورة كان كسب حماية النجاشي.

ويتكرر الاتهام بحق المسيحيين في الآيات (٣٠، و٨٨ - ٩٢)، مما يعني أن هذه الأجزاء لم تكن ضمن ما تم تلاوته لدى النجاشي.

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا

٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ

٢:١٩

أ. ‹ذِكْرُ›

- قراءة الجماعة: ‹ذِكْرُ›[١].
- وقرأ ابن عباس ويحي بن يعمر: «ذَكِّرْ»[٢].
- اختلافُ القراءتين واضحٌ، حيث إن قراءة الجماعة تتحدث عن تلاوة الذكر: «أَيْ هَذَا الْمَتْلُوّ مِنْ الْقُرْآن ذِكْر رَحْمَة رَبّك»[٣]. بينما قراءة ابن عباس تأمر بالتَّذْكِيرِ، كما جاء في الخطيب. إلا أن قراءة ابن عباس تفيدُ كذلك أن قصصَ الأنبياء كانت معروفةً للجميع في ذلك العصر، القرن السابع الميلادي، في المجتمع القرشي. ويتأكد هذا من ردِّ أهل قريش على دعوة محمد، بقولهم في الآية: ‹وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ› (الأنفال ٨: ٣١).

---

١. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٣٣.

٢. نفس المصدر.

٣. الزمخشري، الكشاف ٤: ٥.

www.christianlib.com

ب. ﴿رَحْمَتِ﴾

- القراءة الشائعة: ﴿رَحْمَتِ﴾.
- قرأ ابن كثير وآخرون: «رَحْمَهْ»[٤].
- وقرأ الباقون: «رَحْمَتْ»[٥].

تظهرُ في النسخةِ العثمانيةِ للقرآنِ كلمةُ «رَحْمَتْ» كاسمٍ بتاءٍ مفتوحةٍ في نهايتِها. ويعلّقُ الخطيبُ على ذلك بالقولِ إنّ هذه كانت طريقةَ كتابةِ الكلمةِ حسبَ لغةِ قريشٍ.[٦] غيرَ أن من الغريبِ أن الخطيبَ يناقضُ نفسَهُ في ما يتعلقُ بهذه النقطةِ عينِها حسبَ هاتينِ اللغتينِ في آيةٍ أخرى. (انظر التعليقَ على يونس ١٠: ٣٣، صفحة ٥٧).

فلماذا لم يواصلِ النصَّ القرآنيَّ باللغةِ نفسِها، لغةِ قريشٍ، وبشكلٍ خاصٍّ عندَ ظهورِ الكلمةِ على صورةِ «رَحْمَةَ» كاسمٍ وتاءٍ مربوطةٍ في مريم ١٩: ٢١، حيث جاءت هنا حسبَ لغةِ طيٍّ؟

ملاحظة: يحددُ الرسمُ الخطيُّ للكلمةِ في المصحفِ العثمانيِّ معناها ولفظَها. فالتاءُ الطويلةُ أو المفتوحةُ (ت) تلفظُ دائمًا «ت» لا «ه» في أي ظرفٍ وحالٍ. فإنْ قالَ أحدُهم «اللات»، فإنه يُفهَمُ أنه أشارَ إلى وثنٍ. وأما إذا قالَ «الله»، فإنه يُفهمُ أنه أشارَ إلى الخالقِ. ومما يزيدُ الأمرَ تعقيدًا هو أن المصحفَ العثمانيَّ لم يشتملْ على التنقيط والتشكيل للتمييزِ بين الحروفِ والكلماتِ. وقبلَ إضافةِ علاماتِ التشكيلِ إلى القرآنِ، كانت التاءُ المربوطةُ «ة» تُكتبُ «ه». (انظر مقال «جمع القرآن»، في المجلد الأول من هذا الكتاب).

ونتساءل: لماذا تضمُّ السورةُ الواحدةُ نفسُها لغتينِ مختلفتين؟ فهل أنزلَ جبريلُ القرآنَ بلغةِ قريشٍ ثم مزجهُ بلغةِ طيٍّ بينما يعتقدُ أتباعَ القرآنِ أنه معجزةٌ في لغتِهِ ودقّتِه؟

---

٤. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٣٤.
٥. نفس المصدر.
٦ نفس المصدر.

www.christianlib.com

رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي
مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾
يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ
رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾
قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾
قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾
فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾
يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا
وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ

١٩: ٥

- قراءة الجمهور: ‹خِفْتُ الموالي›[٧]، من الخوف.
- وقرأ عثمان بن عفان وعلي بن الحسن وابن عباس وزيد بن ثابت وآخرون: «خَفَّتِ الموالِيْ»[٨]، ومعنى خفت: قلَّت.

قال الطبري مفسراً سبب الخوف: «وإني خِفتُ بني عمي وعَصَبَتي ‹مِن وَرَآءِي›. يقولُ: مِن بعدي أن يَرِثوني»[٩]. ونقل القرطبي عن محمد قوله: «إنَّا معشرَ الأنبياء لا نُورَث، ما تركنا صدقةٌ»[١٠].

٧. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٣٨.
٨. ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن ٨٦، وانظر أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ١٦٥.
٩. الطبري، تفسير ١٥: ٤٥٥.
١٠. القرطبي، تفسير ١٣: ٤١٠.

www.christianlib.com

كما نقل عن أَبِي دَاوُد: «إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياءَ لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، ورَّثُوا العلم»[١١].

وفي الواقع، فالقرآنَ لم يَذكر أن لنبيِّ الله زكريا مالاً يخاف عليه من مَواليه. وكونُ الأنبياء، كما جاء في القرطبي، لا تُورث، فالموضوع ليس الخوف على الإرث، بل الطلب من الله أن يهب له ذرية «فهب لي من لدنك وليًّا». مما يعني أن القراءة الصحيحة هي التي قال بها صاحبُ المصحف الخليفة عثمان بن عفان، ورئيسُ لجنته التي جمعت وكتبت المصحف زيد بن ثابت: «خَفَّتِ الْمَوَالِيْ»، وليست قراءة الجمهور.

وبما أن صاحب المصحف وجامعه وحبر الأمة ابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على قراءة واحدة فلماذا اختلفت الجماعة معهم؟

١٩: ٨

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا›.
- جاء في مصحف أُبيّ بن كعب[١٢]، وكذلك قراءة ابن مسعود وابن عباس: «بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عُسِيًّا»[١٣].

القراءتان تحملان نفس المعنى، «وَلَّى وَكَبِرَ» بحسب تفسير القرطبي[١٤]. واستخدام مترادفات لنفس الكلمة يُعطي دلالة على أن بعض كلمات النص القرآني إما كانت بلغة أخرى كالسريانية مثلًا، أو كانت بمفردات عسرة الفهم على الجيل الثاني من الصحابة، فاختار القراء الأوائل مترادفات أبسط وأكثر شيوعًا، ودونوها كل بحسب ما رآه مناسباً.

١١. القرطبي، تفسير ١٣: ٤١٠.
١٢. نفس المصدر ١٣: ٤١٨.
١٣. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٤٣.
١٤. القرطبي، تفسير ١٣: ٤١٨.

www.christianlib.com

يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ
ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ
إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن

١٩: ١٦-١٧

يذكر هذا النص تفصيل ابتعاد مريم عن أهلها صوب منطقة شرقية، وقد قال بعضهم إن المكان يقع شرقي بيت المقدس، وقال آخرون إنها اعتزلت في شرق دارها[١٥]. والقرآن لا يشير إلى أسباب الاعتزال، وكيف تمكنت من الاعتزال بدون أن تثير الانتباه، سواء أكان بجوار البيت أم بعيداً عنه. ونجد أن النص يحتوي على أمرين مبهمين: مكانُ الاعتزال وسببُه.

١٩: ١٧

تنصُّ الآية على أن الله أرسل روحه إلى مريم، وشرحاً لذلك يقول المفسرون إن الروح هو جبريل الذي ظهر لها بشكلٍ بشريٍ[١٦]. ويقال إن سبب تسمية جبريل بالروح «على المجاز؛ محبة له»[١٧].

ومن ناحية أخرى، يرى بعض المفسرين أن الروح هو المسيح «لأن الله تعالى خلق الأرواحَ قبل الأجساد، فركَّب الروح في جسد عيسى عليه السلام الذي خلقه في بطنها [مريم]»[١٨].

١٥. الزمخشري، الكشاف ٤: ١١.
١٦. الطبري، تفسير ١٥: ٤٨٥.
١٧. الزمخشري، الكشاف ٤: ١١، الرازي، تفسير ٢١: ١٩٧.
١٨. القرطبي، تفسير ١٣: ٤٢٩.

www.christianlib.com

ويميل معظم المفسرين للقول إن الروح هو جبريل، مستندين في ذلك إلى الآية التي تقول: ‹نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ [يا محمد]› (الشعراء ٢٦: ١٩٣)[١٩].

وهذا الانقسام في التأويل يعكس حَيرة المفسرين في دلالة معنى الروح هنا. ولعل جزءاً من الإشكالية يكمن في أن التفسير الذي يقول إن المقصود بروح الله هنا المسيح فيه اقتراب من الرؤية المسيحية عن المسيح؛ مما دفع بأغلب المفسرين لترجيح أن المقصود بالروح هو جبريل. و في كل الأحوال، ينهض هذا الاختلاف دليلاً على ضبابية النص القرآني وتحمله معانٍ مختلفة.

١٩: ١٨

عندما ظهر الملاك لمريم، قالت له: ‹إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً›. وفي قولها تناقض: فالمرء لا يتعوَّذ من التقي. ولاحقاً، لاحظ نُقادٌ للقرآن ذلك، فقالوا: «وكان الأقرب أن تقول: إني أعوذ بالرّحمن منكَ إن **لم تكن تقياً**»[٢٠]. ويقدم الرازي في تفسيره ثلاثة تأويلات محتملة:

١. إن مريم قصدت بقولها السابق إني أعوذ بالرحمن منك «لأنها علمت أنه لا تؤثر الاستعاذة إلا في التقي»؛

تعليق: مريم تعلم أن لا حاجة للاستعاذة من التقي؛ وبالتالي لا معنى من جانبها للتعوّذ.

٢. تعبّر مريم عن شكّها في تَقوى الذي ظهر، لأنه نظر إليها واقتحم خُلوتها بدون إذنٍ منها؛

تعليق: تفسيرٌ معقول، ولكنه لا يعلل عباراتها. فمَن يقتحم خُلوات الآخرين ليس تقياً حتماً.

٣. كان في ذلك العصر إنسانٌ فاجر اسمه تقي، يترصد النساء، فظنت مريم أنه هو[٢١].

تعليق: ويبدو أن هذا الرأي هو الذي يخلّص الآيةَ من التناقض الداخلي، لكن ذلك لا يجد ما يدعمه من سياق الآية نفسها، فضلاً عن أن المفسرين لا يتبنونه.

---

١٩. الرازي، تفسير ٢١: ١٩٧. قارن: القرطبي، تفسير ١٣: ٤٢٩.

٢٠. الهمداني، تنزيه القرآن ٢٤٦. التشديد مضاف.

٢١. الرازي، تفسير ٢١: ١٩٨-١٩٩.

كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِى بَشَرٌ وَلَمۡ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ
رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمۡرًا
مَّقۡضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ
إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِى مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِى قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ

١٩: ١٩

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹لِأَهَبَ لَكِ›، أي أن الواهب هو الملاك.
- وقرأ ابن مسعود وآخرون: «لِيَهَبَ لَكِ»[٢٢]، فيكون الواهب هو الله.
- وقرأ أبو عمرو: «لِنَهَبَ لَكِ»[٢٣]، أي الملاك والله.
- وفي بعض المصاحف: «أَمَرَنِي أَنْ أَهَبَ لَكِ»[٢٤]، يكون الواهب هو الملاك بأمر من الله.

باختلاف القراءات يختلف معنى الآية؛ وهوية الواهب كما هو واضح.

والسؤال المطروح هو: كيف لملاك أن يهَب لمريم العذراء غلاماً؟ أليست قراءة ابن مسعود هي الأقوى والأرجح من بين هذه القراءات، حيث إن الواهب هو الله؟

---

٢٢. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٣٦.
٢٣. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٤٩.
٢٤. الزمخشري، الكشاف ٤: ١٢. وانظر الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٤٩.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

١٩: ٢٢-٢٥

يقول النصُّ إن مريم عندما حبلت، ابتعدت إلى مكانٍ ناءٍ (آية ٢٢). ووصْفُ المكان وما فيه من نخلٍ (آيات ٢٣ و٢٥) يشير إلى برية أو صحراء، أي أنه وصف عمومي لا تحديد فيه. ويعني هذا أن كاتب القرآن يجهل المكان الصحيح. أما الروايةُ الإنجيلية فتقول إن مريم وضعت مولودَها في بيت لحم[٢٥].

١٩: ٢٤

- قرأ الجمهور: ‹فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا›[٢٦]، أي أن المقصود من الموضع الذي تحتها.
- وقرأ ابن عباس: «فَنَادَاهَا مَلَك مِنْ تَحْتِهَا»[٢٧].
- وقرأ مجاهد وعاصم والحسن وآخرون: «فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتَهَا»[٢٨]، بفتح الميم، أي أن المقصود الشخص الذي تحتها.
- وقرأ زر وعلقمة: «فَخَاطَبَهَا مِنْ تَحْتِهَا» مكان ‹فَنَادَاهَا›[٢٩].

قراءة الجمهور بها غموض، إذ لا تحدد هوية من نادى «مريم». أهو الملاك؟ أم ابنها؟ أما قراءة ابن عباس «فَنَادَاهَا مَلَك» فهي تُظهرُ بوضوح أنّ مَنْ ناداها هو الملاك. إلا أنها اختلفت عن قراءة مجاهد، التي تقول أن المنادي هو ابنها وليس الملاك.

ذكر أبو حيان عن قراءة زر أنها قراءة تفسيرية لأنها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه[٣٠]. ونحن لا نرى أي تفسير جاءت به هذه القراءة لتوضيح الآية، لأن المنادي أو المتكلم لا زال غامضًا!

١٩: ٢٤

كما رأينا[٣١]، فقد اختلف المفسرون بشأن هوية المنادي: أهو المولود المسيح أم جبريل؟ كذلك أيضاً اختلفوا في معنى ‹سَرِيّاً› على النحو التالي:

---

٢٥. انظر مثلًا: إنجيل لوقا ٢: ١-٢٠.
٢٦. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٥٣.
٢٧. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ١٧٣.
٢٨. نفس المصدر.
٢٩. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٣٨.
٣٠. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ١٧٣.
٣١. راجع القراءات لنفس الآية.

www.christianlib.com

إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي
عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ
أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ

- أنه نهر يُشربُ منه. وقالوا هو جدول، وقيل إنه الجدول بحسب اللغة السريانية، فيما عزاها البعض إلى النبطية[٣٢]؛
- أنه يعني المسيح نفسه. ويقولون إن الاسم مشتقٌ من «السرى» وهو الشخص النبيل[٣٣]. ويقول أصحاب هذا الرأي إن السري لا يمكن أن يكون نهراً لأنه، كما ذكر الطبري: «لو كان النهرَ لكان إنما يكونُ إلى جَنْبِها، ولا يكونُ النهرُ تحتها»[٣٤]. وهذا يوافق ما ذهب إليه لوكسنبورج من أن معنى سريًا هو «ابن حلال» باللغة السريانية[٣٥].

إذاً، هذه الآيةُ جمعت مجهولاتٍ عدة

- من المتكلم؟ المسيح أم جبربل؟
- أين المكان؟ تحت مريم أم تحت النخلة؟
- ما هو السري؟ النهر أم المسيح؟

وهذا يدفعنا إلى التساؤل: أين البيان في هذا النص القرآني؟

---

٣٢. الطبري، تفسير ١٥: ٥٠٦-٥٠٩.
٣٣. الرازي، تفسير ٢١: ٢٠٦.
٣٤. الطبري، تفسير ١٥: ٥٠٩-٥١٠.

35. Luxenberg, *The syro-Aramaic Reading of the Koran* 141.

www.christianlib.com

١٩: ٢٦

- قراءة الجماعة: ‹صَوْماً›[٣٦].
- وقرأ أُبيّ بن كعب: «صَوْماً صَمْتاً»[٣٧].
- ورُوي عن أنسٍ أيضاً أنه قرأ: «صَوْمًا وَصَمْتاً»[٣٨].
- وفي مصحف ابن مسعود: «صَمْتاً»[٣٩].

قراءة الجماعة لا تبيّن إطلاقاً للقارئ العلاقة بين الصوم عن الأكل والشرب، والامتناع عن الكلام بالتحديد؛ ولاسيما بالرجوع للشق الأول من الآية، فتزداد الحيرة حيث يريدها الله أن تأكل وتشرب وتقر عيناً، بينما ترد على من يسألها عن ولدها بأنها نذرت صوماً!

فقراءة أُبيّ بن كعب: «صَوْماً صَمْتاً» توضح أن نوع الصوم هنا هو الصوم عن الكلام. بينما قراءة أنسٍ «صَوْمًا وَصَمْتاً» تبين أنها صامت عن كلٍ من الأكل والشرب وأيضاً الكلام. بينما مصحف ابن مسعود يفيد الامتناع عن الكلام فقط، وكما نلاحظ فهناك تخبط وتضارب في المعاني بين هذه القراءات.

١٩: ٢٦

رأينا في القراءات المختلفة للآية الإشارة إلى الطلب من مريم أن تقول إنها نذرت صوماً. وبإجماع المفسرين، فإن الصومَ المقصودَ هو الصمت[٤٠]. ولهذا، نجد في بعض القراءات أن كلمة ‹صَوْماً› قرئت «صمتاً»[٤١]، أو «صَوْماً صَمْتاً»[٤٢]، أو «صَوْمًا وَصَمْتاً»[٤٣]، كما سبقت الأشارة.

وإشكالية أن تصوم مريم عن الكلام ثم تقول إنها نذرت صوماً وجد لها المفسرون مخرجاً فقالوا إنها التزمت الصمت، لكنها أشارت برأسها عن صيامها. كما قال آخرون إن مريم نذرت

٣٦. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٥٩.
٣٧. نفس المصدر.
٣٨. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٤٢.
٣٩. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٥٩.
٤٠. الطبري، تفسير ١٥: ٥١٦.
٤١. الزمخشري، الكشاف ٤: ١٧.
٤٢. القرطبي، تفسير ١٣: ٤٣٩.
٤٣. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٤٢.

www.christianlib.com

جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ
أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩
قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا
كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي
جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣

الصوم، لكنها نفذته بعد أن جاءها أناس من قومها، فقالت لهم ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً﴾[٤٤]. وبخلاف هذين الرأيين، فإن القارئ لا يقدر أن يتخيل صمتاً وكلاماً في ذات الوقت. وفي واقع الأمر، فإن وجود احتمالين لموعد بدء صمتها يضيف تفصيلاً جديداً إلى سلسلة التفاصيل غير الواضحة في القرآن، والتي تحتاج إلى تقديرات وتخمينات العلماء المسلمين.

١٩: ٢٧-٢٨

تُخاطب الآية مريم، أم المسيح في القرآن بصيغة: ﴿يَا مَرْيَمُ!...يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾.

حسب القرآن، فإن مريم هي أمُّ المسيح وأختُ هارون؛ وهارون في القرآن هو أخو موسى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً﴾ (سورة الفرقان ٢٥: ٣٥). وفي موضع آخر يقول القرآن إنّ: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا...﴾ (سورة التحريم ٦٦: ١٢)، وأيضًا ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء ٢١: ٩١).

٤٤. الرازي، تفسير ٢١: ٢٠٨.

www.christianlib.com

لكن عبارة ‹مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ› تكرار لما ورد في سِفْرِ العَدَدِ: «وَاسْمُ امْرَأَةِ عَمْرَامَ يُوكَابَدُ بِنْتُ لاوِي، التِي وُلِدَتْ لِلاوِي فِي مِصْرَ. فَوَلَدَتْ لِعَمْرَامَ هَارُونَ وَمُوسَى وَمَرْيَمَ أُخْتَهُمَا». ووصفُ مَرْيَم بأنها ‹أُخْتَ هَارُونَ› ورد أيضاً في سِفْر الخُرُوجِ[٤٥] والمقصود: «مَرْيَمُ النَّبِيَّةُ أُخْتُ هَارُونَ». ولكن القرآن يخلط بين مريمَ أُخْتِ هَارُونَ، ابنةِ عَمْرَامَ (عِمْرَانَ) وبين مريم العذراء. مع أن الفارق الزمني بينهما يزيد عن ١٥٠٠ سنة. وقد انتبه الطبري إلى هذه المعضلة فسعى إلى إيجاد حل لها، فقال إن مريم العذراء تنتمي إلى نفس عائلة آل عمران، وذكر سلسلة نسب اعتقد إنها لمريم العذراء، إلا أنه نقل سلسلة نسب يوسف النجار خطيب مريم العذراء الواردة في إنجيل متى ١: ٦-١١[٤٦].

١٩: ٣٠

يقول هذا التفصيل إن المسيح الطفل أنطقه الله فأعلن أنه عبد الله[٤٧]. وربما كانت الغاية من إنطاق المسيح وهو في المهد تهدف إلى الردِّ على عقيدة الثالوث المسيحي بصورة غير مباشرة. وهذا المثالُ يوضح أن هدف القصةِ القرآنيةِ في كثيرٍ من الحالات، هو أن تكون أداةً يُعالج فيها محمدٌ قضايا حيوية بالنسبة لمحمدٍ، حتى ولو كانت هذه القصةُ تجافي الحقيقةَ الكتابية.

ومع ذلك، فهذا التفصيل لم يخلُ من غموض لدى المفسرين المسلمين أنفسهم، الذين اختلفوا على ماهية الكتاب، هل هو التوراة، أم التوراة والإنجيل[٤٨].

---

٤٥. سِفر الخُرُوج ١٥: ٢٠

٤٦. الطبري، تفسير ٥: ٣٣١.

٤٧. الزمخشري، الكشاف ٤: ١٨.

٤٨. الرازي، تفسير ٢١: ٢١٥.

www.christianlib.com

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبْحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾

١٩: ٣٤

- القراءة الشائعة: ‹قولَ الحقِّ›.
- قراءة الجمهور: ‹قَوْلُ الْحَقِّ›[٤٩].
- جاء في مصحف ابن مسعود: «قَالَ الْحَقّ»[٥٠].
- وقرأ ابن مسعود والأعمش وعيسى: «قَالُ الْحَقّ»[٥١].
- وقرأ ابن مسعود: «قَالُ اللهِ الْحَقّ»[٥٢].
- وروي عن ابن مسعود أنه قرأ: «قَوْل الْحَاقّ»[٥٣].

يُفهمَ من قراءة الجمهور ‹قَوْلُ الْحَقِّ›، أن عيسى ابنَ مريم هو نفسه قولُ الحقّ، أي أنه هو كلمة الله، حيث ذكر الرازي، في إحدى تفسيراته لهذه التركيبة اللغوية: «...أن نفس عيسى عليه

٤٩. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ١٧٨. قارن: ابن كثير، تفسير ٩: ٢٤٤.
٥٠. السجستاني، كتاب المصاحف ٣٢٢، قارن الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٦٥.
٥١. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٦٥.
٥٢. نفس المصدر.
٥٣. الطوسي، التبيان ٧: ١٢٤، والخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٦٥.

www.christianlib.com

السلام هو قول الحق وذاك لأن الحق هو اسم اللـه فلا فرق بين أن نقول عيسى كلمة اللـه وبين أن نقول عيسى قول الحق»[٥٤].

أما باقي القراءات فباختلافها يختلف معنى الآية؛ حيث جاء في القراءة الشائعة للقرآن (حفص) ‹قولَ الحَقِّ› وقد ذكر الطبري أنها تعني «أَنَّ هَذَا الخَبَرَ الَّذِي قَصَصْته عَلَيْكُمْ قَوْل الحَقّ»[٥٥]. وهذه القراءة من أضعف القراءات حيث تحتاج لتأويل لبيان معناها، وإزالة الغموض عنها كما يتضح من تأويل الطبري.

ولكن من الملاحظ وجود العديد من القراءات المختلفة لابن مسعود، رغم أنه بحسب الموروث الإسلامي فقد كان له مصحفًا واحدًا، الأمر الذي يشكك في مصداقية نقل هذه القراءات لمخالفتها لما ورد في مصحفه، فقد ورد فيه «قَالَ الحَقُّ». وكون المصاحف الأولى كانت خالية من التنقيط والتشكيل، فنحن نستبعد القراءتين اللتين ذكر فيهما كلمة «قالُ» بالرفع، حيث تخالفان القاعدة القياسية. وكلمة «الله»، التي أُضيفت هنا إلى إحدى قراءات ابن مسعود، غير موجودة في مصحفه. كذلك نستبعد القراءة الأخيرة «قول الحاق» نظرًا لإبدال الألف بالواو، وإضافة الألف بعد الحاء تعسفًا. كما أن كلمة «الحاق» ليس لها أي ذكر في أي من معاجم اللغة العربية.

ولا يضيفُ بقاءُ هذه القراءاتِ في كتبِ التفسيرِ رغمَ هذه المشكلاتِ — وبشكلٍ خاصٍّ عندما تُعزى قراءاتٌ كهذه إلى قرّاءٍ يحظون باحترامٍ كبيرٍ مثلِ ابنِ مسعودٍ، وأُبيّ بنِ كعبٍ، وابنِ عباسٍ — إلاّ مصداقيةً وهميةً. إذ يبدو أن هذه القراءاتِ محاولاتٌ لإضعافِ الثقةِ بالقراءاتِ الأصليةِ لهؤلاءِ القرّاءِ من أجلِ تعزيزِ مصداقيةِ القراءة الحاليةِ للقرآنِ.

وخلاصةُ القولِ: فإن علماء الإسلام حاولوا جاهدين تأويل هذه العبارة باستخدام تعدد القراءات للابتعاد عن مطبات فقهية بخصوص لاهوت المسيح، ولعل تعدد القراءات التي وضعت على لسان ابن مسعود لأكبر دليل على تلك المحاولات للخروج من تلك الإشكالية.

---

٥٤. الرازي، تفسير ٢١: ٢١٨.

٥٥. الطبري، تفسير ١٥: ٥٣٤.

www.christianlib.com

وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٣٦ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ
مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٣٧ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ
يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ
إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٩ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ
عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٤٠ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا
٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ
شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا
سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤
يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥
قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا
٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ
وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨
فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ
وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ

www.christianlib.com

١٩: ٣٦

أورد الرازي رأيين بشأن مَن وردَ على لسانه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾[٥٦]:

القول الأول: إن المتكلم هو محمد.

القول الثاني: إن المتحدث هو المسيح، فالآية معطوفة على ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ (الآية ٣٠)، كأنه قال: إني عبد الله وإنه ربي وربكم.

وهذان القولان يحملان إشكالية، مما يدفع المرء للتساؤل: أليس من البلاغة أن تكون صياغة الآية واضحة، فيفهم القارئ من سياقها من المتحدث هنا محمد أم المسيح، لا أن يبقى القائل مجهولاً.

١٩: ٣٩

في هذه الآية يُطلب من محمد أن ينذر المشركين بعواقب عدم الإيمان بالإسلام، والإنذار بيوم الحسرة. وبصدد هذا الإنذار لدينا قولان:

القول الأول: **إنها منسوخة**

ذهب البعض إلى أنها نُسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٥٧].

القول الثاني: **إنها محكمة**

يرفض ابن الجوزي هذا القول بالنسخ إذ يعتبر أن إنذار غير المسلمين بالعقاب في الآخرة لا يحول دون قتالهم في الدنيا[٥٨].

١٩: ٤٩

تقول الآية إن الله وهب إبراهيم: إسحق ويعقوب وتغفل بقية الأبناء وأبرزهم بحسب العقيدة الإسلامية إسماعيل. وهذا الإغفال يوحي أن إسماعيل ليس هبة من الله، ولا يُعرف سبب إغفال اسم اسماعيل هنا، إلا كان محمد في هذه القائمة يعكس معرفة تحصل عليها من بعض المعارف أن التوراة تركز على إسحق ويعقوب وليس على إسماعيل كونه ليس ابن الموعد.

---

٥٦. الرازي، تفسير ٢١: ٢٢٠.

٥٧. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٩٦، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٤، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٦٢.

٥٨. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٩٦.

www.christianlib.com

صِدۡقٗا عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ
رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾
وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ
إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ
صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم

١٩: ٥٤

يورد القرآن، في أكثر من آية، أسماء من أُنزل عليهم الوحيُ، مُدرِجاً في قائمته إِسْمَاعِيلَ، فيستعمل الصيغ التالية: ‹أُنزِلَ إِلَى...إِسْمَاعِيلَ› (البقرة ٢: ١٣٦)؛ ‹أُنزِلَ عَلَى...إِسْمَاعِيلَ› (آل عمران ٣: ٨٤)؛ ‹وَأَوْحَيْنَا إِلَى...إِسْمَاعِيلَ› (النساء ٤: ١٦٣).

وهذه صيغٌ تشير إلى أن القرآن يَعتبرُ إِسْمَاعِيلَ نبيّاً. وفي الآية الحالية (مريم ١٩: ٥٤)، وَرَدَ بشكل قاطع وصفُ إِسْمَاعِيلَ بأنه نبي، وأنه صاحبُ رسالة، إذْ صَرّحت الآيةُ بأنّ إِسْمَاعِيلَ: ‹كَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً›.

إدراجُ إِسْمَاعِيلَ في قائمةِ الأنبياء لا يستند إلى تاريخ صحيح، فالتراث الكتابي: اليهودي والمسيحي لا يقول بنبوّة إِسْمَاعِيلَ، إضافةً إلى أن المصادرَ التاريخيةَ لم تتحدث عن كون إِسْمَاعِيلَ قد بَشّر برسالة ما[٥٩]. وحتى القرآن نفسُه لا يَذكر اسم كتابه، أو إلى مَن أُرسل.

٥٩. للاطلاع على مفاصل رئيسة في حياة إسماعيل، يمكن مراجعة سِفْر التكوين: ١٦: ١٥-١٦، ١٧: ١٨-٢٠، ٢٣-٢٦، ٢١: ٨-٢١، ٢٥: ٩-١٩.

www.christianlib.com

١٩: ٥٥

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹أَهْلَهُ›.
- وفي مصحف ابن مسعود: «قَوْمَهُ»[٦٠].

تأتي «أهلُه» تارةً بمعنى أهلِ بيتِه أو أسرتِه (سورة ص ٣٨: ٤٣، والذاريات ٥١: ٢٦)، وتارةً أخرى يُفهمُ منها عشيرتُه (البقرة ٢: ١٢٦). والآيةَ السابقة تُشير إلى أنَّ إسماعيلَ ‹...كان رسولاً ونبياً›، والرسالة لاتَقتصرُ على أهل البيت فقط، بل على العشيرة كلها. وقد ذكر ابن عطية في شرحه للآية أن ‹أَهْلَهُ›، يراد بها «قومه وأمته»[٦١]. أي أن قراءة ابن مسعود قد أصابت المعنى المراد دون الحاجة إلى تأويل، وبذلك تكون أكثر توافقاً مع سياق النص من القراءة الشائعة.

١٩: ٥٦

تورد الآية اسم إِدْرِيسَ، وهذا الاسم ليس معروفاً في التواريخ القديمة، ويقول المفسرون إنه نبيٌّ رُفع إلى السماء[٦٢]. ويُفهم من هذا السياقِ أنه أخنوخ.

تتفق المصادر الإسلامية أن إدريس هو أخنوخ، الشخصية الكتابية[٦٣]. وقد سُمِّي إدريس لكثرة دراسته لكتاب الله (بدون تحديد أي كتاب)[٦٤]. ويُروى أنه نزل عليه ثلاثين صحيفة[٦٥]. إلا أن الرواية التي تقول إن اسم إدريس مُشتقٌ من فعل «درس»، نجدها في أسطورة يهودية مسيحية كانت تعزي لأخنوخ حيازة الحكمة السرية[٦٦]. ودخولُ هذا الاسم إلى القرآن كان مَوضعَ نقاشٍ من جانب الباحثين[٦٧]، ونحن نبتعد عن هذا النقاش.

ونسأل: كيف أن أخنوخ غير العربي، يصبح اسمُه (إدريس) مشتقاً من فعلٍ عربي؟

---

٦٠. ابن عطية، المحرر الوجيز ٤: ٢١، أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ١٨٨، عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٤٩.
٦١. ابن عطية، المحرر الوجيز ٤: ٢١.
٦٢. الطبري، تفسير ١٥: ٥٦٢-٥٦٥.
٦٣. وردت قصة أخنوخ في التكوين ٥: ٢١-٢٤. وأشير إليه في: لوقا ٣: ٣٧، والعبرانيين ١١: ٥ ويهوذا ١: ١٤-١٥. ووردت مُفردةُ إدريسَ في (مريم ١٩: ٥٦، و٢١: ٨٥).
٦٤. الزمخشري، الكشاف ٤: ٢٨.
٦٥. نفس المصدر ٤: ٢٩.

66. FVQ, 51
67. FVQ, 51-52

www.christianlib.com

مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ
إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ
خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾ ۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا
فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ
ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا
سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا
مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ
ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ
وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ
أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾
فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ
لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ
هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾

١٩: ٦١

جاءت المفردةُ بصيغة المفعولِ عِوضاً عن صيغة الفاعل. والمقصود هو القول: «وكان وعدُه آتياً». وهذا التنويع في الصيَغ يُشوِّش على القارئ.

www.christianlib.com

١٩: ٦٣

تَعِدُ الآيةُ العبادَ الأتقياءَ بالجنّة، فتقول: ‹عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً›، والسؤال هنا، كيف يمكن أن يكون ثمة عابدٌ تقيٌّ وآخرُ غيرُ تقيٍّ؟

الشروحاتُ تتجاهل هذه المسألة، ولكن توجدُ لدينا محاولةٌ لحل هذه الإشكالية، في رأيٍ نجدُه في «تفسير القرطبي» يقول إنَّ في الجملة تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديرُ العبارة: «نورث من كان تقيًّا من عبادنا»[٦٨].

ويحق لنا أن نتساءل: أليس من الأدقّ لو جاءت الآيةُ بهذه الصيغةِ من البَداية؟

١٩: ٧١

تعلن الآية أن جميع الناس سيردون جهنم. وقد تباينت الآراء في معنى «الورود»، فقال البعض إنه الدخول لجميع الناس، الصالح منهم والطالح[٦٩]، وقال البعض الآخر إن المقصود هو المرور عليها؛ وقال فريق ثالث بل الورود هو فقط «للكفار»[٧٠]. وقد نُسخت الآية بالحكم الذي تلاها: ‹ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا› (مريم ١٩: ٧٢)[٧١].

ونلاحظ من قول ابن سلامة أن ما ورد في الآية التالية لها ‹ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا› (مريم ١٩: ٧٢) ليس ناسخاً بل هو من قبيل التسلسل الذي يدعم القول بأن المقصود بالورود هو العبور.

---

٦٨. القرطبي، تفسير ١٣: ٤٨٠.

٦٩. الطبري، تفسير ١٥: ٥٩٠-٥٩٥.

٧٠. نفس المصدر ١٥: ٥٩٥-٥٩٦.

٧١. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٦٢.

www.christianlib.com

ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا
بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى
ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا

١٩: ٧٤

- قراءة الجمهور: ‹رِءْيًا›[٧٢].
- الزهري وآخرون: «رِيًّا»[٧٣].
- وقرأ أبو بكر: «رِيئًا»[٧٤].
- وقرأ ابن عباس وابن جبير وآخرون: «رِيًا»[٧٥].
- وقريء: «رِيَاء»[٧٦].
- وقرأ ابن عباس: «زِيًّا»[٧٧].

كانت قراءة الجمهور في الأصل بدون تهميز «ريًّا»، وحتى لا يُفهم منها السقي، أُضيفت الهمزة تعسفًا بين الهاء والراء باعتراف أبي عمرو، حيث جاء في البيان: «وكان من مذهب أبي عمرو ترك الهمزة الساكنة إلا في هذا الموضع، وقال: **خِفت أن يلتبس بالرِّي من الماء فهمزت** لأنه أُريد حسن المنظر والشارة»[٧٨].

٧٢. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ١٩٨. ذكر الأندلسي أن قراءة الجمهور «**ورئيًا**» بالهمز من رؤية العين.

٧٣. نفس المصدر.

٧٤. نفس المصدر.

٧٥. نفس المصدر ٦: ١٩٩، وانظر ابن عطية، المحرر الوجيز ٤: ٢٩.

٧٦. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ١٩٩.

٧٧. ابن عطية، المحرر الوجيز ٤: ٢٩.

٧٨. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٨٨، هامش ٢. التشديد لنا.

www.christianlib.com

القراءات بالراء، تشير إلى المعنى المجرَّد غير الملموس للكلمة من «النعمة والترفه»[٧٩]. أما القراءة بالزاي فتشير إلى الملبس «البزة الحسنة»[٨٠].

سياق الآية يتحدث عن الأمم السابقة التي كفرت فأهلكها الله، ولكن تأتي قراءة الجمهور ‹أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا›، و فيها شيء من الغموض، نظراً للتداخل بين ما هو مادي: ‹أَثَاثًا› أي متاع البيت، وما هو معنوي: ‹رِءْيًا› أي منظرٌ[٨١].

ولتحديد القراءة الأكثر ترجيحًا ضمن ما جاء من قِراءات في ظل هذا التعبير المادي، يجب الرجوعُ إلى الآية التي قبلها: ‹..أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا› (مريم ١٩:٧٣)، فالمقام هو موضِع الإقامة، أي المسكن والمنزل، والندي هو المجلس[٨٢]. ولما كان الحديث يتعلق بالمنزل والمجلس، فالمقارنة بين الفريقين (مريم ١٩:٧٤) ومن أهلك الله قبلهم (مريم ١٩:٧٣) تكون في أثاث المنزل وزينة لباس أصحاب المجلس، ولاسيما أن المقارنة معقودة مع الكافرين حيث تنصبُّ متعهُم على الماديات من أثاثٍ ومتاع وزي؛ فحُسنُ المنظر يكون في شَكل لبسهم من حلي وملابس. وبالتالي، فقراءة ابن عباس‹وَزِيًّا› تكون الأرجح، وهذا ما لم يعترض عليه الرازي في قوله: «بالزاي المنقطة من فوق زياً فاشتقاقه من الزي وهو الجمع، لأن الزي محاسن مجموعة، والمعنى أحسن من هؤلاء»[٨٣]، ثم أنهى الرازي حديثه بالقول: «والله أعلم»[٨٤].

١٩: ٧٥

في معرض مهاجمة رافضي دعوته، تطلب الآية من محمد أن يقول للمشركين، من كان منا ومنكم في الضلالة، بعيداً عن الحق، ضالاً في طريقه، «فلْيُطول له الله في ضلالته، وليُمْله فيها إملاءً»[٨٥]. لكن ذلك نُسخ بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٨٦]. إلا أن الزَّجاج يقول إن الآية تتضمن خبراً بأن المكوث في النار هو جزاء الضلال، ولا وجه للنسخ[٨٧].

---

٧٩. الرازي، تفسير ٢١: ٢٤٧.
٨٠. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٩٠.
٨١. الطبري، تفسير ١٥: ٦١١.
٨٢. نفس المصدر ١٥: ٦٠٨
٨٣. الرازي، تفسير ٢١: ٢٤٧.
٨٤. نفس المصدر.
٨٥. الطبري، تفسير ١٥: ٦١٤.
٨٦. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٩٧، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ٤٥، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٦٢.
٨٧. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٩٧.

www.christianlib.com

ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾
وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ
رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ
مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ
وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾
كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾

١٩: ٨٠

- قراءة الجماعة: ‹وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا›[٨٨].
- و في مصحف ابن مسعود: «وَنرثه ما عنده ويأتينا فرداً لا مال له ولا ولد»[٨٩].

معظم المصادرِ الإسلامية تُشِيرُ إلى أن هذه الآيةَ نزلت في العَاص بْن وَائِل الذي كان يستهزئ بمحمد ويعايره بالأبتر، أي الذي ليس له ولد[٩٠]. ومعنى ‹وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ›: أي «مَاله وَوَلَده»[٩١]؛ وهو نفس العاص بن وائل الذي نزلت فيه الآيةُ الأخيرة من سورة الكوثر: ‹إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ› (الكوثر ١٠٨: ٣) وذلك بحسب ابن عباس ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة[٩٢]. فمن خلال آية الكوثر المذكورة، يقول

---

٨٨. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٩٤.

٨٩. نفس المصدر.

٩٠. ابن كثير، تفسير ١٤: ٤٨٢.

٩١. الطبري، تفسير ١٥: ٦٢٢.

٩٢. ابن كثير، تفسير ١٤: ٤٨٢. قارن: الطبري، تفسير ٢٤: ٦٩٧.

www.christianlib.com

المفسرون إن العاص لا عاقبَ له، أي ليس له ولد، ولم يكن له مال بحسب (مريم ١٩: ٧٧)[٩٣]. إلا أن مصادر إسلامية أخرى تؤكد أن العاص، وهو من قريش، كان أبا عمرو بن العاص[٩٤].

وقراءة الجماعة: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ تتحدث عن سلب ما كان يتمناه من مال وأولاد منه، بينما قراءة ابن مسعود: «وَنَرِثُهُ مَا عِنْدَهُ» تعني أن الله يسلب العاص بن وائل ما يملكه، سواء كان كثيراً أو قليلاً. فبالتالي قراءة ابن مسعود، المعاصر للشخص الذي عاير محمد بالأبتر[٩٥]، تكون هي الأنسب.

والسؤال المطروح: ما الذي يرثه أو يسلبه الله ممن نزلت فيه الآية، سواءً كان العاص بن وائل أوغيره، إذا لم يكن له مال ولا ولد؟

١٩: ٨٢

ثمة اختلافٌ إلى من يعود عليه الضمير في: ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾؛ هل إلى المعبود أم إلى العابد. وقال آخرون إن الله يحيي الأصنام يوم القيامة، كي يوبخوا عبدَتهم ويعلنوا منهم البراءة. ومنهم من قال إن الضمير يرجع إلى العابدين أنفسِهم، أي إلى المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام[٩٦].

ونلاحظ أن الآية غير واضحة، هل يدورُ الكلام حول الأصنام أم يتعلقُ بالمشركين وعبدة الأصنام؟ وهذه إشكاليةٌ تَكشف عن ضَبابية النص القرآني.

من جهة ثانية، يلاحَظ على القول الذي يرجح إحياء الأصنام، عدم تبرير سبب إحيائها يوم القيامة. لماذا يجب أن تأتي الأصنام لتشهد على فعل الشرك، وهي الجماد، ألا تكفي «سجلات» الله؟ وكيف تشهد على ما لم ترَ ولم تسمع؟

وكيف ستشهد الأصنام؟ هل ستشهد بعد أن تُبثَّ فيها الروح؟ وما مصيرها بعد الشهادة: أإلى دمار أم إلى حياة في دار البقاء؟

---

٩٣. الطبري، تفسير ١٥: ٦١٩.
٩٤. البغوي، تفسير ٨: ٥٦٠.
٩٥. وهو على الأرجح العاص بن وائل.
٩٦. الرازي، تفسير ٢١: ٢٥١.

www.christianlib.com

أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾
فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ
وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا
مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ
ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ
وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ
أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ
بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

١٩: ٨٣

في الآية كلامُ على منح الله للشياطين قدرة إغواء البشر. وهي نفسُ الإشكاليةِ التي عُولجت في (الإسراء ١٧: ٦٤).

www.christianlib.com

١٩: ٨٤

يُطلب من محمد أن لا يعجل على الرافضين بطلب العذاب، بل يتركهم ليوغلوا في آثامهم[٩٧].

وهذا ما نُسخ بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٩٨].

في هذه الآية كان محمد لا يعلن عن طلب العذاب في الدنيا للكافرين، ولكن بعد أن انتقل للمدينة صار ينزل العذاب بنفسه.

١٩: ٩٠

- قراءة الجمهور: ‹السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ›[٩٩].
- قرأ عبد الله بن مسعود: «السَّمَاوَاتُ يَتَصَدَّعنَ»[١٠٠].
- وعن السجستاني وابن خالويه عن ابن مسعود: «السَّمَاوَاتُ لتتصدع منه»[١٠١].

في القراءات المختلفة لهذه الآية: يَتَفَطَّرْنَ أو يَتَصَدَّعنَ، يقصد القرآن المعنى الحرفي لا المجازي، حيث تكون السماءُ سقفاً صلباً قابلاً للتصدع والانفطار، بمعنى التشقق. وما يؤكد هذا الطرح هو ما جاء في القرآن عن يوم القيامة:

- ‹فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ› (الرحمن ٥٥: ٣٧)
- ‹إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ› (الانفطار ٨٢: ١)
- ‹إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ› (الانشقاق ٨٤: ١)

ويؤكد الطبري هذا الطرح بقوله: «إذا السماءُ تصدَّعت وتقطَّعت فكانت أبوابًا»[١٠٢]. فأين العلم من هذا التصور؟

---

٩٧. الطبري، تفسير ١٥: ٦٢٨.
٩٨. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٩٨، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٥، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٦٢.
٩٩. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٢٠٥.
١٠٠. نفس المصدر.
١٠١. السجستاني، كتاب المصاحف ٣٢٢، وابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن ٨٨.
١٠٢. الطبري، تفسير ٢٤: ٢٣٠.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــــة

سُميت السورة باسم الحرفين المنطوق بهما في أولها، أي: (طا ها) (ابن عاشور ١٦: ١٧٩). وقد ورد في بطون كتب التفسير اسمان لهذه السورة: «سورة الكليم»، و«سورة مُوسى» (ابن عاشور ١٦: ١٧٩). وتحتل قصة موسى الجزء الأكبر، إذ تشغل الآيات ٩ ـ ٩٨.

ذُكر اسم الإله في السورة باسم «الرحمان»، وهو الاسم المنتشر في المناطق الجنوبية للجزيرة العربية، بدلاً من اسم «الله» المنتشر في الحجاز (أطوار ٤٦٩).

اتفق العلماء المسلمون على مكية السورة (ابن عاشور ١٦: ١٨٠)، ولكن بعض العلماء المسلمين استثنوا الآيتين: ١٣٠ ـ ١٣١ (ابن عاشور ١٦: ١٨٠)، وهو رأي لا يتفق معه نولدكه، لعدم وجود تعليل (نولدكه ١١٢).

ثمة اختلاف في تأريخ السورة، إذ يقول ابن عاشور إنها تعود إلى حوالي السنة الخامسة للدعوة المحمدية (ابن عاشور ١٦: ١٨٠ ـ ١٨١) (أي ٦١٧ م). بينما يضع موير سورة طه في المرحلة المكية الأخيرة (أي ٦٢٢ م) بسبب طولها (نولدكه ١١١). ويرى «ويري»، بناءً على تحليل أسلوب النص، أن هذه السورة تعود لبداية المرحلة الثالثة في مكة (Wherry 3: 116)، أي حوالي ٦١٩ م.

إضافةً لتركيز السورة على قصة موسى (الآيات ٩ ـ ٩٨)، فإننا نجد فيها حديثاً عن الله (الآيات ٥ ـ ٨)، وكذلك ذكر القيامة (٩٩ ـ ١١٢)، وقصة آدم (١١٥ ـ ١٢٣)، وخطاب تشجيع لمحمد (١٣٠ ـ ١٣٥).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣
تَنزِيلًا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ
٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦ وَإِن
تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ
ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ٩ إِذۡ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ
إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ١٠
فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ
ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ

٢٠: ٢

قرأ ابن كثير: «الْقُرَانَ». راجع التعليق على (الحجر ١٥:١)، صفحة ١٦٤.

٢٠: ٥

تقول الآية إن الله ‹عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى›، أي جلس. وهذه صورة تصف الله بالجسم. والاعتقاد بجسمية الله لا يتلاءم مع دعوى تنزيه الله عن الصفات التي يدعيها الفكر الإسلامي بكل مذاهبه، بما فيه التياران الرئيسان في الإسلام: السني والشيعي؛ ولهذا قال بعض الشارحين إن الجلوس على العرش مجازي، ويشير إلى السيادة على الكون. فالعبارة الشائعة تقول: «استوى فلان على العرش»، تعني: «ملك وإنْ لم يقعد البته»[1]. في حين ذهب بعضهم للقول أن الله «مستوٍ على عرشه بغير حدٍّ

١. الزمخشري، الكشاف ٤: ٦٧.

www.christianlib.com

ولا كَيْفٍ»، وأن استواءه ليس كاستواء المخلوقين؟. كان يمكن قبول هذين التأويلين، لولا أنهما يتعارضان مع آية أخرى تذكر حمل الملائكة للعرش، وتؤكد جسمية الله: ‹الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ› (غافر ٤٠: ٧)، حيث تصور الآيةُ العرش محمولاً، وحوله ملائكة تُسبّح.

٢٠: ٧

يحار المرء في معنى ‹وَأَخْفَى›. وعندما نعود للتفاسير نجد[٣]:

- هو حديث النفس مما لم يعمله الإنسان بعدُ.
- مجرد حديث النفس.
- المخطط المزمع تنفيذه.
- خفايا اللاشعور، وبكلمات المفسّر: «ما قذف الله في قلبكِ مما لم تعلَمْه».
- المجهول عن علم الإنسان والذي سيتحقق.
- الوسوسة.

وهنا نتساءل: أي بيان نجده في القرآن مع هذا العدد من الاحتمالات؟

٢٠: ١٢

تقول الآية إن موسى تلقى الوحي في واد مقدس يُدعى طُوى. وطُوًى حسب تحديد العلماء المسلمين، هو وادٍ يقع في بلاد الشام[٤]. وهذا يخالف الرواية التوراتية التي تقول إن موسى كان في جبل حوريب[٥] الذي يقع في شبه جزيرة سيناء.

إن وجود اسم طُوى بالارتباط مع موسى في القرآن يكتنفه الغموض. وقد رأى بعض المستشرقين أن طوى هي قراءة خاطئة للسريانية «ܛܘܪ / ܛܘܪܐ» (وتُلفظا: طور/طورا على الترتيب، والمعني واحد: جبل)[٦]. فإن كان هذا الرأي في محله، فإننا نعتقد أن محمداً سمع عن تلقي موسى للوحي في «جبل»، لكنه اعتقد أنه الوادي الموجود في بلاد الشام، لتجانس الأسماء.

---

٢. القرطبي، تفسير ١٤: ١٥.
٣. الطبري، تفسير ١٦: ١٣-١٤.
٤. الحموي، معجم البلدان ٤: ٤٥.
٥. سفر الخروج ٣: ١.

6. EQ 5: 395.

www.christianlib.com

إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا
لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا

٢٠: ١٥

- قراءة الجمهور: ‹أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى›[٧].
- وجاء في مصحف أُبيّ بن كعب: «أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ أُظهركم عَلَيْهَا لِتُجْزَى»[٨].
- وفي مصحف عبد الله بن مسعود: «أَكَادُ أُخفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ يعلمها مخلوق لِتُجْزَى»[٩].

إن قراءة الجماعة: ‹أَكَادُ أُخْفِيهَا› تسبب إشكالية كبيرة في فهم المقصود من نص الآية، حتى قال عنها القرطبي: «آية مشكلة»[١٠] لأنها تعطي المعنى وضده. وقد عرض القرطبي بعض الأقوال في مدلول ‹أَكَادُ أُخْفِيهَا› منها:

- «وروي عن سعيد بن جُبَيْر أنه قرأ: «أَكادُ أَخْفِيهَا» بفتح الهمزة، قال: أُظهرها.»[١١]،
- «وَقِيلَ: الْمَعْنَى «أَكَاد أُخْفِيهَا» أَيْ: أُقَارِب ذَلِكَ؛ لِأَنَّك إِذَا قُلْت مثلاً: كَادَ زَيْد يَقُوم، جَازَ أَنْ يَكُون قَامَ، وَأَنْ يَكُون لَمْ يَقُمْ.»[١٢]. وهنا نقول إن ما ذهب إليه القرطبي في قوله: «جَازَ أَنْ يَكُون قَامَ» هو استنتاج في غير محله، والأولى أن يقول «جاز أنه سيقوم». وفي كلتا الحالتين، فانه لم يقم بعد فعلياً. وبناءً عليه، فعبارة «أكاد أخفيها» تعني أن الساعة هي ظاهرة، وربما يخفيها لاحقاً.

---

٧. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٤٢٠.
٨. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٧٥.
٩. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٤٢١.
١٠. القرطبي، تفسير ١٤: ٣٥.
١١. نفس المصدر.
١٢. نفس المصدر ١٤: ٣٨.

www.christianlib.com

أما الرازي فقد ذكر عدة وجوه مطروحة لمحاولة حل هذه الإشكالية في الآية، موضحًا معنى ‹أكاد› على النحو التالي[١٣]:

١. قرب الأمر فيه من الإخفاء.

٢. أَنا أُخْفِيهَا.

٣. أريد أخفيها.

٤. أكاد أخفيها (من نفسي).

٥. إن الساعة آتية أخفيها.

٦. أكاد أزيل عنها إخفاءها.

٧. أكاد أظهرها، بفتح الألف في «أَخْفِيهَا».

٨. الساعة قريبة جداً، بالوقف على «أَكَادُ»[١٤].

والملاحظ في كل ما ذكره الرازي أنه لم يتبن أو يدعم أي وجه من هذه الوجوه، بالإضافة إلى أن كل هذه الاقتراحات لم تحل إشكالية وجود ‹أكاد›، كما أنه قد عقب في الأخير بـ «الله أعلم»[١٥]!

أما قراءة أبيّ وابن مسعود فجاءت قطعية بمعنى يسترها ويحجبها ويخفيها عن المخلوقات، وقراءتهما تتوافق مع ما جاء في (الأعراف ٧:١٨٧) ‹يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً...›. والآية: ‹إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ› (لقمان ٣١: ٣٤).

ونتساءل: أين الإعجاز والبلاغة اذاً في اختيار عبارة مبهمة، توقع المفسرين في إشكاليات جمة محاولة منهم للوقوف على معناها؟

---

١٣. الرازي، تفسير ٢٢: ٢١-٢٢.

١٤. أي ‹الساعة آتية أكاد›، وأن الله يخفيها كي تجزى الأنفس ‹...أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى›.

١٥. الرازي، تفسير ٢٢: ٢٢.

www.christianlib.com

وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ
أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨ قَالَ أَلۡقِهَا
يَٰمُوسَىٰ ١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا
سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ
ءَايَةً أُخۡرَىٰ ٢٢ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ٢٣ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ
٢٤ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن
لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠
ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ
كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦
وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ
ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي
وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ إِذۡ تَمۡشِيٓ
أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ
عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ
سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي

٤٠: ١٨

- قراءة الجمهور: ‹أَهُشُّ›[١٦]، بمعنى أخبط بالعصى على الشجر لإسقاط أوراقه[١٧].
- وقرأ الحسن البصري وعكرمة: «أَهُسُّ»، «والهسُّ: السَّوْقُ وزَجْرُ الغنم»[١٨].

---

١٦. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٤٢٢.
١٧. الطبري، تفسير ١٦: ٤٣.
١٨. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٤٢٤.

www.christianlib.com

الفرق بين الهشّ والهسّ: فرق في المعنى والحرف، وكون المصحف العثماني كُتب بغير تنقيط[١٩]، فهاتان القراءتان تدلان على أن القرّاء قد حاولوا تنقيطه وتشكيله حسب ذوقهم وفهمهم الخاص للنص.

٢٠: ٣٨-٣٩

يتضح من هذا النص أن فرعون أمر بقتل الأولاد حينما كان موسى صغيراً. بينما يقول القرآن أن أمر القتل جاء حينما كان موسى نبيًا (غافر ٤٠: ٢٣ ـ ٢٥). وقد تطرقنا لإشكالية هذا التناقض في التعليق على (سورة الأعراف ٧: ١٢٧).

٢٠: ٣٩

تقول الآية (٣٩): ‹أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ›. في العبارة ضعف، إذْ أن الضمير في «اقذفيه» الثانية يرجِعُ إلى التابوت، وفي الأولى يرجع إلى موسى. وضعف بناء الآية اعترف به الزمخشري الذي قال: «رجوعُ بعضِها [أيْ: الضمائر] إليه [أيْ: موسى] وبعضِها إلى التابوت: فيه هجنة»[٢٠].

٢٠: ٤٠

- قراءة الجماعة: ‹فَرَجَعْنَاكَ›[٢١].
- وجاء في مصحف أُبيّ بن كعب: «فَرَدَدْنَاكَ»[٢٢].

هاتان الكلمتان مترادفتان، وليس كباقي القراءات التي تختلف في التشكيل أو التنقيط أو التهمين. فهاتان الكلمتان مفهومتان باللغة العربية، ولا تحتاجا لأي شرح.

وهنا نتساءل: لماذا اختار القراء هاتين المترادفتين؟ فهل كان هناك في الأصل كلمة غير عربية تُرجمت من القراء بهاتين المترادفتين؟

---

١٩. الداني، المحكم ١٨.
٢٠. الزمخشري، الكشاف ٤: ٨١.
٢١. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٤٣٤.
٢٢. نفس المصدر.

www.christianlib.com

﴿٤١﴾ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ
طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا
نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ
وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا
تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ
أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ
﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ
ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى
﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ
وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾
قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ
مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى
﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ
فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا
فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ

www.christianlib.com

إن ما دفعَ إلى إثارةِ هذا السؤالِ ما ذكره السيوطيُّ حولَ وجودِ كلماتٍ أجنبيةٍ في النصِّ القرآنيِّ الحاليِّ، مثل كلمةِ «الرحمن»، وكلمةِ «الطور»، وغيرهما (انظر جدول الكلمات الأعجمية في القرآن بحسب السيوطي، في المجلد الثالث من هذا الكتاب).

٢٠: ٥٣

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹مَهْداً›.
- وَقَرَأَ عَامَّة قُرَّاء الْكُوفيّينَ: «مَهْداً»، بمَعْنَى «الَّذي مَهَّدَكُمْ الْأَرْض مَهْدًا»[٢٣].
- وقرأ أهل البصرة والمدينة المنورة: «مِهَاداً»[٢٤]

وقد رجح النَّحَّاس قراءة البصرة في قوله: «وَالْجَمْع أَوْلَى لِأَنَّ «مَهْدًا» مَصْدَر، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِع مَصْدَر إِلَّا عَلَى حَذْف؛ أَيْ: ذَات مَهْد»[٢٥].

الفرق في القراءة بين «مِهاداً» و‹مهداً› ما هو إلا نتاجُ لعدم ظهور الألف بين الهاء والدال، وهذه الألف في وسط الكلمة نادراً ما كانت تكتب في المصاحف الأولى، الأمرالذي جعل النص يحتمل الجمع «مِهاداً» والإفراد ‹مهداً›.

٢٣. الطبري، تفسير ١٦: ٨٥.
٢٤. نفس المصدر ١٦: ٨٤.
٢٥. القرطبي، تفسير ١٤: ٧٨.

www.christianlib.com

وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ
أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ
صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ

٢٠: ٦٣

في الآية مخالفة لقواعد اللغة العربية، إذ كان يجب أن تكون: «هَذيَن».

وقد أقرّت عَائِشَة ـ زوجة محمدٍ ـ بأن سبب الخطأ بشري، فعندما سُئلت عن الخطأ النحوي المتكرر في: ‹لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...وَالْمُقِيمِينَ› (النِّسَاءِ ٤: ١٦٢)، و‹إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئُونَ› (الْمَائِدَةِ ٥: ٦٩)، و‹إِن هَذَانِ لَسَاحِرَانِ› (طه ٢٠: ٦٣)، أجابت: «يا ابن أختي، هذا خطأ من الكاتب»[٢٦]. وبدوره يؤكد أَبَانُ بن عثمان أن مرد اللحن في هذه المواضع يعود إلى العامل البشري، فعندما سُئل عن «الْمُقِيمِينَ»، وكان يجب أن تأتي بصيغة الرفع، قال: «مِنْ قِبَلِ الكَاتِب»[٢٧].

كما اعترف عثمان بن عفّان بوجود اللحن في القرآن، بقوله: «في المصحفِ لحنٌ، وستقيمه العرب بألسنتهم». وفي هذا السياق يُروى أنّه قُرئت لدى عثمان بن عفان الآية (طه: ٦٣)، فاقترح أصحابه إصلاح الخلل النحوي فيها، فقال: «دعوه فإنه لا يحرّم حلالاً، ولا يحلّل حراماً»[٢٨]. ويعلق أبو عمرو، أحد علماء المسلمين، على ذلك: «**إنّي لأستحي من اللهِ أنْ أقرأ: ‹إنَّ هذان›**»[٢٩].

---

٢٦. القرطبي، تفسير ١٤: ٩٠، السجستاني، كتاب المصاحف ٢٣٥. قارن: البغوي، تفسير ٥: ٢٨١.

٢٧. السجستاني، كتاب المصاحف ٢٣٤.

٢٨. القرطبي، تفسير ١٤: ٩٠.

٢٩. نفس المصدر. التشديد لنا.

www.christianlib.com

٢٠: ٦٣

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ›.
- وقرأت عائشة وكذلك عثمان وآخرون: «إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ»[٣٠].

في مصنفه «إعراب القرآن وبيانه»، أفاد محيي الدين الدرويش أن إعراب «إنْ هذان لساحران» بالمخالفة للقاعدة النحوية التي تقتضي نصب اسم إن ورفع خبرها، من الممكن التغاضي عنه حيث عَدَّ أداة النسخ ««إنْ» مخففة من الثقيلة ومهملة»[٣١]، وهذا الطرح غير مقبول بالمرة، كما أنه مخالف للبلاغة. كما أن الدرويش لم يعط أي سند أو تبرير؛ لماذا عَدَّ «إنْ» مهملة في تعبير: ‹قَالُوا إِنْ هَذَانِ›، حيث كان من الممكن عندئذ إهمالها بالكامل فعليًا بعدم وضعها من الأساس، مع إسقاط «لام» التوكيد، «قالوا هذان ساحران». وإن قبلنا جدلاً بما ذهب إليه الدرويش من كون «إنْ» مخففة من «إنَّ»، فإن هذا لا ينسجم مع وجود لام التوكيد في «الساحران». والواقع أنه لابد أن يتبع «إنْ» فعل، حيث إنها في صورتها هذه شرطية، وليست مخففة من «إنَّ»، وعلى سبيل المثال «إنْ يجتهِدِ الطالبُ ينجحْ».

أما عن القراءة الشائعة ‹هَذَانِ›، فقد ذكرت المصادر الإسلامية ما يلي:

- «رأيتُها في الإمام مصحف عثمان «هذن» ليس فيها ألف»[٣٢].
- وقالت عائشة: «...هذا خطأ من الكاتب»[٣٣].
- وأما أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر فقد «ذهبا إلى أنه غلط من الكاتب كما قالت عائشة»[٣٤].
- وذكر عثمان أن «**في المصحف لحن** وستقيمه العرب بألسنتهم»[٣٥].
- وذكر أبان بن عثمان: «قرأت هذه الآية عند أبي عثمان بن عفان، فقال: «**لحن وخطأ**»»[٣٦].

ويبدو أن فكرة الدرويش «المقحمة» قد خفيت عن عائشة، وعثمان بن عفان مع باقي علماء الإسلام.

---

٣٠. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٤٥٠، ٤٥١.
٣١. الدرويش، إعراب القرآن ٤: ٦٩٢.
٣٢. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٤٥١.
٣٣. نفس المصدر.
٣٤. نفس المصدر.
٣٥. القرطبي، تفسير ١٤: ٩٠. التشديد لنا.
٣٦. نفس المصدر. التشديد لنا.

www.christianlib.com

مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا
تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ
كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا
بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ
ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ
وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ٧١ قَالُواْ لَن
نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا
تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا
عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ
جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ
بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧
فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ
قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ٧٩ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ٨٠ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ
مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ
غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ

www.christianlib.com

عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ
وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ

ونحن نتساءل: أليس ما وصلنا من أخبار عن وجود لحن في المصحف باعتراف عائشة (بل وأيضًا عثمان)، وقراءتها المتفقة مع قراءة عثمان بن عفان[٣٧] دليلًا على ما تعرّض له القرآن من تبديلٍ وتغيير؟

٢٠: ٦٧

كان يجب أن تكون الصياغة: «فَأَوْجَسَ مُوسَى فِي نَفْسِهِ خِيفَةً»، لكن الفاعل [مُوسَى] جاء في نهاية الآية حفاظاً على الفاصلة خلافاً لقواعد اللغة العربية.

٢٠: ٧٠

ورد اسم هارون مقدماً، وهو تابع لموسى. وتقديم اسم هارون جاء حفاظاً على الفاصلة، رغم وجوب ذكر اسم موسى أولاً، بسبب مركزيته في الآية وفي القصة الواردة هنا.

٢٠: ٨٥-٨٨

يروي النص حكاية العجل الذي عبده بنو إسرائيل في البرية في عهد موسى، فيقول إنه من عمل السامري. وهذا التفصيل لا نجده في التوراة، ولا في أي مصدر من مصادر الأدب الحبري، إذ نجده في القرآن فحسب[٣٨]. وهذا يتعارض مع حقيقة أن السامرة ـ المنسوب إليها هذا الرجل ـ لم تكن موجودة بعد، إذ عاش موسى في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، بينما بُدأ ببناء السامرة في القرن التاسع قبل الميلاد[٣٩].

---

٣٧. ناهيك عما لم يصل إلينا من أقوال مشابهة عن وجود أخطاء أخرى.

38. EJ 14: 538
39. Holman Dictionary 1224.

www.christianlib.com

يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ
عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا
مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا
فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ
فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ
إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ
مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟
أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾
قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى
خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ
فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً
مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ

٢٠: ٨٧

في الآيات مجموعة مبهمات، رصدها مؤلف كتاب «مِحْنَتي مَعَ القُرْآن» بقوله:

فما المقصود بقوله تعالى: «ولكنَّا حُمِّلْنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها» (٢٠: ٨٧). أينَ قذفوها؟ يقول المفسِّرون إنّهم قذفوها في النار. كيف عرفوا ذلك لولا أساطير التوراة التي يقول القرآن إنّها محرّفة؟ فما ضرَّ لو ذكر كلمة (نار)؟ لِمَ يُلجئنا إلى كتابٍ «محرَّف» لنفهم غير المحرّف[٤٠]؟

٤٠. عَبْدُ النور، مِحْنَتي مَعَ القُرْآن ١٤٣.

www.christianlib.com

٢٠: ٩٦

حسب المفسرين، فإن ما ورد في الآية هو أن السامري رأى ‹أَثَرِ الرَّسُولِ›. فأخذ السامري تراباً من أثر الفرس، ثم جاء النار، فقذف القبضة فيها قائلاً: «كُن عجلاً جسداً له خُوّارٌ. فكان للبلاءِ والفتنة»[٤١].

هذه القصة ـ التي لا أصل لها في الرواية الكتابية ـ تتحدث عن رسولٍ مجهول كان لأثرِ حافرِ فرسِه قوةُ خلقِ عجل. والقرآن لا يذكر مَن هو هذا الرسول. ولكن بما أن له هذا الأثر الكبير، فإن المفسرين قالوا إنه جبريل. ولتعليل ذلك قال الزمخشري[٤٢]:

> حين حل ميعاد الذهاب إلى الطور، أرسل الله إلى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة، ليذهب به، فأبصره السامري فقال: إن لهذا شأناً، فقبض قبضة من تربة موطئه، فلما سأله موسى عن قصته قال: قبضت من أثر فرس المرسل إليك يوم حلول الميعاد، ولعله لم يعرف أنه جبريل.

ليس بالوسع ربط هذه القصة بأي أسطورة معروفة لدينا، ولكنا نرجح أن محمداً اطّلع على القصة الكتابية بشكل مشوه، وكان محتاجاً لترميم ما رآه من «النواقص»، فأضاف هذا التفصيل. قارن مع التعليق أعلاه على الآيات: ٨٥ ـ ٨٨.

٢٠: ٩٦

أ. ‹فَقَبَضْتُ قَبْضَةً›

- قراءة الجماعة: ‹فَقَبَضْتُ قَبْضَةً›[٤٣]، أي أخذت بكفّي مع الأصابع.
- وقرأ ابن مسعود وأُبيّ بن كعب وآخرون: «فَقَبَصْتُ قَبْصَةً» بالصاد، وهو «التناول [الأخذ] بأطرف الأصابع»[٤٤].

الفرق بين القبضة والقبصة هي الكمية المأخوذة من أثر الرسول. فالقبض للتكثير والقبصُ للتقليل.

٤١. الطبري، تفسير ١٦: ١٤٩-١٥٠
٤٢. الزمخشري، الكشاف ٤: ١٠٦.
٤٣. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٤٨٨.
٤٤. نفس المصدر.

www.christianlib.com

فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ

ب. ﴿مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾

- قراءة الجماعة: ﴿مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾[٤٥].
- قرأ ابن مسعود: «﴿مِنْ أَثَرِ فَرَسِ الرَّسُولِ﴾ أي: من أثر حافر فرس الرسول»[٤٦].

قراءة الجماعة لا تشير إلى وجود فرس، وبالتالي تكون القبضة أو القبصة التي أخذها «السامري» هي لأثر الرسول. أما في قراءة ابن مسعود، فالأثر يرجع إلى حافر فرس الرسول، وبالتالي فباختلاف القراءة يختلف المعنى.

وبالرجوع إلى التفاسير الإسلامية، فقد اتفق علماء الإسلام على أن الرسول هنا هو «جبريل»، وقد كان لديه فرس[٤٧]. ثم جاء السامري وقبض قبضة من أثر حافر حصانه. ويذكر الطبري عن قتادة أن السامري كان عظيمًا من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة[٤٨].

وقد ذُكرَ أن هذا السامري قد أخذ قبضة من أثر فرس جبريل، فكان إذا أُلقِيتْ على أي شيء يصير له روح ودم[٤٩]، فرماها على الحلي في النار لتصير عجلًا جسدًا له خوار[٥٠].

---

٤٥. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٤٨٩.
٤٦. نفس المصدر.
٤٧. الطبري، تفسير ١٦: ١٤٨.
٤٨. نفس المصدر ١٦: ١٥٢.
٤٩. القرطبي، تفسير ١٤: ١٢٧.
٥٠. الطبري، تفسير ١٦: ١٤٩-١٥٢.

www.christianlib.com

سامري ما قبل السامرة!

على ما يبدو أن وجودَ كلمةِ «السامريِّ» (نسبةً إلى ساكنِ جبلِ السامرةِ في فلسطينَ) في النصِّ القرآنيِّ في الآيةِ ٩٥: «ما خَطْبُكَ يا سامريُّ»، أربكَ كبارَ الباحثين المسلمين حولَ معنى النصِّ. ففي محاولاتِهم لشرحِ ظهورِ هذه الشخصيةِ، حوّلوها إلى شخصٍ غيرِ عاديٍّ بدءًا بمعرفتِهِ أن الغبارَ على بصمةِ حافرِ حصانِ جبريلَ يحوِّلُ الجمادَ إلى مخلوقاتٍ حيةٍ لها نفسٌ (روحٌ). غيرَ أن هذا التفسيرَ مناقضٌ تمامًا للاعتقادِ الإسلاميِّ، حيثُ اللهُ وحدَهُ القادرُ على الخلقِ.

ولنفهمَ هذه القصةَ القرآنيةَ، فإن استعراضًا مقارنًا للروايةِ الكتابيةِ، كما وردت في سفرِ الخروجِ (الملخصة في ما يلي) أمرٌ ضروريٌّ.

> «وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا». فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «**هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.**»» خروج ٣٢: ١ - ٤

يتضحُ لدى مقارنةِ النصِّ الكتابيِّ بذاك القرآنيِّ أن «السامريَّ» يشيرُ إلى هارونَ، أخي موسى. إذْ لم يوجدْ أيُّ سامريّين أثناءَ حقبةِ موسى، لأن السجلاتِ التاريخيةَ تحددُ أن مدينةَ السامرةِ القديمةَ بُنيتْ في القرنِ التاسعِ قبلَ الميلادِ،[1] وأنّ تصنيفَ السامريين كمجتمعٍ متميزٍ بدأَ بحصارِ السامرةِ والاستيلاءِ عليها من قِبلِ الأشوريين في ٧٢٢ ق.م.[2] وقد تمَّ تأسيسُ السامرةِ كعاصمةٍ، وتشكيلُ السامريينَ كشعبٍ خاصٍّ، قبلَ ما يزيدُ عن خمسةِ قرونٍ من زمنِ هذه الحادثةِ المتعلقةِ بموسى والعجلِ الذهبيِّ.

---

1 "Samaria." *Encyclopaedia Britannica.*

2 "Samaritan." *Encyclopaedia Britannica.*

www.christianlib.com

يتبع: سامري ما قبل السامرة!

تتمثلُ المشكلةُ في هذه الآيةِ في افتقارِها إلى الانسجامِ مع الترتيبِ الزمنيِّ للحقائقِ التاريخيةِ بسبب ورود كلمةِ «سامريٍّ» في نص الآية. فهل نتجت الإشكالية بسبب خطأ ما في تنقيطها أثناءَ النسخ، أدى إلى تغيير معناها بالكلية؟

والواقع أن هناك كلمةً مشابهة جدًّا في رسمها لكلمة «سامريٍّ»، أو كما وردت في رسم المصحف دون ألف المد «**سمرى**»، وهي كلمة «شَمرايا» بالسريانية، والتي تفيدُ معنى «أغوى» أو «خدعَ» أو «أضلَّ»[٣]، وجذرها ܫܡܪ[٤]. فالآيةَ إذًا لا تتحدثُ عن سامريٍّ، بل عن شخصٍ مخادعٍ قام بإغواء بني إسرائيلَ وإضلالِهم بصنعه للعجل الذهبي. وبدلًا من أن يكونَ السؤالُ في الآيةِ ٩٥ «ما خَطْبُكَ يا سامريُّ»، كما هو في القرآنِ الحاليِّ، فإنه يصبحُ حسبَ هذا الفهمِ الجديدِ في ضوءِ غيابِ التنقيطِ: «ما خُطّتُكَ يا شمّريُّ؟»، بمعنى «ما هي مكيدتُك، أيها المضل؟»، والتي تتوافق تمامًا مع سياق الحادثة، ولا تتعارض مع الحقيقة التاريخية المثبتة لزمن وجود السامرة.

وتحددُ الرسالةُ الكتابيةُ أن هذا المخادعَ هو هارون، أخو موسى الذي وجدهُ مذنبًا في فعلتِهِ التجديفية: «وَقَالَ مُوسَى لِهارُونَ: «مَاذَا صَنَعَ بِكَ هذَا الشَّعْبُ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَيْهِ خَطِيَّةً عَظِيمَةً؟»» (خروج ٣٢: ٢١).

---

٣. منا، قاموس كلداني-عربي ٧٩٩.

٤. منا، قاموس كلداني-عربي ٧٩٩.

www.christianlib.com

فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ
عِلۡمٗا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكۡرٗا ﴿٩٩﴾ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ
وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ﴿١٠١﴾ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ
يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ﴿١٠٣﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا
يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ﴿١٠٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ
ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا
عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ﴿١٠٧﴾ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ

٢٠: ٩٨

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ›.
- قرأ طلحة: «اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرحمن ربّ العرش»[٥١].
- وذكر الألوسي هذه القراءة: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرحمن الرحيم ربّ العرش»[٥٢].

هذه الفروقات توضح أن الكلام ليس على الإله العجل، ولكن لتبيّن أن الإله المقصود في الآية هو الرحمن ربّ العرش. قال القرطبي: «قوله تعالى: ‹إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا› لَا الْعِجْل، أَيْ: [إلهكم الله] وَسِعَ كُلّ شَيْء عِلْمه؛ يَفْعَل الْفِعْل عَنْ الْعِلْم»[٥٣].

٥١. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٤٩٤. قارن: عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ١١١.
٥٢. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٤٩٤.
٥٣. القرطبي، تفسير ١٤: ١٣٣.

www.christianlib.com

لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ١٠٨ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ
ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ١٠٩ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ١١٠ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ
ظُلْمًا ١١١ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا
هَضْمًا ١١٢ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ١١٣ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ
بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ١١٤ وَلَقَدْ
عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ١١٥ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ
ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ١١٦ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ
لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ
فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ١١٩ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ١٢٠
فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ
ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ
١٢٢ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي
هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي
فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ
حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ

www.christianlib.com

وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا
قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾
وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾

٢٠: ١٠٨

- قراءة الجماعة: ﴿فَلَا تَسْمَعُ﴾[٥٤].
- وقرأ أُبيّ بن كعب: «فَلَا يَنْطِقُونَ»[٥٥].

يرى القرطبي أن المعنى قريبٌ بين القراءتين، أي أنه لم يكن يُسمَعُ لهم صوتٌ أو وقعُ أقدامٍ. إلا أننا لا نشاطره الرأي، حيث أن هناك اختلاف في المعنى، كما أن قراءة الجماعة جاءت بصيغة المخاطب الذي تقديره «أنت»، أما قراءة أُبي فقد جاءت بصيغة الغائب الذي تقديره «هم»، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تصور القراء الأوائل للمشهد وتصرفهم في التعبير عنه، مما يشكك في القول بوحدانية النص القرآني.

٢٠: ١٢٩

في الآية تقديم وتأخير، وكان يجب أن تُكتب: «ولولا كلمةٌ سَبَقت من ربّك وأجلٌ مسمًّى لكان لزاماً»[٥٦]، ولو كانت قد كتبت هكذا لصار المعنى مفهوماً للقارئ، ووفّر عليه التشويش.

---

٥٤. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٤٩٨.
٥٥. القرطبي، تفسير ١٤: ١٤٠.
٥٦. الحريري، عالم المعجزات ٢٢١. قارن: الطبري، تفسير ١٦: ٢٠٨.

فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ
غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا
تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا
نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن
رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ
مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن
نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ
ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

٢٠: ١٣٠

يُطلب من محمد أن يصبر على أقوال المكذبين بدعوته، ويتغاضي عن اتهامات وُجهت له أنه: ساحرٌ، أو مجنون، أو شاعر[٥٧]. ولكن ذلك نسخ بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٥٨].

٢٠: ١٣٥

هنا يعلن محمد للمشركين أن ينتظروا ويترقبوا، وسوف يعلمون من هو صاحب الطريق الحق، ومن هو أهل الهداية. ولكن هذه الآية نسخت بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٥٩].

٥٧. الطبري، تفسير ١٦: ٢٠٩.
٥٨. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٩٩، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ٤٥، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٦٤، شعلة، صفوة الراسخ ١٥٤. قارن مع نسخ (النحل ١٦: ١٢٧).
٥٩. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٣٩٩، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ٤٥، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٦٤، شعلة، صفوة الراسخ ١٥٤.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

٢٠: ١٣٥

- قراءة الجمهور: ‹فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ›[٦٠].
- وقُرِئَ: «فَتَمَتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ»؛ وأضاف الزمخشري أن أبا رافع قد حفظها من محمد نفسه[٦١].

وإذا عرفنا أن أبا رافع كان عبدًا للعباس بن عبد المطلب، ووهبه إلى ابن أخيه محمد[٦٢]، وقد روى عدة أحاديث، وروى عنه؛ فهذا الرجل كان من المقربين إلى محمد. وهو يشهد هنا أنه سمعها منه هكذا: «فَتَمَتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ».

ونتساءل: هل كان محمد يقرأ الآية بأسلوب، ثم يعيدها في وقتٍ لاحق بأسلوبٍ ومعنى مختلفين؟

---

٦٠. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٥٢٠.
٦١. الزمخشري، الكشاف ٤: ١٢٣.
٦٢. ابن عبد البر، الاستيعاب، باب الراء ١٦٥٦.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــــة

سُميت هذه السورة بسورة الأنبياء لأنها تحتوي على أسماء ستة عشر نبياً وبعض قصصهم - حسب التصنيف الإسلامي - وهذا ثاني أكبر عدد أنبياء يأتي في سورة واحدة من سور القرآن ما عدا سورة الأنعام التي ذُكر فيها اسم ثمانية عشر نبياً. وتحتل سيرة إبراهيم المكان الأكبر في السورة، إذ ترد قصته في (الآيات: ٥١ - ٧٢).

تحتوي السورة على المواضيع التالية:

- التحذير من عواقب رفض القرآن ورسالة محمد، والتأكيد أن محمداً يندرج في خط الأنبياء (الآيات: ٣ - ٥١، ٥٢، ١٤، ٧٠١ - ٩٠١).
- الحديث عن الله ووحدانيته حيث توضع الوحدانية بالتعارض مع المعتقد الشركي لقريش (الآيات: ٦١ - ٨٢).
- قصص عن الأنبياء (الآيات: ١٥ - ٠٩).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن
رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٣
قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٤ بَلۡ قَالُوٓاْ
أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥
مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا
رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ
جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ
فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ
ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا
قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ١١ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢ لَا تَرۡكُضُواْ
وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ١٣ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ
إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ
١٥ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا
لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ
فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ
وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ
وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ لَوۡ كَانَ
فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ لَا

www.christianlib.com

يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟
بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ
فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ
إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾
لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن
يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾
أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا

٢١: ٣٠

تتناول الآية مقولتين تخصان عالم الطبيعة، وتثيران إشكالية علمية:

المقولة الأولى:

تقول الآية إنّ ‹السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً›، أي كانتا وحدة ملتصقة، ثم قام الله بفصلهما[1]. ويدور خلاف بين الشارحين حول الالتصاق والانفصال. فبعضهم قال إن السماوات كانت مُرتَتِقةً طبقةً طبقة، فجعلها الله سبع سماوات، وكذلك الأرض. وقال آخرون، بل كانت السماء رتقاً لا تمطر، والأرض رتقاً لا تنبت، فجاء الفتق لجعل السماء تمطر والأرض تنبت[2].

على الرغم من اختلاف الأقوال هنا، فالمفهوم أن السماء كانت كتلة، وهذا يتعارض مع ما تخبرنا به آية أخرى تقول إن السماء كانت دخاناً: ‹ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ› (فصلت ٤١: ١١).

١. الطبري، تفسير ١٦: ٢٥٤-٢٥٥.
٢. نفس المصدر ١٦: ٢٥٥ ٢٥٨.

www.christianlib.com

المقولة الثانية:

تقول الآية إن كل شيء حي مخلوق من الماء: ‹وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ›، ويقول بعض الشراح: «كُلُّ شيءٍ حيٌّ خُلق مِنَ الماءِ»[٣]؛ ولكن قد جاء في آية أخرى أن الله خلق الجان ‹مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ› (الرحمن ٥٥: ١٥). ومَارِج من نارٍ «هو ما اخْتلَط بعضُه ببعضٍ، من بين أحمرَ وأصفرَ وأخضرَ... وذلك هو لَهَبُ النَّارِ ولسانُه»[٤].

أي أن ثمة ما خُلق بما هو ضد الماء، وهذا يعني أن آية الرحمن تتناقض مع آية الأنبياء.

٢١: ٣٧

- قراءة الجماعة: ‹خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ›[٥].
- وقرأ ابن مسعود: «خُلِقَ العَجَلُ من الإنسان»[٦].

هناك وجهان لفهم هذه الآية:

- إذا كان المقصود من معنى الآية أن الإنسان خلق من عجل، التي هي صفة سلبية بحسب سياق الآية: ‹سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ›. فهذا الأمر يجعل العيب في الخالق وليس في المخلوق، الذي ليس له ذنب في خلقه بهذا الضعف. وحاشا لله أن يكون فيه عيبًا أو أن يكون عمله غير كاملٍ. ومن جهة أخرى فهذا يتعارض مع نهاية الآية.
- أما إذا كان القصد أن العجلة صفة مكتسبة من تصرفات الإنسان، فبالتالي وجب القول بقراءة ابن مسعود «خُلِقَ العَجَلُ من الإنسان» لأنها هي التي تعطي هذا المعنى بكل وضوح، دون لبس، وتزيل الإشكالية من الآية.

---

٣. الطبري، تفسير ١٦: ٢٦٠.
٤. نفس المصدر ٢٢: ١٩٤.
٥. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٠.
٦. نفس المصدر ٦: ١٩.

www.christianlib.com

مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ
بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا
مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ
ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ
وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا
هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ
ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ
هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ
عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً
فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ
مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن
يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا
يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا
يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ
أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ
نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ
ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ

www.christianlib.com

خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ (٤٧) وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ
وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ (٤٨) ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ
مُشۡفِقُونَ (٤٩) وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ (٥٠) وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ
إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ (٥١) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ
ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ (٥٢) قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ (٥٣) قَالَ
لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ (٥٤) قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ
ٱللَّٰعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ
ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٥٦) وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ
(٥٧) فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ (٥٨) قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا
بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥٩) قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ (٦٠)
قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ (٦١) قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا
بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ

٤٧:٢١

- قراءة الجمهور: ‹أَتَيْنَا بِهَا›[٧].
- وقرأ أُبيّ بن كعب وابن مسعود: «جِئْنَا بِهَا»[٨].
- وقرأ حُمَيْد بن قيس: «أَثَبْنَا بِهَا»، من الثواب[٩].

يُفهم من الآية أن الله قاضٍ عادل. حتى ولو كان له مثقال حبة خردل من الثواب، فالله يجزي صاحبه. وكما جاء في (النساء ٤:٤٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ

٧. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٨.
٨. نفس المصدر.
٩. نفس المصدر.

www.christianlib.com

مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا›، بمعنى أن مقدار حسنة واحدة فقط يضاعفها الله، ولا يظلم صاحبها لقلتها. ومن ثم، فقراءة الجمهور وابن مسعود وابن كعب لا تبيّن ما إذا كانت طبيعة الوزن الضئيل (مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) هي من الخير أم من الشر؟ أما قراءة حُمَيْد بن قيس: مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَثَبْنَا بِهَا ، فتشير بوضوح إلى أن المقصود هو الثواب. وعليه، فان قراءته هي الأكثر وضوحاً وبلاغة وبياناً، وتوافق رسم المصحف.

٢١: ٦٣

- قراءة الجماعة: ‹فَعَلَهُ›، فعل ماضٍ[١٠].
- وقرأ محمد بن السميفع: «فَعَلَّهُ» مشدّدة اللام بمعنى لعلّه[١١].

قصة تكسير إبراهيم للأصنام استوحاها النص القرآني من مدراش ربا، ومن الطبيعي أنه عندما يتم النقل من لغة إلى لغة أخرى، تحدث بعض التغيرات في النص نتيجة لثقافة وفهم الناقل للقصة. وكون النص الأصلي لمدراش ربا كتب باللغة الآرامية، كان من الطبيعي أن يكون هناك اختلافًا بسيطًا بين النصين، وما يهمنا في قصة مدراش ربا الأصلية هو مايلي[١٢]:

> ذات مرة أتت امرأةٌ [لإبراهيم] تحملُ وعاء دقيقٍ، وقالت له: «ضَعْ هذا أمامهم [أي الأصنام]»؛ فقام وأخذ عصا وحطم جميع الأصنام ووضعْ العصا في يد أكبر الأصنام.
>
> فلما رجع أبوه سأله: «من اقترف هذا؟».
>
> فأجابه إِبْرَاهِيم: «لا أكتمك سرًا. إن امرأة أتت ومعها وعاء دقيق، وطلبت مني وضعه أمامهم؛ فوضعته أمامهم، فقال هذا: «أريد أنْ آكل أولاً»، وقال ذاك: «أريد أنا أنْ آكل أولاً»؛ فنهض كبيرهم وأخذ العصا وفعل ما رأيت».
>
> فقال له أبوه: «لِمَاذا تُلفِّق علي هذه الخرافة؟ هل لهذه الأصنام إدراك وعقل؟» فردّ إِبْرَاهِيم: «ألا تسمع أذناك ما تتكلم به شفتاك؟».

١٠. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٣٥.
١١. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ١٤٢.
12. Freedman, 310-311.

www.christianlib.com

(٦٣) فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ
رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا
لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ (٦٦) أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ
أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (٦٧) قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ (٦٨) قُلۡنَا
يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ
(٧٠) وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ (٧١) وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ
وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ (٧٢) وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا
وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ (٧٣)
وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ
إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ (٧٤) وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٧٥)
وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ
(٧٦) وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ
أَجۡمَعِينَ (٧٧) وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ
غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا

بحسب قصة المدراش، فإن نبي الله إبراهيم قد كذب على أبيه، الأمر الذي يتطابق مع قراءة الجماعة: ‹بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ›، أما قراءة محمد بن السميفع: «فَعَلَّهُ كَبِيرُهُمْ» والتي تعني (فربما كَبِيرُهُمْ) فهو قد حاول تخفيف تهمة الكذب عن نبي الله إبراهيم، باستخدام مبدأ التقية المعروف في الإسلام. والتي تجيز الكذب في بعض الأحوال.

www.christianlib.com

٧٧:٢١

- قراءة الجمهور: ‹مِنَ الْقَوْمِ›[١٣].
- وقرأ أُبيّ بن كعب: «على الْقَوْمِ»[١٤].

استعمل القرآن تعبير ‹نصرناه›، والنصرة على القوم أفضل تعبيراً من النصرة من القوم؛ فلو استعمل تعبير «أنجيناه» تكون النجاة من القوم وليس على القوم. رغم إمكانية فهم تعبير: «نصرناه من القوم»، بمعنى نصرناه على القوم، كما جاء في تفسير القرطبي حيث كتب: «قَالَ أَبُو عبيدة [البغوي]: «مِنْ» بِمَعْنَى عَلَى»[١٥]، والصحيح أن يُقال: ونصرناه على القوم؛ وبالتالي، فقراءة ابن كعب هي الأصح.

٧٨:٢١

- قراءة الجمهور: ‹لِحُكْمِهِمْ› على الجمع[١٦].
- وقرأ ابن مسعود وابن عباس وابن أبي عبلة: «لِحُكْمِهِمَا» على التثنية[١٧].

سياق الآية لا يذكر أكثر من حاكمين: داود وسليمان. وقراءة ابن مسعود «لِحُكْمِهِمَا» قد جاءت مبنية على هذا الأساس بالتثنية. أما قراءة الجمهور فقد جاءت بصيغة الجمع للتعبير عن إثنين! فعلى أي أساس جاءت قراءة الجمهور بهذه الصيغة؟

٧٨:٢١-٧٩

يتحدث النص عن نزاع قضائي، وهذه القضية حكم فيها داود وسليمان، وسبب المشكلة غير مذكور في النص القرآني. وبالرجوع للمفسرين نجد أن القضية تتعلق بغنم دخلت إلى أرض مزروعة فخربت الزرع[١٨]. وعلى إثر ذلك نشب خلاف بين صاحب الزرع وصاحب الغنم، فقررا الاحتكام لداود، الذي قضى أن يصادر كل الغنم لصالح صاحب الأرض تعويضاً عن الأضرار، فلما خرجا، ذهب

---

١٣. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٣٨.
١٤. نفس المصدر.
١٥. القرطبي، تفسير ١٤: ٢٣٢.
١٦. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٣٨.
١٧. نفس المصدر.
١٨. الطبري، تفسير ١٦: ٣٢٠-٣٢١، الرازي، تفسير ٢٢: ١٩٥.

www.christianlib.com

حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ فَهَلْ أَنتُمْ
شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى
بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ
لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ
نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ
فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا
وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ

صاحب الغنم واشتكى الحكم لسليمان، فجاء سليمان إلى داود وقال إن الحكم جائر وإن الانصاف أن يستفيد صاحب الأرض عوضاً عن زرعه المخرب من هذا الغنم مما تدر وتنسل وتنتج من صوف خلال سنة، وبعد ذلك يرجع لصاحب الغنم غنمه[١٩]. وكان عمر سليمان وقتها إحدى عشرة سنة[٢٠].

ليس لدينا ما يساعد على معرفة مصدر هذه القصة وهل كانت قصة محرفة لما ورد في التوراة[٢١]، وسمع بها محمد، أم أنها نتاج تعديل ناظم القرآن على القصة الأصلية. ولكن ما يلفت النظر في هذه القصة هو جعل القرآن داود شخصية ساذجة، فشخصية بحجم داود النبي والملك لا يتصور أن يصدر عنه حكم ساذج حينما يقرر أن يعوض عن خسارة مؤقتة بتدمير المصدر الاقتصادي لصاحب الغنم بمصادرة كل أغنامه، ليأتي ابنه وله من العمر إحدى عشرة سنة ليقوّم من قضائه.

---

١٩. الطبري، تفسير ١٦: ٣٢٢-٣٢٨، الرازي، تفسير ٢٢: ١٩٥.
٢٠. الزمخشري، الكشاف ٤: ١٥٧
٢١. سفر صموئيل الثاني، والإصحاح الثاني عشر.

www.christianlib.com

٨٥:٢١

لا تحدد الآية شخصية ذي الكِفْل المجهولة، وثمة تضارب بشأنه في التفاسير على النحو التالي:

- هو شاب تكفل بمواظبة الصلاة ليلاً، والصيام نهاراً، والقضاء بين الناس وعدم الغضب، فأخبر الله عنه وسماه ذا الكفل[٢٢].
- إن صاحب الطلب ملك صالح، طلب أن يكفل له شخصٌ ما الصوم والصلاة في الناس والحكم بشريعة الله في بني إسرائيل[٢٣].
- إنه رجل كفل أن يصلي كل ليلة مئة ركعة إلى وفاته ووفّي بذلك[٢٤].
- قيل أيضاً إن ذا الكفل نبي، ولكن اختلف فيه، فقيل: إنه إلياس[٢٥]؛ أو زكريا[٢٦]؛ أو يوشع[٢٧].
- وفي رواية أن النبي هو أليسع (إليشع الاسم الكتابي) [٢٨].
- وقال بعضهم إنه كان شخصاً صالحاً[٢٩].
- وهناك مصادر عربية تقول إنه بِشْرُ بن أيوب الذي اختاره الله نبياً في الشام ليهدي قوماً كافرين[٣٠].

والخلاصة أن الآية لا تحدد هوية ذي الكفل، كما تتضارب التفاسير في تسميته، والميل الواضح فيها أنه شخص يهودي. فإن كان هذا الرجل شخصية يهودية تاريخية فمن المفترض أن يُذكر في الحوليات التاريخية أو في الكتب المقدسة اليهودية، وهو أمر لا نجده في تلك المصادر. ولأن الأمر داخل في ميدان التخمين، فإن غايغر يعتقد أن هذه القصة هي صدى لقصة عُوبَدْيَا[٣١]. دون أن يستبعد أنه ربما كان حزقيال، لأنه كان يدعى «كِفل» من جانب العرب حسب نيبور [٣٢].

---

٢٢. الطبري، تفسير ١٦: ٣٦٩، البغوي، تفسير ٥: ٣٤٨. حيث يذكر المفسرون أن نبيًا، مجهول الاسم، من بني إسرائيل أوحى الله إليه أنه سيقبض روحه، وطلب منه أن يعرض ملكه على بني إسرائيل، فمن تكفل بمواظبة الصلاة ليلاً، والصيام نهاراً، والقضاء بين الناس وعدم الغضب، يعطه ملكه، فلما سأل ذاك النبيُّ من هو قادر على تلبية هذه الشروط، قام شاب وتكفل بذلك، وصدق الوعد، فأخبر الله عنه وسماه ذا الكفل.

٢٣. الطبري، تفسير ١٦: ٣٧١.

٢٤. البغوي، تفسير ٥: ٣٤٩.

٢٥. الحنفي، حاشية محي الدين شيخ زاده ٦: ٦٣، البغوي، تفسير ٥: ٣٤٩.

٢٦. نفس المصادر.

٢٧. الحنفي، حاشية محي الدين شيخ زاده ٦: ٦٣.

٢٨. البغوي، تفسير ٥: ٣٤٨.

٢٩. الطبري، تفسير ١٦: ٣٧١، البغوي، تفسير ٥: ٣٤٩.

٣٠. دائرة المعارف الإسلامية ٤٩٨٨.

٣١. سفر الملوك الأول ١٨: ٤.

32. Geiger, Abraham, *Judaism and Islam* 155.

www.christianlib.com

مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ
أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ
ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي
فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا
لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ

٢١: ٨٨

- قراءة الجمهور: ‹ننجي المؤمنين›[٣٣].
- وقرأ الجحدري: «نَجَّى المؤمنين»[٣٤]. وكذلك قرأ بها ابن السميفع وأبو العالية[٣٥].
- وقرأ ابن عامر وأبوبكر: «نُجِّيْ المؤمنين»[٣٦]. وكذلك قرأ بها أيضًا عاصم في رواية شعبة[٣٧].

حقًا في هذه الآية إشكالية، إذ أن محاولات القراء هنا لم تكن مقنعة للأسباب التالية:

قراءة الجمهور: رسم المصحف هو ‹ىحى›، وفي المصحف الحالي[٣٨] تظهر بالشكل التالي ‹نُـۨجِي›، وقد حاول المفسرون تبريرات عدة لتوضيح قراءتها «ننجي المؤمنين»:

٣٣. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣١١.
٣٤. نفس المصدر.
٣٥. القرطبي، تفسير ١٤: ٢٧٨.
٣٦. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣١١. قارن: القرطبي، تفسير ١٤: ٢٧٦.
٣٧. هامش القرطبي، تفسير ١٤: ٢٧٦.
٣٨. المصحف بقراءة حفص.

www.christianlib.com

- ذهب البعض منهم مثل أبو عبيد والقتبي إلى «أنه أدغم النون في الجيم»[٣٩]، ولكن هذا القول غير صحيح إذ «لا يجوز عند أحد من النحويين؛ لبعد مخرج النون من مخرج الجيم فلا تدغم فيها»[٤٠]. وأيد ذلك القول الزمخشري بقوله «النون لا تدغم في الجيم»[٤١]. وذكر القرطبي أنه لا يجوز في ‹مَن جَاءَ بالحسنةِ›[٤٢] القول «مَجاءَ بالحسنةِ»[٤٣].
- وذهب ابن مجاهد إلى القول بعدم صحة إدغام النون في الجيم، مقترحًا رأيا آخر في الإدغام بقوله «النون لا تدغم في الجيم، وإنما خفيت لأنها ساكنة تخرج من الخياشيم، فحذفت من الكتاب، وهي في اللفظ ثابتة، ومن قال مدغم فهو غلط»[٤٤]. إلا أن هذا في الحقيقة لا يتبع أي قاعدة نحوية صحيحة، ولا نعرف بإخفاء النون لأنها تخرج من الخياشيم مع بقائها في اللفظ! حتى أن الفارسي قد ذهب إلى أن عاصمًا ينبغي أن يكون قرأ «نُنْجي» بنونين، وأخفى الثانية، فظن السامع أنه يدغم[٤٥]!
- أما النحاس فقد رجح قول علي بن سليمان «الأصلُ: ننجي، فحذف إحدى النونين لاجتماعهما، كما تُحذف إحدى التاءين لاجتماعهما» مستشهدًا بالقول ‹ولاتفرقوا›[٤٦]، التي ذكر أن أصلها «تتفرقوا»[٤٧]. إلا أن هذا الرأي أيضًا لا يجوز حيث ذكر الخطيب قولَ ابن مجاهد الذي فند فيه هذا الرأي قائلًا: «قالا[٤٨] مدغمة، وهو وهم؛ لا يجوز ههنا الإدغام؛ لأن النون الأولى متحركة والثانية ساكنة»[٤٩].

---

٣٩. القرطبي، تفسير ١٤: ٢٧٧.
٤٠. نفس المصدر ١٤: ٢٧٨.
٤١. الرازي، تفسير ٢٢: ٢١٧.
٤٢. (القصص ٢٨: ٨٤).
٤٣. القرطبي، تفسير ١٤: ٢٧٨.
٤٤. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٨.
٤٥. نفس المصدر.
٤٦. (آل عمران ٣: ١٠٣).
٤٧. القرطبي، تفسير ١٤: ٢٧٨.
٤٨ والمقصود: أبو عمرو وهارون.
٤٩. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٤٨.

www.christianlib.com

قراءة ابن السميفع والجحدري: «نَجَّى المؤمنين»[٥٠]

○ أي «نَجَّى الله المؤمنين»، وقد ذكر القرطبي أنها حسنة، والإشكالية فيها أنها لا تتوافق مع السياق، إذ يتم التحول فجأة من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب.

قراءة عاصم وابن عامر وأبي بكر: «نُجِّيْ المؤمنين»

○ «نُجِّيْ» على الفعل الماضي وإضمار المصدر، أي: «نُجِّيْ النجاءُ المؤمنين». هذا وقد خطَّأ أبو حاتم والزجاج هذه القراءة معتبرينها لحناً لا يجوز، فلا يجوز القول «ضُرب زيدًا»، بمعنى «ضُربَ الضربُ زيدًا» لأنه لا فائدة فيه[٥١]. وصحة الآية عندئذٍ أن تكون: «نُجِّي المؤمنون». وعن هذا ذكر الزمخشري إن نصب المؤمنين بالنجاء لهو «تعسف بالغ التعسف»[٥٢].

○ أما الداعي الحقيقي الذي أجبر عاصم على رفض كل القراءات والتمسك بقراءته، فقد كشف عنه الطبري في قوله: «وإنما حمل عاصمًا على هذه القراءة أنه وجد المصاحف بنون واحدة، وكان في قراءته إياه على ما عليه قراءة القرأة إلحاق نون أخرى ليست في المصحف، فظن أن ذلك زيادة ما ليس في المصحف، ولم يعرف لحذفها وجهًا يصرفه إليه»[٥٣].

والخلاصة

القراءة بنونين: هي تعسف من القراء لوجود نون واحدة فقط في رسم المصحف ‹ىحى›، كما نلاحظ أيضًا في رسم مصحف الملك فهد أن النون ترسم بطريقة شاذة معلقة ‹نُـنجِى›! وبالرجوع إلى كل المخطوطات القديمة، يتبين لنا بوضوح أنها بنون واحدة فقط[٥٤]، وهو ما أكد عليه أبو حيان بقوله: «وكذلك هي في مصحف الإمام ومصاحف الأمصار بنون واحدة»[٥٥]، وكذلك في المخطوطات القديمة كمخطوطة طوب قابي[٥٦]، والقاهرة[٥٧]، والبريطانية[٥٨].

---

٥٠. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣١١.
٥١. القرطبي، تفسير ١٤: ٢٧٧.
٥٢. الرازي، تفسير ٢٢: ٢١٧.
٥٣. الطبري، تفسير ١٦: ٣٨٧.
٥٤. ويلاحظ أن الكلمة وردت في بعض المصاحف بنونين «ننجي»، كما هو الحال في «القرآن الكريم برواية ورش» (الصادر عن دار المعرفة، بالدار البيضاء، تحقيق عبد الله حمودي، وآخرين).
٥٥. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣١١.
٥٦. طوب قابي-طيّار آلتي قولاج ٤١٩، رقعة ٢٠٨/أ.
٥٧. المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان (ض) نسخة المشهد الحسيني بالقاهرة الطبعة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ٥٦٤، رقعة ٥٦٣/ب.
58. Déroche and Noseda, [MS. Or. 2165]: Folio 57v.

www.christianlib.com

القراءة بنون واحدة: كما في قراءة الجحدري لا تتوافق مع السياق بسبب الالتفات، أما قراءة عاصم وابن عامر «نُجِّيْ المؤمنين»، فلا يجوز القراءة بها، لنصب «المؤمنين»، وكان الواجب أن تكون «نُجِّيْ المؤمنون».

هناك إشكالية في كل القراءات المطروحة لهذه الكلمة. ويبدو أنه قد حدث خطأ في تنقيطها[٥٩]، مما أوقع القراء في هذه الإشكالية. إذ يبدو أن هذه الكلمة كانت في الأصل «نُحْيِ»، التي توافق قصة يونس في سياق الآية «فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نحي المؤمنين»، حيث كان وهو في بطن الحوت في حكم الميت، وهذه الكلمة جاءت في القرآن بنفس الرسم بالمواضع التالية:

الآية	الشاهد
إِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ...	الحجر ١٥: ٢٣
إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ...	يس ٣٦: ١٢
إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ...	ق ٥٠: ٤٣

وإذا ما لاحظنا رسم الكلمة في الآية التي نحن بصددها (الأنبياء ٢١: ٨٨) في بعض المخطوطات القديمة للقرآن مثل المخطوطة البريطانية، نجدها على الشكل التالي: ، وأيضًا في مصحف طوب قابي، وردت على الشكل التالي: ، أي «نحى»، مما يرجح كون الكلمة «نحي».

٥٩. المصاحف الأولى كانت خالية من التنقيط.

www.christianlib.com

وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠
رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن
يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ
كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾

٢١: ٩٥

يختلف الشارحون في المعنى المقصود بعبارة ‹وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا›، إذ قال بعضهم إن الآية تعني أنه لا يجوز لأهل قريةٍ ماتوا أن يرجعوا إلى الدنيا[٦٠]. وقال آخرون إن ‹أَهْلَكْنَاهَا› تعني «عزمنا على إهلاكها، أو قدّرنا إهلاكها». وقالوا إن مجاز الآية يفيد معنى «أن قوماً عزم الله على إهلاكهم غير متصوّر أن يرجعوا وينيبوا، إلى أن تقوم القيامة فحينئذٍ يرجعون»[٦١].

ولكن الإشكالية المتعلقة بالآية هي كأنها تقول: «وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ»، بدون «لا». وهذا ما دفع مجموعة من المفسرين للقول إن «لا» زائدة[٦٢]. والقول إن لا زائدة ترفضه مجموعة أخرى، لأن لو كانت زائدة، لصار التأويل: «وحرامٌ على قرية أهلكناها أن يرجعوا إلى الدنيا،

٦٠. الطبري، تفسير ١٦: ٣٩٦.
٦١. الزمخشري، الكشاف ٤: ١٦٤-١٦٥.
٦٢. القرطبي، تفسير ١٤: ٢٨٦-٢٨٧.

www.christianlib.com

فهذا ما لا فائدة فيه»[٦٣]. هنا لدينا تأويلات مختلفة لا تساعد أبداً على إخراج الآية من غموضها، مما يعيد تكرار السؤال عن حقيقة البلاغة في القرآن.

٢١:٩٥

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹حَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ›، والحرام نقيض الحلال.
- وذكر الخطيب تسع قراءات: «حَرِمٌ، حَرِمَ، حَرُمَ، حَرْمَ، حُرِّمَ، حَرَّمَ، حَرْمٌ، حِرْمٌ، حَرِيمٌ»[٦٤].
- وجاءت في معجم القراءات قراءة إضافية: «حَرَمَ»[٦٥].

وبالتالي تكون هناك إحدى عشرة قراءة لكلمة واحدة، وكلها بمعانٍ متقاربة، فأين وحدة النص القرآني؟

٢١:٩٦

هذه الآية حشو في سياق النص، فهي منقطعة عما قبلها (الآيات ٩٥) وما بعدها (٩٧). وهذه الآية من نماذج عدم اتباع منهجية في تدوين القرآن.

٢١:٩٦

- قراءة الجماعة: ‹حَدَبٍ›[٦٦].
- وقرأ ابن مسعود وابن عباس وآخرون: «جَدَثٍ»[٦٧]، وهو القبر.
- وقرئ: «كُلِّ جَدَفٍ»[٦٨]، والجدف هو «القبر، والجمع أجدافٌ»[٦٩].

قراءة الجماعة ‹حَدَبٍ›، تعني «من كل مُرْتَفَع» مِنْ الأَرْض، أي أن يأجوج ومأجوج ظلوا أحياءً رغم بناء ذو القرنين لسد يَحُولُ بينهم وبين باقي البشر، لكنهم سوف يستطيعون فتح هذا

٦٣. القرطبي، تفسير ١٤: ٢٨٦.
٦٤. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٥٥-٥٧.
٦٥. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ١٥١.
٦٦. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٥٩.
٦٧. نفس المصدر.
٦٨. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ١٥٢.
٦٩. ابن منظور، لسان العرب ٥٦٩.

www.christianlib.com

وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ
كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ

الحاجز في آخر الأيام[٧٠]. أما قراءة ابن مسعود «جَدَثٍ»، كما في الآية ‹وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ› (يس ٣٦:٥١)، فتفيد أن يأجوج ومأجوج ماتوا وسوف يقومون من الموت في آخر أيام الدنيا، وبهذا المعنى جاءت القراءة الثالثة أيضًا بحسب ما ذهب إليه المفسرون.

والسؤال المطروح: هل يأجوج ومأجوج لا زالوا أحياءً محجوزين وراء السد الذي بناه ذوالقرنين كما تفيد به قراءة الجماعة؟ فإذا كان الجواب بنعم ! فمَنْ هم؟ وأين يوجدون الآن؟ أما إذا كان الجواب بالنفي، فقراءة ابن مسعود ومن قرأ بقراءته هي الأصح، هذا إذا سلمنا بأن هذه التفاصيل المذكورة لقصة ‹يأجوج ومأجوج› لها أساس من الصحة.

٢١: ٩٨

- قراءة الجمهور: «‹حَصَبُ›... وهو ما يُحصَب به، أي: يُرمى به في نار جهنم»[٧١].
- وقرأ ابن عباس وعائشة وآخرون: «حَضَبُ»[٧٢].
- وقرأ أُبَيّ بن كعب وعلي وآخرون: «حَطَبُ»[٧٣].

---

٧٠. (الكهف ١٨: ٩٢-٩٩).
٧١. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٦٠.
٧٢. نفس المصدر.
٧٣. نفس المصدر ٦: ٦١.

www.christianlib.com

يقول ديفين ج. ستيوارت أن علاقة الحصب بنار جهنم غير واضحة وأنه «من المعقول والمقبول أن يكون إهمال الخُطيط العمودي للطاء قد تسبب في قراءة الحرف خطأ صادًا»[٧٤]، والظاهر أنه عندما يُخطئ الناسخ في مصحف عثمان، تصبح الكلمة الخطأ كلمة عربية، وأمرًا واقعًا! وإلا اتُّهِمَ القرآن بالتحريف. وهذا ما رأيناه في كلمتي ‹طود›[٧٥] و‹طوى›[٧٦] اللتين كانتا في الأصل «طور» السريانية، وغيرهما من الكلمات الكثير.

٢١:٩٨

تخاطب الآية المشركين قائلة لهم إنهم والأوثان التي يعبدونها سينتهون في النار. وقد جاء عند ابن حزم أن هذه الآية نسخت بالآية التي تقول: ‹إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ› (الأنبياء ٢١: ١٠١)[٧٧].

٢١:٩٩

تقول الآية إن هذه الأوثان المعبودة، ومن عبدها «ماكثون في النار أبداً بغير نهاية»[٧٨]. وهذه الآية أيضًا نُسخت بآية تالية: ‹إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ› (الأنبياء ٢١: ١٠١)[٧٩]. ولا يوضح ابن حزم العلاقة بين الآيتين. وهو قول يتفرد به من أصحاب النسخ.

٢١:٩٩

يقول الزمخشري في تفسيره إن لفظة ‹آلِهَةً› المذكورة في الآية هي المعبودات، وإنه يحتمل أن الآية تقصد الأصنام وإبليس وأعوانه[٨٠]. ومن المفهوم أن تؤول الشياطين إلى الجحيم، ولكن أن تدخل الأصنام النار لهو أمر يدعو للاستغراب، فإن كان عابد الأصنام هو الذي صنع الصنم، فلماذا يذهب المصنوع الذي لا يد له في ذلك إلى النار؟ وكيف سيعاقَب الجماد بالأساس؟ وإن قمنا

٧٤. رينولدز، القرآن في محيطه التاريخي ٣٤٤.
٧٥. انظر التعليق على قراءات (الشعراء ٢٦: ٦٣)، في المجلد الثالث من هذا الكتاب.
٧٦. انظر التعليق على التحليل النقدي لآية (طه ٢٠: ١٢)، صفحة ٣١١.
٧٧. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٦.
٧٨. الطبري، تفسير ١٦: ٤١٤.
٧٩. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٦.
٨٠. الزمخشري، الكشاف ٤: ١٦٦.

www.christianlib.com

لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ
فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ
كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا
فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ
ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم
مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم
بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾
وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَـٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ
وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

بتوسيع الدائرة، فمن المحتمل أن الآية تشمل كل معبود. فلما كان هناك عبدة للشمس والقمر، فإنه من الواجب أن يطرحا في جهنم أيضاً.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــــة

ذكرت المصادر أن اسم السورة كان معروفاً في زمن محمد بسورة الحج، وأن سبب هذه التسمية هو ما جاء في الآية ٢٦ وما بعدها، عن أمر الله لإبرهيم بالدعوة إلى الحج (ابن عاشور ١٧: ١٧٩).

يختلف العلماء المسلمون في ما اذا كانت السورة مكية أم مدنية أم متبعّضة (بعضها مكي وبعضها مدني)، وما اذا كانت أكثر آياتها مكية أم مدنية. إضافة إلى ذلك توجد، بين القائلين بأن السورة متبعّضة، اختلافات كبيرة حول الآيات التي تعتبر مكية والأخرى التي تعتبر مدنية. هذا التضارب في الرأي دفع بطائفة من العلماء المسلمين إلى القول بأنه من غير المعروف أية آيات هي مكية وأيتها مدنية (ابن عاشور ١٧: ١٨٠). وهذا الخلاف نجده أيضا بين المستشرقين (Wherry 3: 154).

يقدم نولدكه قائمة بالآيات التي يعتقد بدقة تصنيفها على الشكل التالي (نولدكه ١٩١ ـ ١٩٣):

الآيات المكية

١ - ٢٤

٤٢ - ٥٧

٦١ - ٦٦

٦٨ - ٧٦

ب. الآيات المدنية

الآية: ١٧ لورود عبارة: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾

الآيات ٢٥ - ٣٧ التي تذكر الحج. ويرى نولدكه أنها جاءت في السنة السادسة أو السابعة هجرية. وهنا يقول نولدكه أن لا مجال لاعتبار أن هذه الآيات جاءت بعد الاستيلاء على مكة، لأن الآية ٣٠ تحذر المسلمين من الأصنام. وبرأيه، ليس لهذا التحذير من معنى بعد الاستيلاء على مكة.

الآية ٦٧ لأن مطلعها يشبه مطلع ٣٤.

الآيات ٣٨ - ٤١ التي تأذن للمسلمين بالحرب.

إذاً، على رغم قصر السورة النسبي، فإن آياتها موزعة على مراحل. أي من سنتين قبل الهجرة إلى السنة الخامسة أو السادسة للهجرة، ما يعني أن زمن إلقاء السورة استغرق حوالي سبع سنوات. وابن عاشور ليس بعيداً عن هذا الرأي، إذ يرى أن بعض آيات السورة جاءت قبيل الهجرة في مكة، والبعض الآخر في المدينة (ابن عاشور ١٧: ١٨٠).

المواضيع الرئيسية للسورة

- الدعوة للإيمان بالإسلام واليوم الآخر (الآيات ١ ـ ٤٢).
- الحديث عن الحج وعزوه إلى إبراهيم (٥٢ ـ ٧٣).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا
تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ
سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن
تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ
فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ
ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن
يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ
وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن
كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي
ٱلۡقُبُورِ ٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ
مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ
بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ
ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا

www.christianlib.com

يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ
لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾

٢٢:٥

- قراءة الجماعة: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾[١].
- وقرأ ابن مسعود: «وَمِنْكُمْ مَنْ يَكُونُ شُيُوخاً»[٢].

قراءة ابن مسعود لم تصف المرحلة الأخيرة من عمر الإنسان من حيث الخَرَف والهَرَم كـ﴿أَرۡذَلِ﴾[٣]، بل اتسمت بوصف أكثر تناسباً مع السياق وأيضاً أكثر إنسانية «شُيُوخاً»؛ ورغم أن الشيخوخة عند البعض تتسم بالضعف الفكري «الخَرَف» والجسدي «الهَرَم»، إلا أنها ليست القاعدة العامة، لأن كثيراً من الشيوخ يتصفون بقوة البصيرة والنضوج الفكري والعقلي، والتجربة الواسعة في غمار الحياة. وإذا سلمنا بأن هذه الفترة لا تتسم إلا «بالهرم والخرف»، كما يدعي أغلب الفقهاء في تفسير «أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ»[٤]، فهذا يدعونا للتساؤل: أليس الله تعالى هو من خلق الإنسان على هذه الطريقة؟ فكيف يُعِيبُ عليه ما جَبَلَهُ عليه؟ أليس تعبير القرآن هذا: ﴿أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ قاسياً في حق هذه الفئة من الناس؟ كما أنه لا ينطبق على كل الحالات؟ وعلى العموم، ليس تركيزنا على أن النص القرآني يحط من قدر فئة معينة، وإنما ما يهمنا هنا هو توضيح أن اختيار القراءات المختلفة للتعبير يبرهن على بشرية القرآن.

١. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٨٣.
٢. نفس المصدر.
٣. ابن منظور، لسان العرب ١٦٣٣.
٤. على سبيل المثال: القرطبي، تفسير ١٤: ٣٢٣ (في تفسيره للآية المذكورة).

www.christianlib.com

مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ
يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ
وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ

١٥:٢٢

يوجد غموض في مَن هو المقصود بالضمير هاء في كلمة ‹يَنصُرَهُ›. فليس واضحاً هنا عمّن يدور الكلام، وبالعودة إلى التفاسير نجد قولين:

القول الأول: أن ‹يَنصُرَهُ› تعود على محمد

أ. إن من يُشكك في نصرة الله لمحمد، فليمدد بسبب، أي بحبل، إلى السماء، أي إلى سقف البيت، ‹ثُمَّ لِيَقْطَعْ›. وقد شُرحت كلمة ‹لِيَقْطَعْ› كما يلي: (١) إنها تدل على الاختناق بالحبل[٥]، بمعنى أن كل من يُشكك من معاصري محمد بنصرة الله لمحمد، فليذهب إلى البيت وينتحر شنقاً! (٢) ليمدد المشكك الحبل إلى السماء، ليقطع عن محمد الوحي الذي يأتيه من الله[٦]، أي أن الآية تتحدى قطع الوحي عن محمد.

ب. وقيل إن النصرة لمحمد يقصد بها الرزق[٧]، وكل من يشكك بأن الله لن يوفر لمحمد أسباب الرزق، فلينتحر شنقاً.

---

٥. الطبري، تفسير ١٦: ٤٧٩.
٦. نفس المصدر.
٧. نفس المصدر ١٦: ٤٨١.

www.christianlib.com

القول الثاني: أن ‹يَنصُرَهُ› تعود على المشكك نفسه

أن ‹يَنصُرَهُ› تعود إلى كل إنسان يشكك في رزق شخصي له، وليمد هذا المشكك حبلاً إلى سقف البيت لينتحر[٨].

إن سياق الآية لا يساعد على ترجيح القول الأصح: هل الكلام يدور عن شك البعض في انتصار (أو رزق) محمد، أو يدور حول شك البعض برزقهم الخاص؟ وهذا يضع علامة استفهام حول بلاغة الآية. إضافةً إلى ذلك، سواءً كان المقصود بالآية هو البرهنة على مساندة الله لمحمد نصرةً أو رزقاً، أو تشكيك المرء برزقه الخاص، فإن طلب الآية بشنق المشكك نفسه أو الصعود إلى السماء ليس جواباً مناسباً للشك.

۱۸:۲۲

تتحدث الآية عن سجود المخلوقات لله. وهذا مفهوم فيما يخص الجنس البشري، ولكن كيف ينطبق ذلك على: ‹الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ›؟ أجاب الشارحون المسلمون على هذا السؤال بأن تحرك ظلال تلك الأشياء هو السجود بعينه[٩].

ونلاحظ تهافت هذا التفسير: أولاً، لأن الظلال ليست فعلاً، بل هي نتيجة لعوامل خارجية؛ ثانياً، هذه الجمادات لا تدرك، والعبادة لله هي فعل واعٍ. ولا يُستبعد أن يوجد هنا التباس ناجم عن تدوين القرآن. فربما كان أصل العبارة على الشكل التالي: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يشهد لَهُ...» أي أن هذه المخلوقات تشهد على وجود الخالق. ولكن بعد سنينٍ عديدة، وحين بدأ العمل بتنقيط القرآن، قُرِئت: ‹أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ›.

۱۸:۲۲

- قراءة الجمهور: ‹كَثِيرٌ›[١٠].
- وقرأ جناح بن حبيش: «كَبِيرٌ»[١١].

---

٨. الطبري، تفسير ١٦: ٤٨٢-٤٨٣.

٩. نفس المصدر ١٦: ٤٨٧-٤٨٨، وانظر القرطبي، تفسير ١٤: ٣٣٩.

١٠. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ١٧٠، قارن: الخطيب، معجم القراءات ٦: ٩٢.

١١. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣٣٤.

www.christianlib.com

وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ
خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ
يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾
وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟
فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن
ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟

كلمة «كَبِيرٌ» صفة للحجم أكثر منها للعدد، بينما كلمة ‹كَثِيرٌ› هي صفة للعدد[١٢]. كان يمكن القبول بقراءة الجمهور لو أن هناك عبارة «عَلَيْهِمْ» بدلاً من ‹عَلَيْهِ›، لكننا لو أخذنا بقراءة جناح بن حبيش «كَبِيرٌ»، يصبح السؤال مطروحاً عمّن هو هذا الكبير الذي تشير إليه الآية؟ هل هو إبليس أم من؟

١٩:٢٢

- قراءة الجمهور: ‹اخْتَصَمُوا›، على الجمع[١٣].
- وقرأ ابن أبي عبلة: «اخْتَصَمَا»، على التثنية[١٤]. وكذلك قرأ ابن مسعود[١٥].

رُوعِيَ في قراءة ابن مسعود وابن أبي عبلة لفظ ‹هَذَانِ›، المذكور في بداية الآية، على عكس قراءة الجماعة. وقد حاول الرازي تبرير هذا الإختلاف بقوله: «هذان فوجان أو فريقان يختصمان،

١٢. انظر التعليق على (البقرة ٢: ٢١٩)، في المجلد الأول من هذا الكتاب.
١٣. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٩٤.
١٤. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣٣٤، قارن الخطيب، معجم القراءات ٦: ٩٤.
١٥. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٩٤.

www.christianlib.com

فقوله (هذان) للفظ، واختصموا للمعنى»[١٦]، ونلاحظ هنا في مثال الرازي أنه قد راعى صيغة التثنية «فريقان يختصمان»، دون أن يراعيها النص القرآني!

٢٣:٢٢

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹لؤلؤًا›.
- وقرىء: «لُولُوا»[١٧].
- كما قرىء: «لُولُؤاً»، و«لُؤْلُواً»[١٨].

جاءت القراءة الشائعة بالهمز ‹ولؤلؤًا›، ومن المعلوم أن قريشًا وكذلك محمدًا وخلفاءَه كانوا يسهلون الهمز، أي دون همز[١٩]، كما وردت في القراءة الثانية «لُولُوا»، وهي الأصح. أي أنه كان هناك أساور مصنوعة من ذهب فقط، وهناك حليٌ أخر من اللؤلؤ.

وقراءات هذه المجموعة توافق رسم المصحف العثماني، إلا أن القراءة الأخيرة «لُولُؤاً»، و«لُؤْلُواً» غير مستساغة اللفظ.

كما وردت مجموعة أخرى من القراءات كما يلي:

- كما قرىء: «لُؤْلُؤ»، و«لُولُوْ» و«لُولُؤ»، و«لُؤلُو» [٢٠].
- وقرىء: «لُولياً»[٢١].
- كما قرىء: «لِيَلياً»، و«لُولٍ»[٢٢].

جاءت القراءة الأولى في هذه المجموعة، بالهمز وبدونه، والمرجح كما سبق وأشرنا هي القراءة بدون همز «لُولُو»، أي أن الأساور كانت مصنوعة من ذهب ولؤلؤٍ. وقراءات هذه المجموعة لاتوافق رسم المصحف.

---

١٦. الرازي، تفسير ٢٣: ٢٢.

١٧. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ١٧٢-١٧٤، قارن: أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣٣٥.

١٨. نفس المصادر.

١٩. الداني، المحكم ٨، وقارن النيسابوري، المستدرك ٢: ٢٥١.

٢٠. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ١٧٢-١٧٤، قارن: أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣٣٥.

٢١. نفس المصادر.

٢٢. نفس المصادر.

www.christianlib.com

إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن
يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ
ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ٢٦ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ
يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ
مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ
ٱلۡفَقِيرَ ٢٨ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩
ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ
ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ
ٱلزُّورِ ٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١ ذَٰلِكَۖ وَمَن
يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ
مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ
ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ
وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ
أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم
مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا

www.christianlib.com

إضافة الهمزة لاحقًا بعد موت محمد جعل القراء يختلفون في قراءة هذه الكلمة على العديد من القراءات، مما يشكك في مقولة أن القرآن كان محفوظًا في الصدور.

٢٢:٢٧

أ. ‹يَأۡتِينَ›

- قراءة الجمهور: ‹يَأۡتِينَ›[٢٣].
- وقرأ ابن مسعود والضحاك وابن أبي عبلة: «يَأْتُونَ»[٢٤].

وردت قراءة الجمهور ‹يَأۡتِينَ›، وهي بحسب الرازي تشير إلى «الضوامر» من الخيل والإبل، (والمعنى عنده أن الناقة صارت ضامرة لطول سفرها)[٢٥]. وحيث إن ‹كل ضامر› هي مفرد مذكر، كما أن ما سبقها ‹يأتوك›، يشير إلى جمع مذكر. وعليه كان لزامًا أن يرد الفعل بالتذكير «يأتي» في حال كانت الإشارة إلى ‹كل ضامر›. ولأن الضامر هو مجرد وسيلة للتنقل، ولا دخل له بالواجب الشرعي (الحج)؛ فإن قراءة ابن مسعود «يَأْتُونَ»، التي تشير إلى الحجيج الذين «أُذِّنَ فيهم بالحج» هي الأرجح.

٢٢:٣٦

اخۡتَلَفَ الۡقُرَّاء فِي قِرَاءَة ‹صَوَآفَّ›:

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹صَوَآفَّ›[٢٦].
- وقرأ الحسن وآخرون: «صَوَافِّي»[٢٧].
- وقرأ ابْن مَسْعُود، وابن عباس: «صَوَافِنَ»[٢٨]. وقد ذكر قتادة أنها في مصحف ابن مسعود[٢٩].

---

٢٣. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣٣٨.
٢٤. نفس المصدر.
٢٥. الرازي، تفسير ٢٣: ٢٩.
٢٦. الطبري، تفسير ١٦: ٥٥٥. وهي قراءة عَامَّة قرأة الأمْصَار.
٢٧. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣٤٢ ، الطبري، تفسير ١٦: ٥٥٥.
٢٨. ابن منظور، لسان العرب ٢٤٦٧، قارن: أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣٤٢ ، الطبري، تفسير ١٦: ٥٥٥.
٢٩. الطبري، تفسير ١٦: ٥٥٩.

www.christianlib.com

باختلاف القراءة يختلف المعنى كالتالي:

- «مُصْطَفَّة، وَاحِدهَا: صَافَّة»[٣٠].
- «خَالِصَة للهِ لَا شَرِيك لَهُ فِيهَا، صَافِيَة لَهُ»[٣١].
- «"صَوَافِن". بِمَعْنَى: مُعَقَّلَة»[٣٢]. وقد فسرها ابن عباس بربط البعير بثني إحدى قوائمه الأمامية وربطها مثنية، والبهيمة قائمة على ثلاث قوائم، وهكذا يفعل بالبعير عند نحره، وهو ما أكده ابن مسعود بقوله: «يعني قِياماً»[٣٣].

يختلف المعنى باختلاف القراءات، فكل قراءة منها تعطي تصورًا لمشهد تقديم الذبيحة، الأمر الذي ليس لدينا أي دلائل تثبت حدوثه بهذه الدقة والصورة المنظمة أيام التشريق بمكة[٣٤]. ولكن من المفارقة أن مشهد اصطفاف الذبائح هو ما كان يتبعه بنو إسرائيل عند تقديمها في البرية أيام الخروج. وقد أوضح هذا المشهد دكتور لينارت مولر[٣٥]، في كتابه «قضية الخروج»، حيث أثبت بالاكتشافات الأثرية الباقية حتى اليوم في سفح جبل حوريب، طريقة تقديم الذبائح مصطفة في ممرين من الحجارة، في زمن خروج شعب إسرائيل[٣٦].

---

٣٠. الطبري، تفسير ١٦: ٥٥٥.
٣١. نفس المصدر.
٣٢. نفس المصدر.
٣٣. ابن منظور، لسان العرب ٢٤٦٧.
٣٤. وأيام التشريق هي ثلاثة أيام بعد يوم النحر، لأن لحم الأضاحي يشرق فيها للشمس، لسان العرب ٢٢٤٦.

35. Lennart Möller.
36. Möller, *The Exodus Case* 304-306.

www.christianlib.com

وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ
عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ

٣٧:٢٢

- قراءة الجمهور: ‹لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا ولكن يَنَالُهُ التقوى› بالياء على التذكير[٣٧].
- وقرأ الأعرج والزهري وابن أبي عبلة وآخرون: «لَنْ تَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا ولكن تَنَاله التقوى» بالتاء على التأنيث[٣٨]، وتعود القراءة «تنال» على ‹لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا›.
- وقرأ زيد بن علي: «لَنْ يَنَالَ اللهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاءَهَا ولكن يُنَاله التقوى» بالنصب في «لُحُومَهَا وَدِمَاءهَا»[٣٩]. وهذه القراءة جاءت عند الألوسي بضم الياء «يُنَال اللهُ»[٤٠].

تتماشى اللحوم والدماء في صيغة الفاعل، في قراءتي الجمهور والأعرج، مع السياق الذي يُظهِر أن محاولة الوصول إلى الله هي من طرف الإنسان عن طريق تلك الذبائح، وليس العكس. والتعبير اللغوي السليم عن هذه اللحوم والدماء هو بالتأنيث «تَنَالَ...تَنَاله»، كما جاء في قراءة الأعرج ومن قرأ بقراءته. أما في قراءة زيد بن علي: «يَنَالَ...يُنَالُه»، فالله هو الفاعل، مما يجعلها غير متماشية مع السياق، كما أنها لا توافق رسم المصحف حيث كلمة «دماءها» في تلك القراءة جاءت بدون واو في وسط الكلمة. ولذا نرجح قراءة الأعرج والزهري ومن قرأ بقراءتهما في هذه الآية.

٣٧. الخطيب، معجم القراءات ٦: ١١٨-١١٩.
٣٨. نفس المصدر ٦: ١١٨.
٣٩. نفس المصدر، وقارن أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣٤٣.
٤٠. الخطيب، معجم القراءات ٦: ١١٩.

www.christianlib.com

ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ
بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن
دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم
بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ
كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ
ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ
وَعَادٞ وَثَمُودُ ٤٢ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ٤٣ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ
فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٤ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ
٤٥ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ
يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي
ٱلصُّدُورِ ٤٦ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا

٢٢:٤٠

اختلف القرَّاء في كلمة ‹وَصَلَوَاتٌ› على أكثر من ثماني عشرة قراءة، منها: وَ«صُلُواتٌ»، و«صِلْوَاتٌ»، و«صُلَوَاتٌ»، و«صَلْوَاتٌ»، و«صُلُوتٌ»، و«صُلُوتَي»، و«صُلُوثُ»، و«صُلُوثَي»، و«صِلْوِيثَي»، و«صُلْوَاثُ»، و«صِلْوَاثُ»، و«صُلُوبُ»، و«صُلْوَاتٌ»، و«صَلْوِيثَي»، و«صَلُوثِي»، و«صَلُوتُ»، و«صُلُولَي»[41].

٤١. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ١٨٦-١٨٨.

www.christianlib.com

اختلف أهل التأويل في المراد من كلمة ‹وَصَلَوَاتٌ› على عدة أقوال، منها: الكنائس ومعابد اليهود ومساجد الصابئة ومساجد المسلمين[٤٢]، وهذا الاختلاف في التأويل يوضح الحاجة إلى نشوء هذا الكم الهائل من القراءات المختلفة! مما يرجح تشكك المفسرين والقرَّاء في معرفة المعنى المقصود من هذه الكلمة ‹صلوب›.

ومن الأرجح أن كلمة «صلوات» قد اقترنت مع كلمة أخرى «بيوت» في المصاحف الأولى، ليصبح المعنى في هذه الحالة «بيوت صلوات» أو«بيوت عبادة». ويبدو أنه أثناء نسخ المصاحف اللاحقة، سقطت كلمة «بيوت» سهوًا لتبقى في الآية كلمة «صلوات» فقط.

٢٢: ٤٧

تخبرنا الآية أن اليوم عند الله يساوي ألف سنة بشرية: ‹وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ›. وتفاوتت آراء المفسرين حول هذه النقطة. بعضهم قال إن اليوم الرباني هو واحد من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض. وقال آخرون بل هو يوم من أيام الآخرة[٤٣]. ولكنهم اتفقوا على أن عبارة ‹مِمَّا تَعُدُّونَ› تعني السنة البشرية[٤٤].

لا نستطيع الجزم بمصدر هذه الفكرة، ولكن من المحتمل أنها مأخوذة من الكتاب المقدس: «أَنَّ يَوْماً وَاحِداً عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ»[٤٥]. ومغزى الآية الكتابية يفيد بأن الله غير خاضع للزمن وحساباته. ولكن الإشكالية في القرآن هي في أنه يحدد السنة: ‹كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ› أي وفقاً لحسابات البشر المطبقة فيما بينهم. فجعل حساب يوم الله الفعلي ألف سنة بشرية. وهذا تعيين للمطلق، وهو ما لا يجوز في شأن الله الذي لا تحده حدود.

وتشير آية أخرى إلى اليوم الإلهي على اعتبار أنه المدة الزمنية بين السماء والأرض: ‹كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ› (السجدة ٣٢: ٥)، وفي مكان آخر ورد أنه ‹كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ› (المعارج ٧٠: ٤). وهذه معضلة. فمرة يتحدد الزمان بألف سنة، ومرة بخمسين ألف سنة. ويقول المفسرون إن المقصود بآية سورة المعارج هو المسافة «من مُنتهى أمرِه من أسفل الأرضين

---

٤٢. الطبري، تفسير ١٦: ٥٨٣-٥٨٥.
٤٣. الطبري، تفسير ١٦: ٥٩٦-٥٩٧، قارن: القرطبي، تفسير ١٤: ٤٢٠-٤٢١.
٤٤. الطبري، تفسير ١٦: ٥٩٨، ١٨: ٥٩٣.
٤٥. رسالة بطرس الرسول الثانية ٣: ٨.

www.christianlib.com

عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا
وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠
لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ
أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ
ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ
بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ
لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ
يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟
لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم
مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا
عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ
ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ

www.christianlib.com

ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ
تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ

إلى مُنتهى أمره من فوق السماوات»، وهو ما يساوي خمسين ألف سنة[٤٦]. على أن ثمة رأياً آخر يقول بأن المقصود بخمسين ألف سنة هو «يوم القيامة»، حيث يقول أحد الشارحين: «فهذا يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدارَ خمسين ألف سنةٍ»[٤٧].

فكم هي مدة السنة الإلهية: ألف سنة أم خمسون ألف سنة؟ قد يقول قائل إن القرآن يشير إلى أيام مختلفة: فيوم الآخرة هو غير اليوم بين السماء والأرض. فإن قبلنا بهذا التقسيم، هل تتعلق الخمسون ألف سنة بالقيامة، أم بالمدة بين السماء والأرض؟

٢٢:٤٩

يحدد محمد هنا مهمته بوضوح على أنه مجرد نذير، ليس له من سلطان، وهذا ما نُسخ لاحقاً بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٤٨].

---

٤٦. الطبري، تفسير ٢٣: ٢٥٢.
٤٧. نفس المصدر ٢٣: ٢٥٢-٢٥٣.
٤٨. ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٦٦.

www.christianlib.com

يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ٦٦ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا
يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ٦٧
وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٦٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا
فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠
وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ
عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ٧١ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ
تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ
يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا
ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ
فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ
ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ ٧٤ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ
بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ
٧٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ
ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ
ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ
إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ

www.christianlib.com

٦٨:٢٢

أُمر محمدٌ في هذه الآية، أنه في حال تعرض لمجادلة أن يرد: «الله أعلمُ بما تعملون ونعملُ»[٤٩]، وهذا الحكم قد نسخ بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٥٠]، فلم يعد محمد يرضى بالرفض، بل صار يُعمِل آية السيف في مثل هذه الحالات.

٧٨:٢٢

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ›.
- وقرأ أبيّ بن كعب: «مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ اللهُ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ»[٥١].

قد يعود ضمير ‹هُوَ› في القراءة الشائعة على الله، أي أن الله هو «مَنْ سماكم المسلمين». وحسب الظاهر فالضمير ‹هُوَ› يعود على إبراهيم وليس الله، وهذا ما ذهب إليه الفرَّاء حيث إن إبراهيم هو «أقرب مذكور»[٥٢]، وربما ما يؤيد طرحه هو دعاء إبراهيم إلى الله أن يجعله وذريته من المسلمين، كما في الآية: ‹رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ...› (البقرة ٢:١٢٨).

أما جُلّ المفسرين فقد أجمعوا على أن ‹هُوَ› تعود على الله[٥٣]، وقد رد ابن جرير على من قال أن الضمير يعود على إبراهيم، بأن «هذا لا وجه له؛ لأنه من المعلوم أن إبراهيم لم يسم هذه الأمة في القرآن مسلمين»[٥٤]. فنرى أن القراءة الشائعة تترك التأويل مفتوحاً، بين أن يكون المُسمِي هو الله أو إبراهيم. على العكس من قراءة أبيّ بن كعب التي تحسم هذه المعضلة، ولا تترك مجالاً للَّبس، لذا فهي الأرجح.

---

٤٩. الطبري، تفسير ١٦: ٦٢٨.
٥٠. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٠٠، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٦٦، شعلة، صفوة الراسخ ١٥٥.
٥١. الخطيب، معجم القراءات ٦: ١٤٧.
٥٢. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣٦١.
٥٣. انظر الطبري، تفسير ١٦: ٦٤٦-٦٤٧، ابن كثير، تفسير ١٠: ١٠٠.
٥٤. ابن كثير، تفسير ١٠: ١٠٠.

www.christianlib.com

شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨

www.christianlib.com

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

من المرجح أن تسمية «المؤمنون» قد أُطلقت على السورة لأن الكلمة وردت في الآية الأولى: ‹قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ›. وقد نَقلت المصادرُ أسماءً أخرى للسورة، إذ سُميت «سورة قَدْ أَفْلَحَ»، وكذلك «سورة الفلاح» (ابن عاشور ١٨: ٥).

يتفق العلماء المسلمون على مكّية السورة. وأما ذكر الزكاة فيها (الآية ٤) فلا يجعلها مدنية، لأن مفردة الزكاة الواردة هنا أتت بمعنى الصدقة. والقرآن يستخدم كلمة الزكاة على فعل الصدقة، مثل(فصلت ٤١: ٦ ـ ٧): ‹وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ› (ابن عاشور ١٨: ٥ ـ ٦).

تتشابه هذه السورة مع سورة الأعراف (السورة السابعة)، مما يشير إلى أنهما ترجعان إلى فترة واحدة. إذ حُذِّر المشركون القرشيون وأُنذروا عبر الإشارة إلى مصير الذين رفضوا الأنبياء في العصور السالفة. وكما في سورة الأعراف، فإن كل الأنبياء في هذه السورة هم صور عن محمد. رسائلهم كرسالته، وأقوامهم مثل قومه (Wherry, 3: 173). ونجد في السورة قصة نوح (الآيات ٢٣ ـ ٣٠)، وهود (الآيات ٣١ ـ ٤١)، وموسى وهارون (الآيات ٤٥ ـ ٥٠)، بحيث إنهم جميعاً يؤكدون أن الله يرسل أنبياءَ من البشر، وهو ما أجاب به محمد على تساؤل قريش عما إذا كان يجوز له أن يكون رسولاً، وهو بشر.

يَرى «ويري» أن السورة تعكِس ضآلة أمل محمد، لا بل انعدام أمله في كسب قريش إلى الإسلام (Wherry 3: 173). ويُرجّح أنها تعود إلى بداياتِ المرحلة المكّية الثالثة (Wherry 3: 174)، حوالي سنة ٦١٩ م.

مواضيع السورة

- قصص أنبياء (٢٣ ـ ٥٠).
- تهديدات لأهل الشِّرك دفاعا عن محمدٍ (٥٥ ـ ٧١).
- وصف لله (٧٩ ـ ٩٢).
- حديث عن الآخرة (١٠١ ـ ١١٥).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ
ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ
حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ
٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ
وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا
ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ

٢٣: ٦

أجازت الآيةُ ممارسةَ الجنس مع المسترقات، بحيث لا يُعتبر ذلك إثماً على المسلم. فليس للمسترقة حقُّ حماية جسدِها. ويلاحَظُ أيضاً على هذه الإجازة أنها وردت على الشكل التالي: ‹مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ›، حيث استُعمل اسم الموصول ‹مَا› الذي يُستخدم للحديث عن غير العاقل، بدل «مَن» الذي يُستخدم للحديث عن كائن عاقل. فهل هذا خطأ نحوي، أم أنه يعكس رؤية القرآن للأرقاء، واعتبارهم دون مستوى البشر؟

٢٣: ٨

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹لِأَمَانَاتِهِمْ› بالجمع.
- بينما قرأ نافع وابن كثير: «لِأَمَانَتِهِمْ» بالإفراد[1].

١. الخطيب، معجم القراءات ٦: ١٥٣.

www.christianlib.com

الرسم العثماني لهذه الكلمة ‹لامسهم›، لا يجزم إن كانت بالإفراد، أم بالجمع، وذلك لعدم تثبيت (إظهار) ألف المد بعد النون، سواء هنا أو في (المعارج ٧٠:٣٢). إلا أن المفردة المعطوفة عليها ‹وعهدهم› جاءت بالإفراد. والرعاية في آيتنا هنا ‹...رَاعُونَ› تشمل كل عهد وأمانة. فواضحٌ أن المقصود هو جنس العمل، أي أنه يشمل كل العهود. وبالتالي، فمن المرجح أن تكون الكلمة بالإفراد ‹لِأَمَانَتِهِمْ›، حيث تشمل في هذه الحالة كل الأمانات.

ملك اليمين والتمييز الجنسي بين الرجل والمرأة

لا يحق للمرأة المسلمة التمتع الجنسي بالمسترق، بل هذا الحق محفوظ للمسلم الذكر فقط. والفِقه الإسلامي يحرِّم الزواجَ بين المرأة الحرة ومسترقها. ولكي يحق لها الزواج منه، عليها أولاً أن تعتقه[١]، مع ملاحظة أن الشرط في الزواج هو أن يكون الرجل على دين الإسلام، لأن الشريعة لا تجيز زواج المسلمة من غير المسلم، في حين أنها تعطي المسلم حق الزواج من غير المسلمة.

ومع أنه ليس للمرأة حق التمتع الجنسي بالمسترق إسوةً بالرجل المسلم، لكن ما هو مشترك بين المسترق والمسترقة في الاعتقاد القرآني، أنهما أقل درجة في الآدمية. ولهذا السبب، عندما فُرض التحجب على المرأة في سنٍّ معينة[٢]، فإن القرآن استثنى من شرط التحجب طائفةً من الناس، عدّدتهم آية قرآنية: ‹وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ...لاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ›[٣]

عبارة ‹مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ› تعني المسترق، سواء كان رجلاً أم امرأةً. وهذا رأي زوجتين من زوجات محمد هما عائشة وأم سلمة[٤]. كما يُحكى أن محمداً قد أهدى مسترقاً لابنته الأثيرة فاطمة، وأخبرَها أنّ بوسعها أن تتصرف بمحضره كما بمحضر أبيها[٥].

إن هذا الاستثناء بخصوص المسترق يلفت النظر، ذلك أن من واجب المسلمة الالتزام بشروط الحجاب تجاه المسترق ما دام من الغرباء. ولكن السّماح للمسلمة بتجاوز هذا الشرط، يعود إلى تصوُّر كامِن يفيد أن المسترق لا تنطبق عليه صفة الآدمية.

---

١. القرطبي، تفسير ١٥: ١١.

٢. يختلف الشارحون في تفاصيل حجاب الصغيرة.

٣. النور ٢٤: ٣١.

٤. القرطبي، تفسير ١٥: ٢٢٠.

٥. نفس المصدر ١٥: ٢٢١، البغوي، تفسير ٦: ٣٥.

www.christianlib.com

خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا

١٤:٢٣

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا...›.
- قرأ ابن مسعود: «ثُمَّ جَعَلْنَا النُّطْفَةَ عَظْمًا وَعَصَباً فَكَسَوْنَاهُ لَحْمًا...»[٢].
- وعند الطبري عن ابن مسعود: «ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَظْمًا وَعَصَباً فَكَسَوْنَاهُ لَحْمًا...»[٣]؛ «الهاء» في كلمة «فكسوناه» هي ضمير مستتر تقديره الجنين.
- وعند ابن خالويه: عن ابن مسعود: «...فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا وَعَصَباً...»[٤].

أجمع علماء التفسير على أن العلقة «هي القطعة من الدم» والمضغة «هي القطعة من اللحم»[٥].

وتتميز قراءات ابن مسعود بالتالي:

أ. تخلو من التكرار الموجود في القراءة الشائعة للقرآن: ‹خَلَقْنَا...فَخَلَقْنَا...فَخَلَقْنَا...›.

ب. لم تُدرِج بعضَ المراحل التي كانت معروفة في ذلك العصر، والمذكورة في القراءة الشائعة.

ج. تتحدث عن إضافة العصب إلى اللحم، وهو مالم تذكره القراءة الشائعة.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل التوصيف القرآني لعملية تطور الجنين يمكن اعتباره وصفاً «علمياً»؟

---

٢. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٢٠٣.

٣. الطبري، تفسير ١٧: ٢١.

٤. الخطيب، معجم القراءات ٦: ١٥٦.

٥. الطبري، تفسير ١٧: ٢١.

www.christianlib.com

أما عن السبب في طرح هذا السؤال، فلأن معظم المؤمنين بالقرآن يعتقدون أن الله سبّاق في الإعلان عن الحقائق العلمية في هذا الكتاب «السماوي»، لجعل المؤمن به يتأكد أنه حقاً كتاب من عند الله، بحيث إن وصف تطور الجنين هو من بين أشهر أدلة «الإعجاز» العلمي القرآني الذي يروج له المسلمون الذين يعتبرون أن هذه الآيات العلمية دليل على أن الله يكشف عن أسرار، لا يعلمها أناس عاشوا في القرن السابع الميلادي!

حقيقة الإعجاز العلمي في القرآن

للتدليل على مايطلق عليه «الإعجاز العلمي في القرآن»، يسوق الدكتور زغلول النجار[١] أكثر الأمثلة شيوعاً، والتي يروج لها أنصار الإعجاز. ففي مقال منشور في إحدى كبريات الصحف العربية القاهرية اليومية، التي تُفرِد صفحات أسبوعية له، للحديث عن هذا الإعجاز، وعن آية (المؤمنون ٢٣:١٤)، كتب الدكتور زغلول النجار معلقاً مايلي: «...فالآية تشير إلى مرحلة جنينية محدودة هي مرحلة العلق وهي ديدان حلقية تحيا في الماء العذب وتعيش متطفلة على العديد من العوائل الفقرية، والجنين في مطلع الأسبوع الثالث يأخذ هيئة دودة العلق في شكلها»[٢].

لكن هناك بعض الأصوات العاقلة التي تحاول أن تبين الحقيقة وتبرزها، على غرار ما يعلق به الطبيب خالد منتصر على هذا الطرح، بقوله[٣]:

> المعنى الحقيقي في قاموس العرب: العلق هو الدم الغليظ ولا علاقة له بهذه الدودة التي يتخيلها د. زغلول والتي لا تمت بصلة لشكل الجنين في الأسبوع الثالث الذي لايشبه الدودة من قريب أو بعيد ولكنه التعسف و ليّ الحقائق ومعاملة اللغة بشكل انتهازي، يجعل استنتاجاتهم من المضحكات المبكيات. أدى هذا العبث والتدليس اللغوي إلى فتح طرق عبث وتدليس جديدة من أهمها قولهم إن هذه الاشارات الكونية الإعجازية التي يدعونها لم تذكر من قبل في أي كتاب، وبهذا وقع الإعجازيون وأوقعونا معهم في بلبلة وشك وتخبط فقد وجدنا الكثير مما يتحدثون عنه موجوداً في أشعار عربية وأساطير سومرية وبابلية وفرعونية وفي كتب مقدسة أخرى...

١. .الذي يعد من أشهر المتخصصين في هذا المجال ومن أبرز المروجين له.

٢. مقال للدكتور زغلول النجار ، جريدة الأهرام ١١ أكتوبر ٢٠٠٤.

٣. . منتصر ، وهم الاعجاز العلمي ٢٨.

www.christianlib.com

(يتبع)

ومن الأمثلة التي تدل على صحة قول الدكتور خالد منتصر بأن هذه الاشارات الكونية «الإعجازية» كانت بالفعل مسجّلة في كتب القدماء قبل الإسلام بقرون عديدة، كتاب للطبيب الإغريقي كْلُودْيُوس جَالِينُوس[1] (١٢٩م- ١٩٩م)[2]، ظهر قبل الإسلام بما يقارب الخمسة قرون، يتحدث فيه عن المراحل الأربع لتطور الجنين، وهي مشابهة للمراحل التي ذكرها القرآن، بينما توسع جالينوس بإعطاء تفاصيل محددة لهذه المراحل لا يعرفها المقدس الإسلامي ولم يتطرق إليها!

ومايهمنا هو ما أخذه علماء الإسلام من نظرية هذا الطبيب اليوناني، ونسبوه إلى القرآن والأحاديث، مدعين أن القرآن هو صاحب السبق في كشفه، مما أعطى فرصة لـ «الإعجازيين» -وفق تعبير الدكتور خالد منتصر[3]- للمناداة بالإعجاز العلمي في القرآن.

لقد توهم هؤلاء «الإعجازيون» أن القرآن كان له سبق الكشف عن حقائق علمية، وأنه لم يترك شيئاً من العلم والمعرفة والحكمة إلا وذكرها، استناداً على ما جاء في آية (الأنعام ٦:٣٨): ﴿...مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾. ثم أطلقوا العنان لتأويل الآيات القرآنية، وراحوا يبحثون فيه وفي الأحاديث على تعبيرات أو كلمات يمكن نسبتها إلى علم الفلك والطب... وغيرها من العلوم الحديثة.

---

1. Corpus Medicorum Graecorum.

٢. دار المعارف الإسلامية ١٠: ٤٢٢

٣. منتصر، وهم الاعجاز العلمي ٢٨.

www.christianlib.com

فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ

١٤:٢٣

وصَف القرآن الله في موضعين على أنه ‹أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ›[٦]. وقد اختُلف بشأن معنى ‹أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ›. فقال بعضهم إن المقصود بها أحسن الصانعين.

وقال آخرون إنه لما كان المسيح يخلق أيضاً، فالآية تخبر عن أن الله يَخلق أحسن مما كان يَخْلُق المسيح[٧]. وهذا الشرح إقرار من المفسرين بألوهية المسيح، كما نجد فيه نموذجًا عن تناقض الفكر الإسلامي. ففي الوقت الذي يُتهم فيه المسيحيون بأنهم مُشركون، فإن المفسرين المسلمين لا يجدون حرجاً في اشراك المسيح مع الله في الخلق، وهو العمل الذي يتفرد به الله دون سواه![٨]

هامش تاريخي

تقدم المصادر الإسلامية روايات مفادها أن عبارة «تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» أُضِيفَت إلى «سورة المؤمنون» بعد أن سمع محمدٌ أحدَ المسلمين يقول هذه العبارة، قال محمدٌ إنها من الوحي، وهنالك تضارب بشأن هُوية صاحب القول «أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ».

وأيًا كان صاحب هذا التعبير، سواء كان ابن أبي السرح، أو عمر بن الخطاب، أو غيرهما، فما يهمنا هو حقيقة هذا التغيير، وهل حدث فعليًا في النص القرآني، أم هي مجرد روايات ليس لها أساس في الواقع[٩]؟

٦. (المؤمنون ٢٣: ١٤ والصافات ٣٧: ١٢٥).
٧. الطبري، تفسير ١٧: ٢٥، القرطبي، تفسير ١٥: ٢١. قارن: البغوي، تفسير ٥: ٤١٢.
٨. يمكن للقارئ مراجعة الحديث عن ألوهية المسيح في القرآن، في التعليق على (آل عمران ٣: ٤٦، ٤٩) في المجلد الأول من هذا الكتاب.
٩ انظر «إشكالية الناطق بالوحي»، في المجلد الأول من هذا الكتاب.

www.christianlib.com

وقد أوردت المصادر الإسلامية أمثلة بعينها[١٠]، ذهبت إلى الاعتراف بأن هذا النوع من الإضافات جاء على لسان الصحابة[١١]، كما يتضح من الجدول التالي:

إضافات الصحابة للقرآن				
إضافات الصحابة		اللوح المحفوظ		المصدر
القائل	النص كما قيل	النص القرآني	الآية	
عمر بن الخطاب	«لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصَلَّى»	﴿واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مُصَلًّى﴾	البقرة ٢: ١٢٥	السيوطي، الإتقان ٢٢٩
عمر بن الخطاب	«لو اتخذت على نسائك حجابًا»	﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾	الأحزاب ٣٣: ٥٣	السيوطي، الإتقان ٢٢٩
عمر بن الخطاب	«عَسى رَبُّهُ إنْ طَلَّقَكُنَّ أن يُبْدِله أزْوَاجًا خَير مِنْكُنَّ»	﴿عَسى رَبُّهُ إنْ طَلَّقَكُنَّ أن يُبْدِله أزْوَاجًا خَير مِنْكُنَّ﴾	التحريم ٦٦: ٥	السيوطي، الإتقان ٢٢٩
عمر بن الخطاب	«مَنْ كانَ عَدُوًّا لله وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ الله وَجبريلَ وَميكالَ فَإنَّ الله عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ»	﴿مَنْ كانَ عَدُوًّا لله وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ الله وَجبريلَ وَميكالَ فَإنَّ الله عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ﴾	البقرة ٢: ٩٨	السيوطي، الإتقان ٢٣٠
عبد الله بن أبي سرح	«فتبارك الله أحسن الخالقين»	﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾	المؤمنون ٢٣: ١٤	الرازي ٢٣: ٨٧، وانظر الزمخشري ٤: ٢٢٢، وكذلك القرطبي ١٥: ٢٠.
سعد بن معاذ	«سبحانك هذا بهتان عظيم»	﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾	النور ٢٤: ١٦	السيوطي، الإتقان ٢٣١
إمرأة صحابية	«يتخذ الله من عباده الشهداء»	﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾	آل عمران ٣: ١٤٠	السيوطي، الإتقان ٢٣٢
مصعب بن عمير	«وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإين مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم»	﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإين مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم﴾	آل عمران ٣: ١٤٤	السيوطي، الإتقان ٢٣٢

١٠ انظر السيوطي، أسباب النزول ٢٢٨ - ٢٣٣.

١١ نفس المصدر ٢٢٨، وذكرها السيوطي تحت عنوان «فيما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة»

www.christianlib.com

ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴿١٤﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ
﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ

١٧:٢٣

قال الشارحون إن كلمة ‹طَرَائِقَ› تعني: السموات. وإنها سُميت طرائق للتالي[١٢]:

أ. قيل لها طرائق لتطارقها، أي أن بعضَها فوق بعض، كما يُقال «طارق بين ثوبين إذا لبس ثوباً فوق ثوب».

ب. قيل إنها سُميت بذلك «لأنها طرائق للملائكة في العروج والهبوط والطيران».

ج. وقيل «لأنها طرائق الكواكب فيها مسيرها»، كما أنها مصدر الرزق بالمطر النازل منها، ومقر الملائكة، وموضع إرسال الأنبياء ونزول الوحي[١٣].

كما جاءت كلمة «طَرَائِقَ» في موضع آخر بالقرآن بمعنى مختلف: ‹وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً›[١٤]، قال الشارحون إن عبارة ‹كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً› تعني: «كنا أهواءً مُختَلِفَةً»[١٥].

وأما في المعجم العربي، فإن لـكلمة «طَرَائِقَ» معانٍ أخرى:

أ. التقلبات. يقال: طرائق الدهر، أي: تقلبات الدهر.

ب. طرائق القوم: الرجال الأشراف[١٦].

---

١٢. الرازي، تفسير ٢٣: ٨٨.
١٣. نفس المصدر، وقارن الزمخشري، الكشاف ٤: ٢٢٢.
١٤. (الجن ٧٢: ١١).
١٥. الطبري، تفسير ٢٣: ٣٣٠.
١٦. ابن منظور، لسان العرب ٢٦٦٥.

www.christianlib.com

ونتساءل: لماذا وردت كلمة «طَرَائِقَ» بمعنى السموات في هذا السياق؟ وأي بلاغة في ذلك؟

وحتى عندما قال المفسرون إنها تعني سموات، فقد قدموا آراءً مختلفة حول الأمر. ويبدو أننا أمام إشكالية نتجت عن التدوين، لأنه حين ننظر إلى رسم الكلمة بدون تنقيط، نجد أن المفردة تأتي على الشكل التالي: ‹طرا‍ىـ›، ومن المحتمل أن اللفظ الأصلي كان «طوا‍ىـ»، أي بالواو وليس بالراء، الا أن خلطًا حصل في قراءة الحرف الثاني، فقرئ راءً، فصارت اللفظة ‹طَرَائِق›. ولدينا شاهد يدعم هذه الفرضية في مخطوطة سمرقند، حيث نجد كلمة ‹رحمـــٮ›[١٧] مكتوبة ‹ وحمـــــٮ ›[١٨]، بحيث تبدو الراء واوًا. فإن صحّت هذه الفرضية، فهذا يعني أن الآية كانت في الأصل: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَوَابِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ».

٢٣:٢٠

أ. ‹تَنبُتُ بِالدُّهْنِ›.

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹تَنبُتُ بِالدُّهْنِ›.
- وقرأ أُبي بن كعب: «تُثمِر بالدهن»[١٩].
- وقرأ ابن مسعود: «تُخْرِجُ الدُّهْنَ»[٢٠].

أشار الطبري إلى رأيٍ يقول إن «الباء ‹بِالدُّهْنِ› في هَذَا الْمَوْضِعِ زائدة، كما قيل: أَخَذْتُ ثَوْبَه وَأَخَذْتُ بِثَوْبِهِ»[٢١]، فالباء لا شك أنها زائدة كما ذكر الطبري، وليس لها ما يبررُ وجودها في هذه الآية ‹تَنبُتُ بِالدُّهْنِ›. ولكن المشكلة ليست فقط في الباء الزائدة، وإنما في كلمة ‹الدُّهْنِ› أيضًا، فالدّهن لا ينبت، وإنما يُستخرجُ من الزيتون مثلاً، مما يُوحي لكل متأملٍ في أمر هذه الباء أن هناك كلمة سقطت، وكانت تقع بين فعل‹تَنبُتُ› ولفظة ‹الدُّهن›. ونلاحظ أن الطبري أتى بهذا المعنى في قوله:

---

١٧. (هود ١١: ٧٣).

18. Samarkand codex, St. Petersburg, Hud Q11.73.

١٩. ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن ٩٩.

٢٠. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٢٠٥.

٢١. الطبري، تفسير ١٧: ٣١.

www.christianlib.com

وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ
لِّلۡأٓكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ

«تَنْبُتُ هذه الشجرةُ بثمرِ الدُّهْنِ»[22]. ويبدو أن كلمة «ثمر»، أو كلمة مرادفة لها، قد تكون سقطت من النص الأصلي للقرآن، وبالتالي، يصبح تقديرُ الآية: «تَنْبُتُ ثمرَ الدُّهْنِ» أو«تَنْبُتُ حَبَّ الدُّهْنِ».

لا يتضح من المراجع الإسلامية إن كانت قراءة ابن مسعود تشمل عبارة ‹من طور سيناء› أم لا؟ فإذا كانت تشمل هذه العبارة، تكون هذه القراءة ركيكة لتكرار كلمة «تخرج» كالتالي: «وشجرةً تخرج من طور سيناء تخرج الدهنَ وصبغًا للآكلين». أما إذا قُرءت دون هذه العبارة: «وشجرةً تخرج الدهنَ وصبغًا للآكلين»، وهذا هو الأرجح، إذ من المعلوم أن شجر الزيتون لم يكن موجودًا في أي زمن من الأزمنة في طور سيناء، والدليل على ذلك أن القرآن نفسه يخبرنا في ثلاث آيات[23] أن الله أنزل على بني إسرائيل المن والسلوان، فإن كان هناك زيتون وأشجار، فما الداعي لإنزال المن والسلوان؟

وقد انتبه علماء الإسلام لهذه المعضلة، فحاولوا تأويل ‹طور سيناء› بشتى أنواع التأويلات، ذكر الطبري والقرطبي الكثير منها عن كلٍ من «طور سيناء» و«سيناء» كما يلي:

طور سيناء[24]

- الجبل الذي كلم الله عليه موسى.
- جبل الطور الذي بالشام.
- جبل بيت المقدس.
- جبل ممدود بين مصر وبين أيلة.
- جبل ذو شجر.

---

٢٢. الطبري، تفسير١٧: ٣٢، التشديد لنا.
٢٣. (البقرة ٢: ٥٧، الأعراف ٧: ١٦٠، طه ٢٠: ٨٠).
٢٤. الطبري، تفسير ١٧: ٣٠. قارن: القرطبي، تفسير ١٥: ٢٧-٢٨.

www.christianlib.com

سيناء[٢٥]

- معناه الحسن، عن قتادة. ويلزم على هذا التأويل أن ينون الطور على النعت.
- معناه مبارك ، عن مجاهد.
- معناه شجر، عن فرقة. على هذا التأويل أن ينون الطور.
- هو اسم الجبل، عن الجمهور؛ كما تقول جبل أحد.
- حجر بعينه أضيف الجبل إليه لوجوده عنده، عن مجاهد أيضا.
- كل جبل يحمل الثمار فهو سيناء (أي فهو حسن)، عن مقاتل.
- اسم أعجمي، كما زعم الأخفش.

في ظل هذه التأويلات العديدة والمتنوعة عن «طور سيناء»، و«سيناء» فأين البيان في هذه الآية؟

ب. ﴿وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾

- القراءة الشائعة: ﴿وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾.
- وقرأ عَامِر بْن عَبْد قَيْس: «وَمَتَاعاً لِلْآكِلِينَ»[٢٦].

قَالَ ابن عاشور: «والصِّبْغ بكسر الصاد ما يصبغ به أي يغير به اللّون...وسُمي الزيت صِبغاً لأنه يصبغ به الخبز»[٢٧]. ولجوء عامر بن عبد قيس[٢٨] لاستخدام تعبير جديد لا يوافق رسم المصحف ولا يترادف مع معنى كلمة ‹صبغٍ›، يؤكد أن هذه الكلمة لم تكن مستساغة له. والواقع فاختيار القراء الأوائل لكلمات النص القرآني لم تكن تخضع لضوابط محددة، مما يشكك في نظرتهم لقدسيته.

٢٣:٢٤

- قراءة الجماعة: «ٱلْمَلَؤُاْ»[٢٩].
- قرأ حمزة وهشام: «الْمَلَوُ»[٣٠].

---

٢٥. القرطبي، تفسير ١٥: ٢٧-٢٨. قارن: الطبري، تفسير ١٧: ٣١.
٢٦. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣٧١. انظر الخطيب، معجم القراءات ٦: ١٦٢.
٢٧. ابن عاشور، تفسير ١٨: ٣٨.
٢٨. يسمى راهب هذه الأمة، بحسب كعب الأحبار، وسمي أيضاً: القدوة والوالي والزاهد بحسب الذهبي. انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء ٦ :٢١٠.
٢٩. الخطيب، معجم القراءات ٦: ١٦٤-١٦٥.
٣٠. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٢٠٧. الجدير بالذكر أن هذه القراءة نفسها «الْمَلَوُ» بالواو، قرأ بها ابن عامر ذات الكلمة في (الأعراف ٧: ٦٠).

www.christianlib.com

فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٢١ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٢٢
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ
غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا
بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا
سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ

كلمة ‹ٱلۡمَلَؤُاْ› وردت في رسم المصحف على صورتين:

- ‹الملوا›: كما في سورة المؤمنين في الآية التي نحن بصددها، ‹فقَالَ الْمَلَؤُا الذين كفروا›.
- ‹الملا›: كما في الآية ٣٣ من نفس السورة، ‹وَقَالَ الْمَلَأُ من قومه›.

دون أي تفسير قطعي مقنع يُبَيِّن متى تكون ألفًا، ومتى تكون واوًا! ولعل الاختلاف في الرسم العثماني هو الذي أثر في قراءة حمزة وهشام، ونفس الإشكالية تكررت في مواضع عدة بالقرآن.

وبدراسة المخطوطات القديمة؛ فعلى سبيل المثال ففي الآية ‹وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّؤُهُ›[٣١]، نجد كلمة ‹أبناء› بحسب رسم المصحف ‹ابىوا› بالواو، أما في مخطوطة القاهرة، فقد جاءت نفس الكلمة بالألف ‹ابىا›[٣٢]!

كما تصادفنا نفس الإشكالية في ذات المخطوطة عند كلمة ‹فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ› (الشعراء ٢٦: ٦)، فنجد كلمة ‹أَنْبَاءُ› قد وردت في المخطوطة بالألف ‹ابىا›[٣٣]، بينما وردت بالواو‹ابىوا› في رسم المصحف!

---

٣١. (المائدة ٥:١٨).
٣٢. مصحف المشهد الحسيني ١: ١٥٦، رقعة ١٥٦/أ.
٣٣. نفس المصدر ٢: ٦٢١، رقعة ٦٢١/أ.

www.christianlib.com

حَتَّىٰ حِينٍ ٢٥ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ
ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ
زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ
فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٨ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا
مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٢٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ٣٠ ثُمَّ
أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٣١ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣٢ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ
مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم
بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ
تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ٣٥ ۞ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦ إِنۡ هِيَ
إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٣٧ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ٣٨ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا
كَذَّبُونِ ٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ٤٠ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ
فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا
ءَاخَرِينَ ٤٢ مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ٤٣ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا
تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ
أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٤٤ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا

www.christianlib.com

ويبقى السؤال على ما هو عليه: ما تفسير ورود هذه الكلمات بالألف أحيانًا، وبالواو أحيانًا أخرى، في مخطوطات القرآن؟ ولماذا تَرِدْ الكلمة بالألف تارة، وبالواو تارة أخرى دون أية قاعدة ثابتة؟

٢٣:٢٥، ٥٤

- القراءة الشائعة: ‹حَتَّى حِينٍ›.
- وقرأ ابن مسعود «عَتَّى حِينٍ» بالعين[٣٤]، في الآيتين.

انظر التعليق على قراءات (يوسف ١٢: ٣٥)، صفحة ١١٩.

٢٣:٢٧

ورد في الآية عبارة: ‹جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ›. وهو تكرار حرفي لما ورد في سورة هود (١١: ٤٠). فنرجو من القارئ مراجعة التعليق على هذه الآية في سياقها، صفحة ٨٦.

٢٣:٣٥

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ...أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ›.
- وقرأ ابن مسعود: «أَيَعِدُكُمْ إِذَا مِتُّمْ...أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ»[٣٥]، دون ‹أَنَّكُمْ› الأولى.

في تفسير هذه الآية، قال الطبري: «إِنْ حَذَفْتَ «أَنَّكَ» الْأُولَى أَوِ الثَّانِيَةَ صَلَحَ، وَإِنْ ثبتا صَلَحَ، وَإِنْ لَمْ يُعْتَرَضْ بَيْنهمَا بِشَيْءٍ لَمْ يَجُزْ. خَطَأٌ أَنْ يُقَال: أَظُنّ أَنَّك أَنَّك جَالِسٌ»[٣٦].

وعليه: إذا صحت القراءة دون ‹أَنَّكُمْ›، سواءً الأولى أو الثانية، كما أقر الطبري، تكون ‹أَنَّكُمْ› الأولى أو الثانية زائدة في قراءة المصحف. ولذا فقراءة ابن مسعود، دون ‹أَنَّكُمْ› الأولى، لم تقع في الإشكالية الواردة في مصحف عثمان بتكرار ‹إِنَّكُمْ›، و‹أَنَّكُمْ› ثلاث مرات في آيتين فقط (المؤمنون ٢٣ :٣٤-٣٥). فتكون بذلك قراءته أكثر بلاغة، وسلاسة.

---

٣٤. الخطيب، معجم القراءات ٦: ١٦٥، ١٨٤.

٣٥. نفس المصدر ٦: ١٧٠.

٣٦. الطبري، تفسير ١٧: ٤١.

www.christianlib.com

وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾
فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ
مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلۡنَا
ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ
هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ
زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾
أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل
لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ
مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي
ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ
يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ
أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ
إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدۡ كَانَتۡ

www.christianlib.com

٢٣:٥٤

لما كانت الآية تعني ترك غير المسلمين على دينهم؛ فهي منسوخة بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٣٧]. البعض يرى أن الآية تحتوي على وعيد، وعلى ذلك فهي محكمة[٣٨].

٢٣:٦٤

- قراءة الجماعة: ‹يَجْـَٔرُونَ›[٣٩].
- وقرأ حمزة: «يَجَرُونَ»[٤٠]، والتي تفيد نفس المعنى.

رسم المصحف لهذه الكلمة ‹يحرون›، لا يوجد به أي نبرة أو كرسي للهمزة، لإثبات وجودها. ولذا عندما أقحمت الهمزة تعسفًا على الكلمة، صارت غريبة الشكل، على النحو التالي ‹يَجْـَٔرُونَ›!

وإذا سلمنا جدلاً بوجود الهمزة «يَجْأَرُونَ»، فمعنى ذلك، بحسب لسان العرب: «يتضرّعون إلى الله ويصرخون إليه بالدعاء»[٤١]. وقد فسرها بعض أهل التأويل كما يلي:

- يستغيثون[٤٢].
- يصرخون[٤٣].
- يضجون[٤٤].
- يرفعون أصواتهم كما يجأر الثور[٤٥].
- يجزعون[٤٦].

كما رأينا، فكلمة «يَجْأَرُونَ» لها عدة معاني. وإضافة الهمزة دون وجود كرسيٍ لها في رسم المصحف، لهو ليٌّ لعنق الحقيقة، وبالتالي الآية، بهدف إيجاد معنى يوافق السياق.

---

٣٧. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٠٢، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٦، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٦٧.
٣٨. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤٠٢.
٣٩. الخطيب، معجم القراءات ٦: ١٨٩.
٤٠. نفس المصدر.
٤١. ابن منظور، لسان العرب ٥٢٨.
٤٢. الطبري، تفسير ١٧: ٧٧، ٧٨، ابن كثير، تفسير ١٠: ١٣٢، البغوي، تفسير ٥: ٤٢٢.
٤٣. ابن كثير، تفسير ١٠: ١٣٢.
٤٤. الطبري، تفسير ١٧: ٧٨، القرطبي، تفسير ١٥: ٦٢، البغوي، تفسير ٥: ٤٢٢، ٤٢٣.
٤٥. الطبري، تفسير ١٧: ٧٧.
٤٦. الطبري، تفسير ١٧: ٧٨، البغوي، تفسير ٥: ٤٢٢.

www.christianlib.com

ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ٦٦ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ
سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ٦٧ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ
ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ
بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٠ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ
لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن
ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ٧١ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ٧٢ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٣ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤ ۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ
لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٥ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ
لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا
هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ
قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٩
وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠ بَلۡ
قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ
ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ
قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ
٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ
يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩

www.christianlib.com

وعليه، فلا شك أن أصل الكلمة، كما قرأ حمزة، هو «يَجْرُونَ»؛ وذلك لتطابقها مع رسم المصحف.

٢٣: ٦٧

- قراءة الجمهور: ‹سَامِرًا›[٤٧].
- قرأ ابن مسعود وابن عباس وآخرون: «سُمَّراً»، جمع «سامر»[٤٨].
- وقرأ ابن عباس أيضاً: «سُمَّاراً»، وهو جمع «سامر»[٤٩].
- وقرئ: «سُمْراً»، ويجوز أن يكون جمع «سمير» أوجمع «سامر»[٥٠].

كل قراءات هذه الكلمة جاءت بصيغة الجمع، متماشية مع سياق الآية، إلا قراءة الجمهور التي جاءت بالإفراد ‹سَامِرًا›، دون مراعاة لما قبلها ‹مُسْتَكْبِرِينَ›، وما بعدها ‹تَهْجُرُونَ›! وعليه، فالقراءة بالجمع هي الأرجح، لكن يبقى الغموض قائمًا في معنى الآية مع كل هذه القراءات.

وبالرجوع إلى سياق الآية، نجد كلمة ‹مُسْتَكْبِرِينَ›، والتي تفيد التفاخر، والكبرياء لكن الإشكالية في عبارة ‹مُسْتَكْبِرِينَ به›، حيث لا يتضح على ماذا تعود الهاء؟ ولذا فقد أقحم علماء الإسلام البيت الحرام لتبرير وجود الهاء أي أن هؤلاء «المترفين (الكفار)»، يفتخرون بالبيت الحرام الذين هم ولاته، والقائمون عليه[٥١]، إلا أن هذا الإقحام في غير محله، حيث لا يوجد في الآيات ما يفيد وجود البيت الحرام! وواقع الأمر أن في السياق إشارة للقرآن. سواءً في الآية السابقة: ‹قد كانت آياتي تتلى عليكم...›[٥٢]، أو في الآية اللاحقة: ‹أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ...›، والتي أجمع المفسرون على أنها تفيد «القرآن»[٥٣]. وحيث أنه من غير المعقول أن يتفاخر هؤلاء «الكفار» بالقرآن، فالأصح أن ‹به› تعود على ما بعدها ‹سمرًا›. وكون هؤلاء يكفرون بالقرآن، فمن الأرجح أن ‹به سمَّرًا›، هي في الأصل «به شمَّرًا»، أي «به كفروا»، أو«ضلوا عنه»، حيث أن جذر الكلمة بالكلدانية هو

---

٤٧. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣٨١.
٤٨. نفس المصدر.
٤٩. نفس المصدر.
٥٠. العكبري، إعراب القراءات الشواذ ٢: ١٦٣، إلا أن محقق العكبري قد ذكر في الحاشية رقم ٤ أنه لم يجد هذه القراءة في أي مصدر «بين يديه».
٥١. الرازي، تفسير ٢٣: ١١٢.
٥٢. الآية ٦٦.
٥٣. الطبري، تفسير ١٧: ٨٧، ابن كثير، تفسير ١٠: ١٣٤.

www.christianlib.com

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ
مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا
تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن
نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا
يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن
يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ
صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾

«شمر» ܫܡܪ، وتأتي بمعنى: «أغوى»، و«أضلَّ»[٥٤]. ليصبح معنى الآية: «ضلوا عنه (عن القرآن) وهجروه مستكبرين»، أو «به (بالقرآن) كفروا وهجروه مستكبرين».

٢٣:٩٦

في الآية أمر موجَّه إلى محمد وهو أن يتصرف بتسامح مع مناوئيه، وأن يصفح عن رفض المشركين، وأن يصبر على أذاهم[٥٥]، إلا أن ذلك قد تغير في اتجاه الأسلوب القتالي الذي أضحى المنهج المتبع، فنُسخت هذه الآية بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٥٦].

---

٥٤. منا، قاموس كلداني-عربي ٧٩٩.
٥٥. الطبري، تفسير ١٧: ١٠٤.
٥٦. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٦، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٦٧، شعلة، صفوة الراسخ ١٥٦.

www.christianlib.com

٩٧:٢٣

يقول المفسرون إن ‹هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ› تعني وساوسها وهمساتها[٥٧]، وإن محمداً أُمر أن يتعوذ من تأثيرها في حياته وقرارته[٥٨]. وتكشف هذه الآية خشية محمد من سلطة الشيطان.

٩٩:٢٣

في الآية إشكاليتان:

أولاً: ابتدأ الكلام بخطاب الله ‹قال ربِّ›، وفجأة صار الخطاب بالجمع ‹ارْجِعُونِ›. وقد وردت الكلمة بصيغة الجمع حفاظاً على القافية: ‹يَحْضُرُونِ› (٩٨)، ‹ارْجِعُونِ› (٩٩)، ‹يُبْعَثُونَ› (١٠٠)، ‹يَتَسَاءَلُونَ› (١٠١)، فضحَّت الآيةُ بصحة التركيب لحساب الوزن الشعري.

ثانياً: ثمة اختلاف فيمن يُراد بـ ‹ارْجِعُونِ›، فقالوا: (١) الخطاب لله بصيغة الجمع تعظيماً؛ (٢) إن هذه موجهة للملائكة؛ (٣) إن ‹ارْجِعُونِ› هي صيغة تكرير: «أي: ارجعني ارجعني»[٥٩].

إشكاليتان في آية واحدة، ومع ذلك، ما زال العلماء المسلمون يتمسكون بإعلان أن القرآن معجزة في البلاغة والبيان.

١٠١:٢٣

تقول الآية إنه في يوم الحساب لن يسأل الناس بعضهم بعضاً[٦٠]، بينما جاء في آيتين أخريين: ‹وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ›[٦١].

يعلق صاحب كتاب «**من غرائب آي التنزيل**» على التعارض بين الآية (١٠١) والقول ‹وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ›، بأن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، وفيه أحوال مختلفة، ففي بعضها يتساءلون، وفي بعضها لا ينطقون، كما سبق ورأينا[٦٢].

---

٥٧. القرطبي، تفسير ١٥: ٨٣.

٥٨. الطبري، تفسير ١٧: ١٠٦. انظر مسألة الأعراض التي كان يعاني منها محمد في مقال «جبريل محمد»، لا سيما الجزء الختامي من المقال، في المجلد الأول من هذا الكتاب.

٥٩. القرطبي، تفسير ١٥: ٨٥-٨٦. قارن مع الرازي، تفسير ٢٣: ١٢١.

٦٠. (المؤمنون ٢٣: ١٠١).

٦١. (الصافات ٣٧: ٢٧، الطور ٥٢: ٢٥).

٦٢. الرازي، غرائب آي التنزيل ٣٥٣. قارن: البغوي، تفسير ٥: ٤٢٩.

www.christianlib.com

لدينا أيضاً تأويل آخر أورده الطبري، يقول إن الناس لا يتساءلون في النفخة الأولى (يختلف علماء الإسلام في عدد النفخات، بعضهم يقول: إثنتان، وآخرون يقولون: ثلاث نفخات)، أما قول الآية: ‹وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ›، فيفيد أنه بعد دخول الجنة، يأتي الناس لسؤال بعضهم بعض[٦٣]. ولكن الآيات لا تدعم هذه الأقوال؛ إذْ لا يوجد من رابط بين هذه الآيات في القرآن، كما لا يخدمها السياق الذي أتت فيه.

٢٣:١٠١

- القراءة الشائعة: ‹فِي الصُّورِ›.
- وقرأ ابن عباس والحسن وابن عياض: «في الصُّوَرِ» بفتح الواو[٦٤].

ومعنى «الصور» بحسب علماء الإسلام هو كما يلي:

- قراءة العامة: الصور هو «قَرْن مِنْ نُور يُنْفَخ فِيهِ، النَّفْخَة الْأُولَى لِلْفَنَاءِ، وَالثَّانِيَة لِلْإِنْشَاءِ»[٦٥].
- قراءة ابن عباس: «الصُّوَرِ» جمع صورة[٦٦]؛ و‹صُوَرَكُمْ› (التغابن ٦٤: ٣)، أي «أَشْكَالَكُمْ»[٦٧].

أجمع فقهاء الإسلام على أن هذه الآية تتحدث عن يوم القيامة أو مجيء الساعة، وأن ملاكاً اسمه «إسرافيل» ينفخ مرتين: النفخة الأولى للفناء، والثانية للإنشاء[٦٨].

لقد خطّأ أبو الهيثم قراءة ابن عباس «الصُّوَرِ» (أي: جمع صورة)، ومن قرأ بها. حيث ذهب إلى القول أن هذا خطأ فاحش، وتحريف لكلمات الله عز وجل عن مواضعها، وأضاف أن من قرأ «ونُفِخَ في الصُّوَرِ» فقد افترى الكذب، وبدّل كتاب الله[٦٩].

وقد ذكر بعض علماء الإسلام على أن الملاك ينفخ في قرن من نور،[٧٠] رغم اعتراض قوم وإنكارهم أن يكون الصور قرناً[٧١]، إلا أن علماء الإسلام أخذوا بقول محمد على أن الصور هو

٦٣. الطبري، تفسير ١٧: ١١١.
٦٤. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣٨٨.
٦٥. القرطبي، تفسير ٨: ٤٣٠.
٦٦. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٣٨٨.
٦٧. ابن كثير، تفسير ١٤: ١٨.
٦٨. القرطبي، تفسير ٨: ٤٣٠.
٦٩ ابن منظور، لسان العرب ٢٥٢٤-٢٥٢٥.
٧٠. القرطبي، تفسير ٨: ٤٣٠.
٧١. ابن منظور، لسان العرب ٢٥٢٤.

www.christianlib.com

فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ
فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ
وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ
﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ
عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ
عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾
فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي
جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ
إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ
إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ
﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ
إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

قرن[٧٢]. وهذه الصورة هي صورة مستوحاة مما ورد في الأناجيل، قُبيلَ قيامة الأموات: «فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ.»[٧٣] ويبدو التأثير المسيحي واضحًا فيما ذهب إليه محمدٌ.

لذا، فقراءة ابن عباس، توافق سياق الآيات، كما أنها تعطي المعنى دون الحاجة إلى تأويل.

٧٢. الرازي، تفسير ٢٣: ١٢٢.

٧٣. ١ كورنثوس ١٥: ٥٢، قارن كذلك سفر الرؤيا الأصحاحات ٨-١١.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــة

تسمية السورة باسم «النور» معروف في عهد محمد، وقد استمدت هذا الاسم من الآية ٣٥: ‹اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ›. ويتفق علماء الإسلام على أن السورة مدنية (ابن عاشور ١٨: ١٣٩).

الجزء الأكثر أهمية في السورة هو موضوع عائشة، حينما اتُهمت بشرفها، فجاءت آيات تبرئ عائشة من كل اتهام لحق بها (الآيات ١١ ـ ٢٢)، وقد عرفت هذه القصة في المصادر التاريخية باسم «الإفك». وبهذا فإن تاريخ السورة يعود إلى السنة السادسة هجرية، ولكن يعتقد أن الآية ٦: ‹وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ› جاءت في شعبان سنة تسع هجرية. وهذا يعني أن السورة جاءت متفرقة على مسافة زمنية طويلة وأضيفت إليها آيات (ابن عاشور ١٨: ١٣٩ ـ ١٤٠).

الآيات ٣٥ ـ ٤٥، المبتدئة بـ: ‹اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ› يعتبرها نولدكه من أجمل المواضع في السور المدنية وأكثرها شعرية، حيث يجد فيها اختلافاً عن السورة (نولدكه، ١٩٠)، ولا يبتعد الحداد عن هذا التحليل، إذ يجد بدوره أن هذا الجزء مستقل بنفسه، وأنه يشكّل سورة مستقلة، مستدلاً على ذلك باختلاف الفاصلة (أطوار، ٨٤٦).

مواضيع السورة

إضافةً للموضوع الأبرز ألا وهو تبرئة عائشة من تهمة الزنا، فإن السورة تحتوي على جملة قواعد مثل: عقوبة الزنا (آية ٢)، والتعاطي مع تهم الزنا (٤ ـ ٩)، والحجاب (٣١).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ
تَذَكَّرُونَ ١ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ
وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ
ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً

٢٤: ٢

تتحدث هذه الآية عن عقوبة وحَدّ الزنا، وبدراسة هذه الآية يمكن ملاحظة مايلي:

أ. حدّ الزنا للمتزوج هو الرجم حتى الموت، ومُستَنَد هذه العقوبة هو آية الرجم التي تقول: «إذا زنى الشيخ والشيخةُ فارجموهما البتةَ نَكالاً من الله والله عزيز حكيم»[١]. وتقول رواية أخرى أن محمداً قرأ هذه الآية ذات مرة للمسلمين: «الشيخ والشيخة فارجموهما البتةَ بما قضيا من اللذة»[٢].

والسؤال: ما دام حكم الزنا سارياً، فلماذا اختفت هذه الآية من القرآن؟ كان يمكن تفسير إسقاطها من القرآن في حال نسخ الحكم، أما كون حكمها ساري المفعول في الشريعة الإسلامية، فهذا يشير إلى أن ثمة تفريطاً في جمع القرآن.

١. السيوطي، الإتقان ١٤٥٧.
٢. نفس المصدر ١٤٥٨.

www.christianlib.com

ب. بعد أن تحدد الآية عقوبة الزنا، تأمر أن يكون تنفيذها بحضور جمع من المسلمين: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. والطائفة، هي عدد يتراوح بين واحد وألف[٣]. ويختلف المفسرون في الحد الأدنى لمشاهدي عقوبة الزنا؛ بعضهم قال: على الأقل شاهدان، وقال آخرون: بل ثلاثة شهود، وقال آخرون: أربعة[٤].

إن هذه العقوبة المنفَّذة بحضور جمهور تهدف إلى جعل المسلم الفرد شريكاً في عملية العقاب. وهذه المشاركة لها تأثيرها في شخصية المرء، فمشاهدته للعقوبة تنشىء في نفسه حالتيْن من الشعور: شعور المشاركة مع الجماعة، وشعور التماثل مع الجلاد، مما يمنحه إحساساً بالقوة، مع اعتقاده أنه شريك في تنفيذ «العدل الإلهي» بإنزال العقاب على الضحية.

إضافة لذلك، يهدف العقاب أمام الجمهور إلى بث الخوف في الفرد وردعه، فإن فكَّر المسلم للحظة بأن يخرق القانون الإسلامي، فسيكون مستقبلاً في موقع الضحية الحالي. وهذا ما يبني إيماناً قائماً على الخوف.

وتهدف هذه الطريقة إلى جعل الجمهور مترابطاً، اعتماداً على مبدأ أن يكون جزءاً من القوة المُعَاقِبة وجزءاً من الآلة الضاربة، ولكنها تحوِّله في ذات الوقت إلى جمهور خائف من العقاب. وهذا ما يكشف أن القانون الإسلامي الأخلاقي، يعتمد مبدأ السيف حتى داخل المجتمع الإسلامي.

ج. تفسيراً لمسألة تقديم الزانية المرأة على الزاني الرجل، في آية: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾، طُرِح تبريرٌ يقول إن فعل الزنا يتولد من شدة الرغبة، وإن شهوة المرأة أقوى وأكثر اشتعالاً[٥]. ولكن هذا التبرير يعبِّر عن رؤيةٍ تشيطن المرأة، بجعلها سبب الزنا الأول والمحرِّض عليه. وقد عبّر محمد عن مبدأ شيطنة المرأة بقوله: إنّ النِّساءَ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ.

---

٣. الطبري، تفسير ١٧: ١٤٦.

٤. نفس المصدر ١٧: ١٤٧-١٤٩.

٥. الرازي، غرائب آي التنزيل ٣٥٤.

www.christianlib.com

أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ٣
وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ
جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا
الَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥

٢٤: ٤

تقول الآية إن كل شخص يطعن بأخلاق النساء العفيفات لا تُقبل منه أي شهادة فيما بعد. لكن هذا الحكم ألغي بالآية التالية: ‹إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ› (النور ٢٤: ٥)[٦].

٢٤: ٤-٥

يعلن النص أن من يَتّهم ‹الْمُحْصَنَاتِ› بدون تقديم البرهان على الاتهام، لهو من الفاسقين، ولكن الله سيغفر له في حال توبته. وهذا الإعلان يتعارض مع آية أخرى تقول بأن لا غفران لمن يتهم المحصنة بهتاناً: ‹إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ› (النور ٢٤: ٢٣).

ويقول المفسرون إن المقصود بآية (النور ٢٤: ٢٣) هو مَن لم يتراجع عن اتهاماته. وقال آخرون بأن الآية تقصد كل من اتهم عائشة ـ زوجة محمدٍ ـ بالزنا. وقال بعضهم إن كل من نال من سمعة نساء محمد، فله العذاب الأبدي[٧]. وليس ثمة، في منطوق الآيات، ما يدعم قول العلماء باختصاص الحالات. وبهذا يبقى التعارض بين الآيات بدون حلٍ.

---

٦. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٧.

٧. الطبري، تفسير ١٧: ٢٢٧-٢٢٩، القرطبي، تفسير ١٥: ١٨٢.

www.christianlib.com

عقوبة الزاني والزانية في الإسلام

يُحكَم على الزاني أوالزانية في الإسلام بالجلد أو بالرجم تبعاً لوضع الزاني؛ بكراً كان أم مُحْصَناً. تقول الآية ٢ من سورة النور: «الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ...وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ». ويقول ابن كثير في تفسيره إن « هَذِهِ الْآيَة الْكَرِيمَة فِيهَا حُكْم الزَّانِي فِي الْحَدّ»، وأوضح هذا الحكم كاتباً: «وَلِلْعُلَمَاءِ فِيهِ تَفْصِيل وَنِزَاع؛ فَإِنَّ الزَّانِيَ...إِمَّا أَنْ يَكُون بِكْرًا وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَتَزَوَّج، أَوْ مُحْصَنًا وَهُوَ الَّذِي قَدْ وَطِئَ فِي نِكَاح صَحِيح، وَهُوَ حُرّ بَالِغ عَاقِل». وعليه، «إِذَا كَانَ بِكْرًا لَمْ يَتَزَوَّج فَإِنَّ حَدّه جلد مِائَة، كَمَا فِي الْآيَة». ويزاد على ذلك أن «يغرب عاماً عن بلده عند جمهور العلماء»[١].

ويكون الجلد «علانية»، يحضره «طائفة من المؤمنين»، لأن «هذا فيه تنكيل للزانيين إذا جلدا بحضرة الناس؛... فإن في ذلك...توبيخاً وفضيحة إذا كان الناس حضوراً.»[٢]. أما المحصن فيقام عليه حد الرجم: «فَأَمَّا إِذَا كَانَ مُحْصَنًا وَهُوَ الَّذِي قَدْ وَطِئَ فِي نِكَاح صَحِيح وَهُوَ حُرّ بَالِغ عَاقِل فَإِنَّهُ يُرْجَم»[٣]. وهناك العديد من الأدلة والأحاديث والأقوال والمواقف التي تدعم هذا الواقع، فكتب ابن كثير:

> كَمَا قَالَ الْإِمَام مالك...عن اِبْن عَبَّاس أَنَّ عُمَر [بن الخطاب أنه]...قال: «...فكَانَ فِيمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ [على محمد] آيَة الرَّجْم، فَقَرَأْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا، وَرَجَمَ رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم وَرَجَمْنَا بَعْده، فَأَخْشَى أَنْ يَطُول بِالنَّاسِ زَمَان أَنْ يَقُول قَائِل: لَا نَجِد آيَة الرَّجْم فِي كِتَاب اللهِ؛ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَة قَدْ أَنْزَلَهَا الله، فَالرَّجْم فِي كِتَاب اللهِ حَق عَلَى() مَنْ زَنَى إِذَا أُحْصِنَ مِنْ الرِّجَال و() النِّسَاء، إِذَا قَامَتْ الْبَيِّنَة أَوْ الْحَبَل أَوْ الِاعْتِرَاف». أخرجاه في الصحيحين...[٤]

---

١. ابن كثير، تفسير ١٠ : ١٥٩.
٢. نفس المصدر ١٠ : ١٦٤.
٣. نفس المصدر ١٠ : ١٦٠
٤. نفس المصدر، الأقواس () في أصل المصدر.

www.christianlib.com

(يتبع)

وغير ذلك من الأحاديث متعددة الإسناد. وعلّق ابن كثير قائلاً، عَنْ زَيْد بْن ثَابِت بعد أن ذكر لها العديد من الرواة : «...هَذِهِ طُرُق كُلّهَا مُتَعَدِّدَة مُتَعَاضِدَة، وَدَالَّة عَلَى أَنَّ آيَة الرَّجْم كَانَتْ مَكْتُوبَة فَنُسِخَ تِلَاوَتهَا، وَبَقِيَ حُكْمهَا مَعْمُولًا بِهِ»[٥].

نص آية الرجم كالآتي: «الشَّيْخ وَالشَّيْخَة إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّة نَكَالًا مِنْ اللهِ وَاللهُ عَزِيز حَكِيم»[٦]. وروي أيضاً عن «أبي بن كعب قال: كانت سورة الأحزاب توازي سورة (البقرة) فكان فيها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما»»[٧]. وذهب بعض علماء الإسلام إلى أن هذه الآية كانت في سورة النور[٨].

وجدير بالذكر أيضاً أن الرجم هو الحكم النهائي للزاني والزانية المحصنة في الإسلام، والذي نَسَخ حكم آية (النساء ٤ : ١٥)؛ حيث كان الأمر مختلفاً في بداية الإسلام، وكان الحكم قاصراً على المرأة فقط، يقول ابن كثير: «كان الحكم في ابتداء الإسلام، أن المرأة إذا زنت فثبت زناها بالبينة العادلة، حبست في بيت، فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت، ولهذا قال: ‹وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ› يعني: الزنا ‹مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا› فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك»[٩]. وأكد ابن عباس هذه الحقيقة الإسلامية بقوله: «كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة النور، فنسخها بالجلد أو الرجم»[١٠]. وكما يتضح من الآية المنسوخة، كان هذا الحكم قاصرًا على المرأة دون الرجل، «وهو أمر متفق عليه»[١١]. وهكذا، فإن محمداً أوجد السبيل والمنفذ. فقد قال الإمام أحمد، عن عبادة بن الصامت، إن محمداً قد تعرض ذات مرة لما كان يفسره المحيطون بأنه أعراض نزول الوحي، من كرب وتربد للوجه وتأثيرات جسدية، «فلما سرى عنه قال: «خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً...الثيب جلد مائة ورجم

---

٥. ابن كثير، تفسير ١٠ : ١٦٢، وانظر الصفحات ١٦٠-١٦١.
٦. نفس المصدر ١١ : ١١١.
٧. نفس المصدر، في الهامش رقم ١، ملاحظة تقول: أخرجه أحمد...والنسائي والحاكم وغيرهم، انظر مقدمة الناسخ والمنسوخ في المجلد الأول من هذا الكتاب.
٨. الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٣٥١.
٩. ابن كثير، تفسير ٣ : ٣٨٤.
١٠. نفس المصدر.
١١. نفس المصدر، للمزيد من التفاصيل.

www.christianlib.com

(يتبع)

بالحجارة، والبكر جلد مائة ثم نفي سنة»[١٢]. وقد ذكر ابن كثير أن هذا الحديث قد رواه مسلم، وأصحاب السنن من طرق متعددة، كما قال الترمذي إن هذا حديث حسن صحيح[١٣].

وهناك حوادث واقعية ثبت فيها قيام محمد شخصياً بالرجم، مثل الموقف الذي حكم فيه محمد على أجير زنى مع زَوْجَة الرَّجُل الَّذِي اِسْتَأْجَرَه، بأن يجلد الشاب مائة جلدة، وحكم على المرأة بالرجم. وثبت في الصحيحين، عن أبي هريرة، أن محمداً علق قائلا: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى»[١٤]. وغير ذلك من حالات رجم فيها محمد زناةً بنفسه[١٥].

وُيذكر أيضاً أن بعض العلماء وأولي الأمر قد جمعوا بين عقوبة الجلد والرجم للزاني المحصن، استناداً إلى رأي الإمام أحمد وما سجله من أحاديث جاء فيها أنه:

> ... يَجب أَنْ يُجْمَع عَلَى الزَّانِي الْمُحْصَن بَيْن الْجَلْد لِلْآيَةِ وَالرَّجْم لِلسُّنَّةِ، كَمَا رُوِيَ عَنْ أمير المؤمنين عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب -رضي الله عنه- أنه لما أتى بشراحة، وكانت قد زنت وهي محصنة، فَجَلَدَهَا يَوْم الْخَمِيس وَرَجَمَهَا يَوْم الْجُمُعَة، ثم قَالَ: جَلَدْتهَا بِكِتَابِ اللهِ، وَرَجَمْتهَا بِسُنَّةِ رَسُول اللهِ...وقد رَوَى الْإِمَام أَحْمَد، وَمُسْلِم، وَأَهْل السُّنَن الْأَرْبَعَة...عَنْ عُبَادَة بْن الصَّامِت قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم: «خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ الله لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْر بِالْبِكْرِ جَلْد مِائَة وَتَغْرِيب سنة، وَالثَّيِّب بِالثَّيِّبِ جَلْد مِائَة وَالرَّجْم»[١٦].

كما أشار ابن كثير إلى أنه لا يجوز استعمال الرأفة في تطبيق الحكم، واستند في ذلك إلى شطر الآية القرآنية التي تقول: ﴿وَلَا تَأْخُذكُمْ بِهِمَا رَأْفَة فِي دِين اللهِ﴾[١٧].

فكأن تطبيق الحدود والأحكام، بما فيها المصيرية، يخضع لأهواء وميول أصحاب القرار أو أولي الأمر والحكم.

---

١٢. ابن كثير، تفسير ٣ : ٣٨٤.

١٣. انظر نفس المصدر ٣ : ٣٨٤-٣٨٥.

١٤. نفس المصدر ١٠ : ١٥٩-١٦٠.

١٥. نفس المصدر ١٠: ١٦٠، ١٦٢.

١٦. نفس المصدر ١٠ : ١٦٢.

١٧. نفس المصدر ١٠ : ١٦٣.

وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ
أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ
إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ
بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ٩ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ
١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ
خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ
مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ
بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ
فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣ وَلَوۡلَا فَضۡلُ
ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ

٢٤: ٦

تقول الآية إن كل رجل يتهم زوجته بارتكاب الفاحشة، وليس معه شهداء (شهود) على ذلك، فإنه يشهد أربع مرات أنه لصادق (أو يحلف أربع إيمان بالله – حسب اختلاف الآراء) أنه صادق، أي أن شهادته «تقوم مقام الشهداء الأربعة»[٨]. وقد قال ابن حزم إن هذه الآية نُسخت بالآيتين التاليتين: ‹وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِّ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ› (النور ٢٤: ٧)، و‹وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِّ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ› (النور ٢٤: ٩)[٩].

٨. الطبري، تفسير ١٧: ١٧٨.
٩. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٨.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

اللعان أو الملاعنة

إذا اتهم الزوج زوجته بالزنا بدون أن يأتي بأربعة شهود على وقوع الزنا لزمه الحد، وله التخلص منه بإقامة البينة أو باللعان.

واللعان أو الملاعنة: أن يبدأ الرجل فيشهد أربع شهادات بالله بدل الشهود الأربعة أنه من الصادقين فيما رماها به من الزنا ليدفع عن نفسه حدّ القذف، ثم يحلف مرة خامسة بأن يقول: لعنة الله عليّ إن كنت من الكاذبين. وبالنسبة للمرأة التي تريد أن تدرأ عن نفسها حد الزنا، عليها أن تقول أربع مرات بدل الشهود الأربعة أشهد بالله أنه من الكاذبين فيما رماني به من الزنا، ثم تقول في الخامسة: أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فيما رماها به من الزنا. ويحدث بينهما فرقة فلا يجتمعان أبداً ولا يتوارثان[١]. (النور ٢٤ : ٦ – ٩).

وقد اختلف الأئمة الأربعة : أبو حنيفة -مالك- الشافعي -ابن حنبل في تفاصيل أيمان الملاعنة بين الأزواج إذا كان أحدهما أخرس، وكذلك في مختلفي الديانة إذا كان أحدهما مسلماً، وفي وضع الزنا، وفي وضعهما الاجتماعي إذا كانت الزوجة أمة، غير حرة، وفي سن الزوجة إذا كانت أصغر من أن تحمل أو بلغت سن اليأس...» إلا أن القرطبي قد رجح أنه: «لا لعان بين الرجل وأمته....ولا يصح اللعان إلا من زوجين حرين مسلمين، ووجب ألا يلاعن إلا من تجوز شهادته»[٢].

١. الطبري، تفسير ١٧ : ١٧٧ ١٧٨، والزمخشري، الكشاف ٤ : ٢٧١، والقرطبي، تفسير ١٥ : ١٥٦.
٢. القرطبي، تفسير ١٥ : ١٤٥-١٥٠.

ولكن هذه الآيات وحدة متكاملة، لا مجال لأن تكون فيما بينها علاقة ناسخ ومنسوخ. إذْ تفيد الآية (٧) أن على الرجل أن يضيف على الشهادات الأربع إعلان لعنة (عبارة خامسة)، «يقول: إن لعنة اللهِ له واجبةٌ، وعليه حالةٌ، إن كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين»[١٠]. ولكن المرأة تستطيع أن تتفادي العقاب إن قدمت أربع شهادات، وشهادة خامسة تقول فيها إن لعنة الله تحل عليها إن كان الرجل صادقاً (النور ٢٤: ٨ ـ ٩).

١٠. الطبري، تفسير ١٧: ١٧٨.

www.christianlib.com

الإِفْكِ

نجد في الآية ١١ من سورة النور (٢٤) إشارة إلى أشخاص قاموا باختلاق اتهامات تنال من سمعة امرأة. ولا تحدد الآية هوية المرأة التي تعرضت لهذا الاتهام، ولا تذكر من هم الذين حاكوا تلك الأكاذيب. ويجد المرء في مصادر التفاسير الإسلامية روايتين متعارضتين لهذا الحدث: الرواية الأولى في المصادر السُنية، والثانية في المصادر الشيعية.

أولاً. الحدث بعيون سُنّيّة

تقول الرواية السنية إنه في سنة (٦ هـ/ ٦٢٨ م)، إبان عودة جيش المسلمين من غزوة بني المُصْطَلِق، لاح في الأفق البعيد رجلٌ يقود بعيراً وعليه امرأة، وسِرعان ما تبيّن القومُ أن المرأةَ الّتي أطلّت فجراً كانت عائشة ـ زوجة محمد ـ وأنها كانت تركب بعيرًا يقوده صفوانُ بنُ المُعَطّل.

كان الموقف مذهلاً لحد كبيرٍ، لأن عائشة كانت يجب أن تكون ضمن موكب المسلمين في هودجها، لا أن تأتي خلف الجيش برفقة أحد المقاتلين. وعلى ذلك انطلقت الألسنة تتساءل عن سبب تأخر عائشة، وسر مجيئها مع رجل آخر وراء الجيش. ولم يتردد عبد الله بن أُبي الذي كان يعَدّ زعيم المعارضين (المنافقين بالاصطلاح الإِسْلاَمِيّ)، لم يتردد في اغتنام الفرصة للنيل من مُحَمَّدٍ، فقال: «والله! ما نجت منه ولا نجا منها».[١] وفي عبارة أخرى «ما برئت منه وما برئ منها.»[٢]

وتعود الرّواية الرئيسية الواردة في مختلف المصادر الإِسْلاَمِيّة إلى عائشة الّتي تروي الحكاية بنفسها، فتقول إنه بينما كان مُحَمَّد وجنده يتهيأون لمتابعة المسير بعد استراحة الجيش، ذهبت عائشة لقضاء حاجتها، وفي عنقها عِقد. وأثناء عودتها اكتشفت أنها فقدت عقدها، فعادت من حيث أتت بحثاً عنه حتى وجدته. وفي غضون ذلك رحلَ مُحَمَّدٌ وجنده، ولم ينتبه الرّجال الّذين حملوا الهَوْدَجَ إلى أنّها ليست فيه لخفة وزنها (هكذا!).

وحينما رجعت عائشة - والرَّواية ما زالت لها - ولم تجد أحداً، تلفَّفت بجلبابها، واضطجعت في مكانها، على أمل أن يكتشف الجنود سريعاً غيابها فيرجعون إليها. فجاء صفوان بن المُعَطّل السُلَمي الذي تخلف هو نفسه عن المقاتلين لسبب ما، فلمّا أبصرها، جاءها، فعرفها، فانطلق سريعاً بها، سعياً منه لإدراك قوات مُحَمَّدٍ. ولم تصلْ عائشةُ ومنقذها إلاّ مع تباشير الصّباح.

---

١ الزمخشري، الكشاف ٤: ٢٧٢-٢٧٣؛ البغوي، تفسير ٢٤: ١١؛ القرطبي، تفسير ١٥: ١٦٥.

٢ الحلبي، السيرة الحلبية ٢: ٦٠٧.

www.christianlib.com

فكانت الفضيحة الّتي صارت حديث المدينة المستمر، فأشغلت النّاس في جلساتهم في كلِّ مكانٍ وزمانٍ.[٣] واستمرت الأقاويل على هذا المنوال لمدة شهر كامل، والناس لا تكف عن الحديث عنّها وعن صفوان.[٤] وفي غضون ذلك ألمّ بعائشة مرضٌ شديد، فطلبت عائشة من مُحَمَّد الإذن بالانتقال إلى بيت أبويها لتمريضها فيه. وانتقلت ولم يكن لها علم بأقوال الناس، كما تقول في روايتها. ومضت أيامٌ عديدة قبل أن تعرف عائشة قصة «الافتراء»، فانهارت، وصارت تبكي ليل نهار.[٥]

مُحَمَّدٌ يعيش الأزمة

وفي غضون ذلك، كان محمد في وضع دقيقٍ، لأنّ المسألة كانت تناله شخصياً، كما أنها أهدت أعداءه «المنافقين» سلاحاً خطيراً. وكانت هذه المسألة ذات حساسية مزدوجة:

على الصعيد الاجتماعي: أضرت الأقاويل عن عائشة مهابة محمدٍ الشخصية لحد كبير؛

على الصعيد الخاص: إن ثبتت التهمة على عائشة، فإن ذلك لن يمس مُحَمَّداً فحسب، بل ستمس أبا بكر أيضاً، بوصفه أبا عائشة، وبالتالي فإن الحركة الإسْلاَميّة ستصاب بضربة كبيرة عبر تشويه سمعة مؤسسها (محمد) ورجله الثاني (أبي بكر).

وإذْ آثر محمد التأني في اتخاذ القرار،[٦] فإنه قام باستشارة بعض الشخصيات، فظهر الانقسام في المواقف. فهو سمع ثناءً على عائشة من عمر.[٧] في حين لما ناقش محمد في اجتماع خاص عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد،[٨] كان موقف الاثنين متبايناً: فقد أثنى أسامة على عائشة، وقال إن هذه الأقاويل مجردُ أكاذيب باطلة، بينما غمز علي بن أبي طالب من قناة عائشة، وأشار على محمد أن يتخلى عنها قائلًا «إنّ النّساء لكثير». وفي تصرف يدل على ريبته بأخلاق عائشة، قام علي بضرب جارية لعائشة في بيت محمد لينتزع منها اعترافاً إن كانت عائشة قامت بشيء ما، ولكن الجارية نفت أي تهمة.[٩]

وكان عمر أسامة حوالي الـ ١٤ سنة تقريباً، ومن المفترض أن يستشير محمد زيداً ـ والد أسامة، الذي كان له مكانة خاصة كونه كان بمثابة ابنه، حتى أنه كان يدعى زيد بن محمد - لا أن يستشير الابن الصغير (أسامة)! ولهذا يمكننا أن نشكك في صحة استشارة محمد لأسامة، ولابد أن النقاش كان

---

٣ البخاري، صحيح البخاري ٤: ١٥١٧-١٥٢٤، كتاب «المغازي»، باب «حديث الإفك»، وقارن الزمخشري، الكشاف ٤: ٢٧٢.

٤ البخاري، صحيح البخاري ٤: ١٥١٨، كتاب «المغازي»، باب «حديث الإفك»

٥ نفس المصدر ٤: ١٥١٩.

٦ الرّصافي، كتاب الشخصية المحمدية ٣٧٣.

٧ الحلبي، السيرة الحلبية ٢: ٦١٣؛ العمادي، الدُّرُ المُستطّاب، ٨٥.

٨ الرّصافي، كتاب الشخصية المحمدية ٣٧٣.

٩ ابن هشام، سيرة ٢: ٣٠١.

www.christianlib.com

مقتصرًا فقط مع علي بن أبي طالب، الذي شهد بالسوء على سلوك عائشة، ولكن الرواية السنية خففت شهادة علي السلبية بإدخال اسم أسامة في دائرة النقاش.

وللمرء أن يتوقع أن قصة عائشة ـ صفوان صارت حديث كل بيت في المدينة، وأن هذه القصة كانت قد أضعفت مكانة المسلمين أمام «المنافقين». ولهذا أخذ محمد زمام المبادرة، فقام بإلقاء خطاب دافع فيه عن عائشة، وقال إن صفوان لهو شخص ليس محل اتهام:

«أيها الناس! ما بالُ رجالٍ يُؤذُنني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحقّ؟ والله ما علمتُ منهم إلاَّ خيراً. ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلاّ خيراً، وما يَدْخل بيتاً من بيوتي إلاّ وهو معي.»[١٠]

الْقُرْآن يبرّئ عائشة

كانت المسألة من الخطورة بحيث استلزم تدخل السّماء لإخراس الألسنة. فتوجه محمدٌ إلى بيت أبي بكرٍ، وهناك واجه محمدٌ عائشةً، قائلاً لها: «يا عائشة! إنّه قد كان ما قد بَلغك من قول الناس، فاتقي اللّهَ! وإنْ كنتِ قد قارفْتً سوءاً، مما يقول الناس، فتُوبي إلى الله! فإنّ الله يقبل التوبة عن عباده.»[١١]، لكن عائشة لم تجبْ على سؤاله، وشرعت بالبكاء.

وفي هذه اللحظة الحرجة غُشي على محمد وجاء الوحي.[١٢] وبعد أنْ صحا مُحمَّد من غشيته، أخبَر عائشةَ بنبإ نزول براءتها، تالياً عليها آيات من سورة النور (٢٤: ١١ ـ ٢٢). ومن أجل رد الاعتبار لسمعة البيت المحمَّدي، دان الْقُرْآن القائلين بالإفْك بالنص التالي:

<وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ، ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء؛ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً، وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً[١٣]>.

فكان هذا التلويح بالعقاب الشديد كفيلًا بإسكات الأقاويل على الملأ.

ثانياً. الموقف الشيعي

لاحقاً، قام الشيعة برفض الرواية السنية، من خلال تقديم قراءة مختلفة كلياً عن القراءة السنيّة. فإنْ كانت المصادر السنيّة مجمعة على أن قصة الإفْك تخص عائشة، وأن القرآن جاء ببراءتها، فإن الشيعة أكدوا صحة التهمة بحق عائشة ضمناً.[١٤]

---

١٠ ابن هشام، سيرة ٢: ٣٠٠؛ البغوي، تفسير ٢٤: ١١. صيغ الخطاب مختلفة حسب المصدر.

١١ ابن هشام، سيرة ٢: ٣٠١. التشديد لنا.

١٢ نفس المصدر ٢: ٣٠٢.

١٣ (النور ٢٤: ٤).

١٤ تجده في تفسير الطباطبائي، الميزان للآيات المتعلقة بالقضية.

www.christianlib.com

ويلاحظ على الرؤية الشيعية ما يلي:

- القول بأن آيات سورة النور لا تتعلق بعائشة، بل جاءت لتبرئة مارية القبطية من تهمة الزنى؛[١٥]
- تجرد المصادر الشيعية آيات البراءة عن قصة عائشة ـ صفوان، مما يجعل التهمة ثابتة بحق عائشة؛
- ربط عائشة بآيات البراءة، ولكن باعتبارها أحد مختلقي الإفك، فهي في المصادر الشيعية شاركت في نسج الأكاذيب بحق مارية؛
- عائشة الضحية في المصادر السنية، تصبح الجلادة في المصادر الشيعية؛
- ثمة اتجاه في الأدب الشيعي يأخذ موقفاً شديد السلبية من عائشة، نجد تتويجه في كتاب معنون: «الفاحشة: الوجه الآخر لعائشة»، تأليف ياسر الحبيب.

إنّ التفسير الشيعي لآيات البراءة موجود في صيغتين بخصوص مختلقي الإفك:

الصيغة الأولى ـ عائشة من تتهم:

تقول رواية إن تهمة الزنى كانت قد أطلقتها عائشة على مارية. فحينما حل بمُحَمَّدٍ الحزن على وفاة إبراهيم، قالت له عائشة: «ما الّذي يحزنك عليه؟ ما هو إلاّ ابن جُرَيْح». وجُرَيح هو خادم مارية الخاص. وتتابع الرواية أن محمداً أرسل عَليّ بن أَبي طَالبٍ لكي يقتل جُرَيْحاً، فلما وصل عليٌّ إليه، تسلق الخادم نخلةً، فصعد عليٌّ على إثره وإذ ذاك رأى عليٌّ «عورته فإذا ليس له ما للرجال، ولا له ما للنساء»، فانصرف إلى مُحَمَّد وأخبره، فظهر لمحمد بطلان الاتهام.[١٦]

الصيغة الثانية ـ مؤامرة جماعية:

أما الصيغة الثانية في المصادر الشيعية فتحكي[١٧]: أنه بعد أن صارت مارية في بيت محمد، وكان في خدمتها «خادم ممسوح، يُقال له جُرَيْح». ولما رأت بعض زوجات محمد أن قلب محمد هام بها، حسدنها، فقامت عائشة وحَفصَة مع أبَويْهما (أبي بكر وعمر) بترتيب مؤامرة للتخلص من مارية، مستغلين فرصة حمل مارية، فقام المتآمرون الأربعة (عائشة، حفصة، أبو بكر، عمر) باتهام مارية أنها على علاقة آثمة مع جُريْح. وكادت الخدعة تنطلي على محمد، إذْ أمر علي بن أبي طالب أن يذهب ويدقق في الأمر، فإن وجدهما يتغازلان، فعليه أن يقتلهما، إلاَّ أن علياً كشف خيوط المؤامرة، فاستبان لمحمد خيوط اللعبة، فأسقط بأيدي أبي بكر وعمر، وطلبا من محمد الصفح والغفران.

١٥ البحراني، البرهان ٥: ٣٦٩؛ الشيرازي، الأمثل ٩: ٣١.

١٦ نفس المصادر؛ وأيضًا الطهراني، تفسير ٧: ٤٠٦؛ الطباطبائي، الميزان ١٥: ١٠٦.

١٧ البحراني، البرهان ٥: ٣٧٠ ـ ٣٧٢.

www.christianlib.com

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ
لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾
يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ
ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ
وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ

٢٤: ١٥

تعددت قراءات هذه الكلمة إلى أكثر من إحدى عشرة قراءة[١١]:

قراءة الجمهور: ‹تَلَقَّوْنَهُ›، وأيضًا القراءات التالية: «تُلْقُوْنَهُ»، «تَلْقَوْنَهُ»، «تُلَقَّوْنَهُ»، «تَتَلَقَّوْنَه»، «تَلِقُونَهُ»، «تُلِيقُونَهُ»، «تَأْلِقُونَهُ»، «تِيْلِقُونَهُ»، «تِيلَقُونَهُ»، كما ذكر العكبري بعض القراءات منها: «تَلْقُوْنَه»، «تُلْقَوْنه»، «يَتَلَقَّوْنَه»، «تَلْفُونَه»، «تُلْفُونَه»[١٢]، وأضاف ابن جني قراءتين: «تَتَقَفَّوْنَهُ» و«تَثَقَّفُونَهُ»[١٣].

---

١١. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٣٧-٢٤٠.

١٢. نفس المصدر ٦: ٢٣٩-٢٤٠.

١٣. نفس المصدر ٦: ٢٤٠.

www.christianlib.com

إن وجود الكثير من القراءات المختلفة لكلمة ‹تَلَقَّوْنَهُ› هو نتيجة غموض واختلاف وتضارب واضح في مفهوم الآية. فهل بعد هذا الكم من القراءات يمكن القول ببلاغة وبيان النص القرآني؟

٢٤: ٢٢

أ. ‹وَلَا يَأْتَلِ›

- قراءة الجمهور: ‹وَلَا يَأْتَلِ›[١٤] بتحقيق الهمزة، وعن ابن عباس أن معناها «لا يقسم»[١٥].
- وقرأ ابن عياش بن ربيعة وآخرون: «وَلَا يَتَأَلَّ»، بمعنى لا يحلف[١٦].

ذكر النحاس في إعرابه «أن معنى القراءتين واحد، تقول: فلان يتكسّب ويكتسب»[١٧]. نلاحظ في القراءتين تقديم وتأخير في حرفيّ الألف والتاء إلا أن المعنى لا يتغير، لكن قراءة عبد الله بن عياش لا تُوافق رسم مصحف عثمان، مما يدل على أن القراء الأوائل كانوا يلتزمون في أغلب الأوقات بمعنى الكلمة لا برسمها، وهذا ظاهر في الكثير من القراءات التي قرأ بها ابن مسعود وأبيّ بن كعب.

ب. ‹أُولو الْفَضْلِ›

- قراءة الجماعة: ‹ أُولُو الْفَضْلِ منكم والسعة›.[١٨]
- وقرأ أبو جعفر والحسن وآخرون: «أُولُو العَقْلِ منكم والسعة»[١٩].

قراءة الجماعة رجحت الخطاب إلى أصحاب الإحسان والمعروف، أي أصحاب القدرة على المساعدة المادية. أما قراءة أبي جعفر فتخاطب أصحاب الحكمة والمعروف، أي أصحاب الحكمة، وأيضًا القدرة على المساعدة المادية. وبالنظر إلى سياق الآية، ولاسيما لوجود كلمة «السعة»، حيث إن الآية موجّهة إلى أبي بكر، كما تخبرنا الروايات الإسلامية، والذي كان في حالة غضب حين أقسم بالله أن لا يساعد ابن خالته الفقير، نظراً لأنه كان من بين من تكلموا بالإفك على عائشة ابنته

---

١٤. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٤٥.
١٥. نفس المصدر ٦: ٢٤٦.
١٦. نفس المصدر ٦: ٢٤٥.
١٧. نفس المصدر ٦: ٢٤٦. قارن: مع تعليق (الحج ٢٢:٢٧) كلمة ‹عَمِيقٍ› و ‹مَعِيقٍ›.
١٨. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٤٦
١٩. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٢٤٤، الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٤٦

www.christianlib.com

مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى
ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ
وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ
حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ
لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ

وزوج محمد[٢٠]. وفي كل الأحوال، فإن صفة الفضل لم تنتفِ عن أبي بكر، لتأتي الآية وتحفز هذه الميزة فيه، بل إن الموقف الذي تعرض له أبو بكر من غضب وحنق على قريبه، من جراء اتهامه لابنته، جعله يمتنع عن مساعدته، مما استلزم مخاطبة العقل أيضاً في هذا الموقف بالتحديد. وبالتالي تكون قراءة أبو جعفر والحسن هي الأرجح، وخصوصًا أن السياق يتطلب توافر الخصلتين، الحكمة والمقدرة على العطاء في المخاطب.

٢٠. الطبري، تفسير١٧: ٢٢٣.

www.christianlib.com

٢٤: ٢٥

- قراءة الجمهور: ‹يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ›[٢١]، بالنصب.
- وقرأ أُبيّ بن كعب وابن مسعود: «يُوَفِّيهِمُ اللهُ الحَقُّ دِينَهم»، وهي كذلك في مصحفهما، وكذا رآها جرير بن حازم في مصحف أُبيّ»[٢٢]. وذكر أيضًا ابن خالويه أنها قراءة عن محمد[٢٣].

في قراءة الجمهور ‹الْحَقَّ› بالنصب هو صفة لدين ‹الذين يرمون المحصنات›؛ أما في قراءة ابن كعب وابن مسعود، فـ «الحَقُّ» بالرفع هو صفة لله[٢٤]. ولما كان القرآن يشهد أن الله هو الحق في أكثر من آية، على سبيل المثال:

- ‹فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ...› (يونس ١٠: ٣٢)
- ‹ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ...› (الحج ٢٢: ٦)
- ‹ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ...› (لقمان ٣١: ٣٠)

فبالتالي تكون قراءة ابن مسعود أرجح من قراءة الجمهور، وخصوصًا أن ابن خالويه أثبت قراءتها عن محمد، وما يؤكد هذا القول وجودها كذلك في مصحف أُبيّ بن كعب.

٢٤: ٢٧

- قراءة الجماعة: ‹تَسْتَأْنِسُوا› بالهمزة[٢٥].
- وقرأ ورش والسوسي: «تَسْتَانِسُوا» بدون تهميز.[٢٦]
- وقرأ ابن عباس وابن مسعود وأبيّ بن كعب وآخرون: «تَسْتَأذنوا»[٢٧].
- وفي مصحف ابن مسعود: «تَسْتَأذنوا»[٢٨].

---

٢١. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٤٠٥.
٢٢. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٥١.
٢٣. نفس المصدر.
٢٤. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٤٠٥.
٢٥. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٥٢.
٢٦. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٢٤٦. والخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٥٢.
٢٧. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٢٤٦.
٢٨. ابن كثير، تفسير ١٠: ٢٠٧.

www.christianlib.com

وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ

أجمع أهل التأويل على أن كلمة «تستأنسوا» تعني «تستأذنوا»، فعن قتادة: ««حتى تستأنسوا». قال: حتى تستأذنوا وتُسلِّموا»[٢٩]. أفاد العالم اللغوي الفرَّاء، بأن ثمة تقديماً وتأخيراً في الكلام، فقال: «هذا مُقدَّم ومؤَخَّر، إنّما هو حتى تُسَلِّمُوا وَتَسْتَأْنُسوا: السَّلام عليكُمْ! أَأَدْخلُ»[٣٠]. وأضاف الفراء: «والاستئناس في كلام العرب النظر. يقال: اذهبْ فاسْتَأْنِسْ هل ترى أَحداً؟ فيكون معناه انظرْ من ترى في الدار»[٣١]. ويؤكد هذا المعنى ما جاء في الآية: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًاۖ﴾ (القصص ٢٨: ٢٩)، فأنس هنا تعني: رأى وأبصر. والاستئناس في الآية التي نحن بصددها يتطلب وجود أحد تراه ثم تسأله الدخول، أي تستأذنه، إذ لا يكفي أن تستأنس (ترى) أهل البيت، فكلمة تستأنسوا غير كافية للتعبير عن طلب الأذن بالدخول. ولهذا جاءت قراءة «تستأذنوا» عند أُبي بن كعب وابن مسعود، بل أيضًا في مصحفه، بالمعنى الحقيقي الذي يتطلبه سياق الآية.

وما يؤكد صحة هذه القراءة، شهادة ابن عباس، الذي هو محل تقدير المسلمين بكافة مذاهبهم، والتي تقول أن «تستأنسوا» قد دونت بشكل خاطيء، إذ كان ابن عباس يقرأ: «حتى

٢٩. الطبري، تفسير ١٧: ٢٤٢.
٣٠. ابن منظور، لسان العرب ١٥٠.
٣١. نفس المصدر.

www.christianlib.com

تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا». ويقول: «إنما هي خطأٌ من الكُتَّابِ»، موضحاً «إنما هي: (حتى تَستأذنوا)»[٣٢].

وشهادة ابن عباس ذات أهمية في البرهنة على وجود أخطاء في تحرير النص القرآني. الأمر الذي يثير التساؤل عن دقة ومهارة لجنة جمع القرآن، وكيفية تعاملها مع النص القرآني وتدوينه.

ورغم شهادة ابن عباس، وقراءة أُبيّ بن كعب وغيرهما، بالإضافة إلى مصحف ابن مسعود، إلا أن علماء الإسلام قد دافعوا عن سلامة مصحف عثمان[٣٣]، لكي لا يُنعت القرآن برمته بالتحريف. وقد رأينا ذات الموقف في ما ذكره ابن عباس كذلك في كلمة ‹وقضى› بآية (الإسراء ١٧:٢٣) عن أن أصلها «ووصى»، ويعلل ابن عباس قراءته بالقول: إن أصل الكلمة «ووصى» فالتصقت الواو بما بعدهما فصارت ‹وَقَضَى›[٣٤]، وفي رواية أخرى للطبري عن ابن عباس أنه كان يقرأ آية (الرعد ١٣: ٣١) «أفلم يتبين» بدلاً من قراءة المصحف ‹أَفَلَمْ يَيْأَس›، معلقاً عليها بقوله: «كتب الكاتب الآخر وهو ناعسٌ»[٣٥].

٢٤: ٣١

أ. ‹الطِّفْلِ›

- قراءة الجماعة: ‹الطِّفْلِ› بالإفراد[٣٦].
- وفي مصحف حفصة وأُبيّ بن كعب: «الأَطْفَالِ» بالجمع[٣٧].

اختيار المفرد المُعرَّف ‹الطِّفْلِ› للتعبير عن الجنس يجوز لُغويًا، إلا أننا نتساءل لماذا لم يحترم زيد بن ثابت رئيس لجنة جمع القرآن، حرفية مصحف حفصة الذي قام هو بجمعه[٣٨]، والذي وردت فيه كلمة «الأَطْفَالِ»؟ الأمر الذي يشكك في دقته وأمانته، وخصوصًا أن شخصًا في مكانة أُبيّ بن كعب قرأ كذلك «الأَطْفَالِ» بالجمع، مما يؤكد دون شك أن أصل الكلمة كانت كذلك.

والسؤال: ما العيب في وضع الكلمة بالجمع كما وردت في مصحف حفصة، وقراءة أُبيّ بن كعب؟

---

٣٢. الطبري، تفسير ١٧: ٢٤٠. قارن: الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٥٢.
٣٣. انظر «مقدمة في القراءات المختلفة للقرآن»، صفحة ١٨.
٣٤. الخطيب، معجم القراءات ٥: ٣٧. انظر قراءات (الإسراء ١٧: ٢٣)، صفحة ٢١٩.
٣٥. الطبري، تفسير ١٣: ٥٣٧. انظر التعليق على قراءات (الرعد ١٣: ٣١)، صفحة ١٤٥.
٣٦. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٥٨.
٣٧. نفس المصدر.
٣٨. انظر «جمع القرآن»، في المجلد الأول من هذا الكتاب.

www.christianlib.com

ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا
يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾
وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن
يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ
ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ
ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم
مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ
تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ
إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ

ب. ‹يُخْفِينَ›

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ›.
- قرأ ابن مسعود: «لِيُعْلَمَ مَا سُرَّ مِنْ زِينَتِهِنَّ»[٣٩].

أتت القراءتان بنفس المعنى، مما يدل على أن القراء الأوائل كان لهم حرية إختيار المرادفات التي يرونها مناسبة للسياق، دون الالتزام بحرفية النص، على العكس مما أصبح عليه الحال فيما بعد!

٣٩. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٢٤٩.

www.christianlib.com

ج. ‹أَيُّهَ›

- قراءة الجمهور: ‹أَيُّهَ›[٤٠].
- وقرأ ابن عامر: «أَيُّهُ»[٤١].
- وقرأ أبو جعفر ونافع وآخرون: «أَيُّهْ»[٤٢].
- وقرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب: «أَيُّها» بالألف[٤٣].

رسم المصحف لهذه الكلمة ‹أَيُّهَ›، جاءت في القرآن في ثلاث مواضع فقط، بينما ‹أَيُّهَا› بالألف وردت في أكثر من مائة موضع بالقرآن، وفيما يلي بعض الأمثلة:

[illegible]	الشاهد	أيهـــا	الشاهد
‹يَأَيُّهَ السَّاحِرُ›	الزخرف ٤٣: ٤٩	‹يَأَيُّهَا الرسول›	المائدة ٥: ٤١
‹أَيُّهَ الثَّقَلَانِ›	الرحمن ٥٥: ٣١	‹أَيُّهَا النَّاس›	النساء ٤: ١٣٣
‹أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ›	النور ٢٤: ٣١	‹أَيُّهَا المرسلون›	الذاريات ٥١: ٣١

من الواضح أن رسم المصحف كان سببًا في اختيار القراءة بـ ‹أَيُّه›، التي حاول المفسرون تبريرها على الشكل التالي:

القراءة بالضم «أَيُّهُ»: تبرير الرازي: «إنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف، فلما سقطت الألف لالتقاء الساكنين أتبعت حركتها حركة ما قبلها والله أعلم»[٤٤]، إلا أن بعضهم قد رأى أنها «قراءة شاذة لا وجه لها»[٤٥]، بل أن سيبويه قال عنها: «لا معنى لهذه القراءة»[٤٦].

٤٠. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٦٠.
٤١. نفس المصدر ٦: ٢٥٩. قارن: الزمخشري، الكشاف ٤: ٢٩٤، والرازي، تفسير ٢٣: ٢١١.
٤٢. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٦٠.
٤٣. نفس المصدر.
٤٤. الرازي، تفسير ٢٣: ٢١١.
٤٥. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٦٠.
٤٦. نفس المصدر.

www.christianlib.com

ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ
مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ
زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ
وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ
أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا
تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ

القراءة بالفتح ‹أَيُّهَ›: ذكر الخطيب أن قراءة الجمهور جاءت على فتح الهاء في الوصل؛ لأن بعدها ألفًا! ولكن ما يدحض هذا التبرير، هو وجود ‹أَيُّهَا› بالألف في مائة موضعٍ بالقرآن وينطبق عليها ما انطبق على الأمثلة الثلاثة تماماً! فلماذا استُثنيت هذه المواضع الثلاثة؟

٢٤: ٣٢

- قراءة الجماعة: ‹مِنۡ عِبَادِكُمۡ›[٤٧].
- وقرأ مجاهد والحسن: «مِنۡ عَبِيدِكُم»[٤٨].

سياق الآية يتحدث عن الرِّق في كلمة ‹إِمَائِكُمۡ› وكذا الإشارة إلى فقرهم وضعفهم؛ وكما رأينا فغالباً ما تُستعمَل كلمة «عَبِيد» للمملوكين و«عِبَاد» بمعنى المؤمنين المتقين[٤٩]. ولذا فقراءة مجاهد والحسن ‹عَبِيد› أكثر دقةً من قراءة الجماعة ‹عِبَاد› وأكثر إتساقاً مع المعنى المقصود.

٤٧. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٦١.
٤٨. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٤١٥.
٤٩. انظر التعليق على قراءات (الإسراء ١٧: ٥)، صفحة ٢١٤. قارن الحنفي، حاشية محي الدين شيخ زاده ٧: ٤٨٤.

www.christianlib.com

٢٤: ٣٥

أ. ‹اللهُ نُورُ›

- قراءة الجماعة: ‹اللهُ نُورُ...›، مبتدأ وخبر[٥٠].
- وقرأ علي بن أبي طالب وآخرون: «اللهُ نَوَّرَ»، فعلاً ماضياً[٥١].

قراءة الجماعة ‹اللهُ نُورُ› بمعنى أن الله هو النُّور. وقراءة علي بن أبي طالب ومن قرأ بقراءته: «اللهُ نَوَّرَ» بمعنى أن الله هو ذو النور؛ ولم يُجِز البيضاوي القول بأن الله هو النور إلا بتقديرٍ حيث قال: «لا يصح إطلاقه [النور] على الله تعالى إلا بتقدير مضاف كقولك: زيد كرم بمعنى ذو كرم أو على تجوُّز: إما بمعنى منوِّر السموات والأرض...أو مدبرهما...»[٥٢]؛ فالنور تدركه الأبصار أما الله حسب الآية ‹لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ›[٥٣]، لا تدركه الأبصار؛ وبالتالي تكون قراءة علي بن أبي طالب أرجح من قراءة الجماعة لتفادي التشبيه الذي يتناقض مع الآية القرآنية: ‹ليس كمثله شيء› (الشورى ٤٢: ١١).

ب. ‹مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ...›

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ...›.
- وقرأ أُبيّ بن كعب: «مَثَلُ نُورِ الْمُؤْمِنِ كَمِشْكَاةٍ...»[٥٤].
- وقرأ أُبيّ بن كعب: «مَثَلُ نُورِ الْمُؤْمِنِينَ كَمِشْكَاةٍ...»[٥٥].
- وروي عن أُبيّ قراءة ثالثة، وهي: «مَثَلُ نُورِ مَنْ آمَنَ بِهِ كَمِشْكَاةٍ...».[٥٦]
- ورابعة: «مَثَلُ نُورِ مَنْ أُنِيرَ بِهِ كَمِشْكَاةٍ...»[٥٧].

---

٥٠. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٦٤.
٥١. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٤١٨.
٥٢. الحنفي، حاشية محي الدين شيخ زاده ٦: ٢٢٢-٢٢٣.
٥٣. (الأنعام ٦:١٠٣).
٥٤. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٤١٨.
٥٥. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٢٥٢، الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٦٥.
٥٦. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٢٥٢، أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٤١٨.
٥٧. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٢٥٢، الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٦٥.

www.christianlib.com

يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا
وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي
بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا
فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا
لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ
صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٤١ وَلِلَّهِ
مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٤٢ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا
ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن
يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي
عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ
ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٥ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ
يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٦ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ
وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧ وَإِذَا
دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ وَإِن
يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ٤٩ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ

www.christianlib.com

قراءة الجماعة: ‹مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ› تُشَبِّهُ نُورَ اللهِ بنور المشكاة (المصباح)! وكما رأينا في الشق الأول من التعليق على هذه الآية، فقد استنكر البيضاوي القول بتشبيه الله بالنور إلا بتقديرٍ فقط[٥٨]. أما قراءة أُبّي بن كعب الأولى فتشبِّه نور المؤمن بنور المشكاة، وهذا يوافق منطق القرآن بأن الله ليس كمثله شيء (الشورى ٤٢:١١) ‹...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...›. يضاف إلى هذا أن محمدًا قال: «أصحابي [المُؤْمِنِينَ] كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[٥٩].

تعددت هنا قراءات أبي بن كعب، ورغم تعددها، إلا أنها كلها أفضل من القراءة الشائعة، ولكن من الملاحظ أنه عندما تكون قراءة أحد كبار الصحابة أقوى من القراءة الشائعة للقرآن، يتكرر ورود العديد من القراءات لنفس هذا الصحابي، كما هو الحال مع ابن مسعود، وفي هذه الآية مع أُبي بن كعب. والظاهر أن تعدد هذه القراءات ما هي إلا محاولة لإضعاف قراءة هذا الصحابي خدمةً للقراءة الشائعة. ورغم ذكرهم لهذه القراءات، فقد شكك محقق مختصر ابن خالويه، والخطيب في صحة بعضها[٦٠].

٢٤: ٤٥

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَربع›
- جاء في مصحف أُبيّ بن كعب «وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَكْثَر»[٦١].

حاول النَّقَّاش الدفاع عن القراءة الشائعة، والطعن في هذه الزيادة في الأرجل بقوله[٦٢]:

> إِنَّمَا اِكْتَفَى فِي الْقَوْل بِذِكْرِ مَا يَمْشِي عَلَى أَرْبَع عَنْ ذِكْر مَا يَمْشِي عَلَى أَكْثَر؛ لِأَنَّ جَمِيع الْحَيَوَان إِنَّمَا اِعْتِمَاده عَلَى أَرْبَع، وَهِيَ قِوَام مَشْيه، وَكَثْرَة الْأَرْجُل فِي بَعْضه زِيَادَة فِي خِلْقَته، لَا يَحْتَاج ذَلِكَ الْحَيَوَان فِي مَشْيه إِلَى جَمِيعهَا!

وقد ردّ عليه اِبْن عَطِيَّة بقوله: «وَالظَّاهِر أَنَّ تِلْكَ الْأَرْجُل الْكَثِيرَة لَيْسَتْ بَاطِلًا، بَلْ هِيَ مُحْتَاج إِلَيْهَا فِي تَنَقُّل الْحَيَوَان، وَهِيَ كُلّهَا تَتَحَرَّك فِي تَصَرُّفه»[٦٣].

---

٥٨. الحنفي، حاشية محيي الدين شيخ زاده ٦: ٢٢٢-٢٢٣.
٥٩. الرازي، تفسير ٢: ٥
٦٠. ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن ١٠٣، هامش ١٠. و الخطيب، معجم القراءات ٦: ٢٦٥.
٦١. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٤٢٨، والقرطبي، تفسير ١٥: ٣١٤.
٦٢. القرطبي، تفسير ١٥: ٣١٤.
٦٣. نفس المصدر.

www.christianlib.com

يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا
كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ
سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ
ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ
أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ
﴿٥٣﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم
مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا
ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم
مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ
لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ
وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ
لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ
عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ
ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٩﴾ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا
يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ

www.christianlib.com

فنرى أن اِبْن عَطِيَّة اختلف مع النَّقَّاش في أن الأرجل الزائدة على أربعة لَا تحتَاجها تلك الدابة فِي مَشْيها، فالقول بزيادتها دون الحاجة لذلك لهو طعن في حكمة الله، وكمال ودقة خلقه، وحاشا لله أن يعبث في خلقه، كما جاء في الآية: ‹أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا› (المؤمنون ٢٣:١١٥)، والآية التي نحن بصددها لا تذكر كلمة حيوان كما يريد أن يوهمنا النقاش، وإنما ذكرت الدابة، والدابة بحسب لسان العرب: «...كُلُّ ماشٍ على الأَرض: دابَّةٌ ودَبِيبٌ»[٦٤]، أي كل ما يمشي على الأرض.

قراءة أُبيّ بن كعب شملت كل دواب الأرض، ولذا فهي أدق وأشمل من القراءة الشائعة.

٢٤: ٥٤

في الآية خطاب للمسلمين يوضح أن مهمة محمد نقل رسالة الله، وأن عليهم تلقي الأوامر والقبول بها، فإن لم يفعلوا، فإنهم يعّرضون أنفسهم لسخط الله. وإن سمعوا، فالنفع أو الضرر يعود عليهم، وما محمد إلا مجرد هادٍ أو مبلغ[٦٥]. وهذا ما نُسخ بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٦٦].

على أن البعض يرى أنه لا تعارض بين الآيتين[٦٧]، فلكل آية مجال تطبيقي خاص بها.

٢٤: ٦٠

- قراءة الجماعة: ‹أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ›[٦٨].
- قَرَأَ أُبَيّ بن كعب وَابْن عَبَّاس: «أَنْ يَضَعْنَ مِنْ ثِيَابهنَّ»[٦٩]. قَالَ اِبْن عَبَّاس: وَهُوَ الْجِلْبَاب[٧٠].
- وَرُوِيَ عَنْ اِبْن مَسْعُود أنه قرأ: «أَنْ يَضَعْنَ مِنْ جَلَابِيبهنَّ»[٧١].

إن قراءة الجماعة مع سياق الآية: ‹فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ› فيها غموض لاستخدامها تعبير «يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ»، فهل يعني هذا ارتداء ملابس أكثر أم العكس؛ أي التخفيف من الملابس لحد عدم التبرج؟ ونحن نرجح هذا المعنى الأخير.

---

٦٤. ابن منظور، لسان العرب ١٣١٤.
٦٥. الزمخشري، الكشاف ٤: ٣١٦.
٦٦. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤١٠، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ٤٨، ابن سلامة، الناسخ والمنسوخ ٧٠، شعلة، صفوة الراسخ ١٥٧-١٥٨.
٦٧. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤١٠، شعلة، صفوة الراسخ ١٥٨.
٦٨. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٣٠٣.
٦٩. القرطبي، تفسير ١٥: ٣٤٠.
٧٠. نفس المصدر.
٧١. نفس المصدر.

www.christianlib.com

بِزِينَةٍۚ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ
حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن
تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ
إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ
بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ
لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا
فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦١ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ
شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٢
لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ
فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ
مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٦٤

أما قراءة ابن مسعود: «مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ» فتوضح أن نوع الثياب المقصود هو الجلباب، وليس كل الثياب. وبالتالي، فزيادة حرف الجر «مِنْ» في قراءتي ابن عباس وابن مسعود جعل الآية مفهومة وسلسة. فهل سقط هذا الحرف من الآية أثناء جمع مصحف عثمان؟

www.christianlib.com

٢٤: ٦٣

- قراءة الجمهور: ‹بَيْنَكُمْ›[٧٢].
- وقرأ الحسن ويعقوب: «نَبِيِّكُمْ» نعتاً بَدلاً من ‹بَيْنَكُمْ› ظرفًا[٧٣].

اختلفت قراءة الحسن عن قراءة الجمهور في المعنى رغم اتفاقها مع رسم المصحف ‹ىىكم›؛ وإذا أُسقِطت قراءة الجمهور ‹بَيْنَكُمْ›، فلن تؤثر على المعنى، بينما قراءة الحسن، على العكس، تقوي المعنى. وبمعنى آخر، أن محمد هو رسول، ونبي في ذات الوقت، فلابد أن يكون له نداء خاص. وهذا الاختلاف ناتج عن اختيار كل قارئ لما يراه مناسباً من تنقيط؛ مما يطعن في صحة القرآن وعصمته من التحريف.

٢٤: ٦٣

‹عَنْ› زائدة في المقطع: ‹فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ›. وليس من البيان في اللغة إدخال أحرف لا ضرورة لها؛ ولهذا قام بعض العلماء بتأويل النص، فقالوا:

- «وأُدخلت ‹عَنْ› لأن معنى الكلامِ: فليَحْذَرِ الذين يَلوذُون عن أمره، ويُدبرون عنه مُعرضِين»[٧٤]؛ «إن فيه إضماراً تقديره: فليحذر الذين يخالفون الله تعالى ويعرضون عن أمره»،
- أو أن فعل ‹يُخَالِفُونَ› يتضمن معنى «يعرضون»، ولهذا أضيف حرف «عن» المناسب لفعل «يعرض»[٧٥].

إن صحَ هذان التأويلان، فلمَ لم تأتِ الآية بدون هذا الحرف، وأراحت القارئ من وعورة التأويل؟

---

٧٢. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٣٠٩.
٧٣. نفس المصدر، وعمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٢٧٠.
٧٤. الطبري، تفسير ١٧: ٣٩٢.
٧٥. الرازي، غرائب آي التنزيل ٣٦١.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

مقدمـــــــة

اسم السورة كان معروفا في العهد المحمدي. وقد سميت هكذا لتكرار لفظة «الفرقان» في السورة ثلاث مرات (ابن عاشور ١٨: ٣١٣).

السورة مكية باتفاق العلماء المسلمين (ابن عاشور ١٨: ٣١٣). ويرى نولدكه أن الآيات التي تعدد صفات المؤمنين (٦٣ ـ ٧٧) «لا علاقة لها من حيث المضمون بما يسبقها، وهي تختلف عنها في الفاصلة»، مما يثير التساؤل حول ما إذا كانت هذه الآيات مدونة في موضعها الأصيل أم لا (نولدكه ١٢٠).

مواضيع السورة

الدفاع عن محمد في وجه اتهامات قريش له بأنه مدع، وأن قرآنه مجرد اقتباسات من قصص قديمة تعلمها من بعض الإخباريين (الآيات: ٤ ـ ٥)، بالإضافة إلى نفي القول بأنه شخص مسحور (٨). والرد الوحيد الذي أطلقه القرآن على هذه الاتهامات، هو التهديد بالغضب الإلهي على الكافرين، والتذكير بحال الأنبياء الآخرين (١٧ ـ ٢٣، ٣٥ ـ ٣٨). كما يوجد في السورة إنذار بعواقب عدم الإيمان بدعوة محمد (٢١ ـ ٢٣).

يرى «ويري» أن محاججة محمد ضد الوثنية كانت أكثر نجاحا من الدفاع عن دعوته النبوية. ويقول إن الآيات التي عددت الأسباب الداعية إلى عبادة الله بليغة (Wherry 3: 207).

www.christianlib.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ٱلَّذِي لَهُۥ
مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ

٢٥: ١

أ. ‹عَلَى عَبْدِهِ›

- قراءة الجمهور: ‹عَلَى عَبْدِهِ› بالإفراد[١].
- وقرأ ابن الزبير: «على عِبَادِهِ»، بصيغة الجمع[٢].
- وقرأ معاذ أبي حليمة وأبو نهيك: «على عَبِيدِهِ» بالجمع كذلك[٣].

كما رأينا في التعليق على قراءات (الإسراء ١٧: ٥) الفرق بين «عِبَادِهِ» و «عَبِيدِهِ»[٤]، حيث تأتي صفة «العبيد» في القرآن بمعنى: الناس عامة، والأشرار خاصة[٥]. وبالرجوع إلى سياق الآية التي نحن بصددها يتبين لنا أنها لا تتحدث عن الأشرار بل عن الأخيار، وبالتالي نستبعد قراءة أبي حليمة «عَلَى عَبِيدِهِ».

والمعروف أن رسم المصحف لا يجزم فيما يتعلق بالإفراد أو الجمع، إذ نادرًا ما تظهر ألف المد في وسط الكلمة؛ وبالتالي فكلتا القراءتين، أي الجمهور وابن الزبير، مقبولتان من هذه الجهة.

---

١. أبو حيان، تفسير البحر المحيط ٦: ٤٤٠.
٢. نفس المصدر.
٣. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٣١٥.
٤. انظر التعليق على (الإسراء ١٧: ٥)، صفحة ٢١٤.
٥. انظر (آل عمران ٣: ١٨٢، الأنفال ٨: ٥١، الحج ٢٢: ١٠، فصلت٤١: ٤٦، ق ٥٠: ٢٩).

www.christianlib.com

ويذهب جل المفسرين[٦] إلى أن ‹عَبْدِهِ› تعود على محمد، ولكن سياق الآية يثير الشك فيما ذهبوا إليه، نظرًا للمعطيات التالية:

- كلمة ‹الفرقان› دائمًا ما جاءت مقترنة بموسى وهارون، كما تدل عليه الآية: ‹ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان› (الأنبياء ٢١: ٤٨)، إذ أُطلقت لفظة «الفرقان» على كتب موسى (قارن البقرة ٢: ٥٣). حيث «قال مجاهد: يعني الكتاب. وقال أبو صالح: التوراة. وقال قتادة: التوراة»[٧]. هذا إذا كانت القراءة بالإفراد، أما إذا كانت القراءة بالجمع كما قرأ ابن الزبير، فتكون الإشارة إلى بني إسرائيل.
- كما وُصِف التوراة والإنجيل بالفرقان (آل عمران ٣: ٤). وجاء في القرآن أنه إن كان المرء يؤمن بالله فسوف يجعله له ‹فُرْقاناً› (الأنفال ٨: ٢٩). إن هذه التسميات تحيلنا إلى جذرها السامي؛ فالمفردة موجودة في الأدب الحبري **פרקן**، وهي تعني: إنقاذ، إعتاق[٨].
- ويتضح من سياق الآية ٢١ ‹وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا...› أن الحديث كان عن بني إسرائيل، حيث طلبوا من موسى أن يريهم الله جهرةً، كما ورد في الآية ‹وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ› (البقرة ٢: ٥٥)، وأيضًا في الآية ‹يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا› (النساء ٤: ١٥٣)، فليس هنالك مايدل على أن أهل قريش طلبوا من محمدٍ أن يروا الله جهرةً، بل كان أقصى ما طلبوه منه هو أن ‹يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا› (الإسراء ١٧: ١٥٣)

---

٦. على سبيل المثال: الطبري، تفسير ١٧: ٣٩٤، وابن كثير، تفسير ١٠: ٢٨٣.

٧. ابن كثير، تفسير ٩: ٤١٠.

8 Geiger: 41-42.

www.christianlib.com

○ إذا سلمنا بما ذهب إليه الفقهاء من أن ‹عبده› تعود على محمد، مستدلين على ذلك بكلمة ‹نزَّل›، إشارة إلى القرآن الذي نزل منجمًا على عكس الكتب السماوية الأخرى التي نزلت دفعة واحدة! وهذا ما أيده الرازي ذاكرًا أن المقصود هو «القرآن» في قوله: «نزل تدل على التفريق، وأما لفظة (أنزل) فتدل على الجمع»[٩]، وهو ما ذهب إليه ابن كثير في قوله: «لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة، والقرآن (نزل) منجمًا (مفرقًا)»[١٠]. لكن كيف يمكن القبول بهذه الحجة مع الآية ‹وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا **نُزِّلَ** عَلَيْهِ الْقُرْآنُ **جُمْلَةً وَاحِدَةً**› (الفرقان ٢٥: ٣٢)، فظاهر الآية يدل على أن ‹نُزِّل› أي: نزل جملة واحدة؛ بعكس ما ذهب إليه الرازي وابن كثير من استدلال على أن المقصود هو القرآن فقط. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، بما أن القرآن جاء على مراحل، وأنه من المناسب استعمال ‹نَزَّل› بصدده، فلماذا جاءت صيغة ‹أَنزَل› بخصوص القرآن في آية أخرى: ‹الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا› (سورة الكهف ١٨: ١)؟ وإذا قيل أنّ المقصود هو نزول القرآن دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، فهذا مردود عليه لأن العبارة تقول: ‹الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ [محمدٍ] الْكِتَابَ›.

والسؤال المطروح: من هو المقصود بهذا العبد الذي تشير إليه فاتحة سورة الفرقان؟

---

٩. الرازي، تفسير ٢٤: ٤٥.

١٠. ابن كثير، تفسير ١٠: ٢٨٣. انظر «إشكالية نَزَّلَ/أنزَلَ والخطأ التاريخي» المجلد الأول من هذا الكتاب.

www.christianlib.com

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ
شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ
عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ
ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى

٢٥: ٣

تقدم الآية محاجة عن سذاجة العبادات الوثنية، فتقول إن المشركين يؤمنون بآلهة. ولكن النص يسخر من هذه الآلهة، إذ يقول إن تلك المعبودات لا تخلق شيئاً، خلافاً للهِ الذي يخلق. ويذكر الرازي المغزى، فيقول: «أنها [أيْ: الأصنام] ليست خالقة للأشياء، والإله يجب أن يكون قادراً على الخلق والإيجاد»[١١]. ثم لاحظ أن الآية تدحض عبادة المشركين، لأنهم عبدوا ما لا يخلق شيئاً، «وذلك يدل على أن من خلق يستحق أن يعبد، فلو كان العبد خالقاً لكان معبوداً إلهاً»، ثم يضيف أحد العلماء توضيحاً هو أن اسم الخالق لا يُطلق إلا على اللهِ[١٢]. إذاً، الخلق هو الذي يحدد الإلوهية. والحجة المذكورة هنا، نجدها في آيات أخرى مثل (النحل ١٦: ١٧)[١٣].

وهذا التحديد يعيدنا إلى الإشكالية التي تطرقنا إليها في المجلد الأول من هذا الكتاب (آل عمران ٣: ٤٦، ٤٩)، حيث تتحدث الآية عن خلق المسيح طائراً من الطين. ومثل هذه الحجج تنهض دليلاً على تناقض الفكر القرآني في هوية المسيح. فإذا كان المسيح نبياً بدرجة أدنى من محمد، بحسب هذا الفكر، فكيف له أن يتمتع بقدرة الخلق، وهي صفة خاصة باللهِ وحده؟!

١١. الرازي، تفسير ٢٤: ٤٨.
١٢. نفس المصدر.
١٣. قارن: (النحل ١٦: ٢٠، الأعراف ٧: ١٩١).

www.christianlib.com

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ
يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ
نَذِيرًا ٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ
إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ
فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٩ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ١٠ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ
وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ١١ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا
تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ١٢ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣
لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ١٤ قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ
ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ١٥ لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ
خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ١٦ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ١٧ قَالُواْ
سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ
وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ١٨ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا
تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ١٩ وَمَآ
أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ
وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

www.christianlib.com

٢٥:٨

- القراءة الشائعة للقرآن: ‹يَأْكُلُ›.
- وقرأ حمزة وآخرون: «نَأكُلُ»[١٤]. أي أن هذه الجنة هي للكل نفع ورزق[١٥]، باعتبارها كانت نافعة للقوم الذين حدثت بينهم وفيهم. وهذه القراءة توافق رسم المصحف.

لا زال علماء الإسلام متمسكين برأيهم في أن الإشارة هاهنا إلى محمد، وهو ما تخبرنا عنه الآية ‹يَأْكُلُ الطعام›، أي أن محمد وحده ‹يَأْكُلُ الطعام› من الجنة التي نُزِّلَت عليه. إلا أن كلمة أنزله في الآية السادسة ‹قل **أنزله** الذي يعلم السر›، تتعارض مع ما ذهب إليه المفسرون في أن «نَزَّلَ تدل على التفريق، وأما لفظة (أنزل) فتدل على الجمع»[١٦]، لمحاولة إثبات أن الفرقان هو القرآن. وإن قال قائل أن القرآن أنزل دفعة واحدة إلى السماء الأولى، فنحيله إلى (الكهف ١٨: ١) ‹الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا›. أي: ‹الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ [محمدٍ] الْكِتَابَ›[١٧].

إذا سلمنا أن المقصود هو محمد كما هو في جل التفاسير الإسلامية، فإن أهل قريش طلبوا منه أن ينزِّل عليهم جنة لإثبات نبوته، وتكون هذه الجنة برهاناً على صدقه، قياساً على ما سبق من معجزات قام بها الرسل الأوائل من قبله، مما يطمئن قلوب أتباعه.

قراءة حمزة ومن قرأ بقراءته توافق مافعله الرسل من قبل، فنجاة بني إسرائيل من بطش فرعون عن طريق شق البحر، كان في صالح أتباع موسى، وكذلك نزول المَنِّ والسلوى من السماء لم يكن على موسى وحده، وإنما على جميع بني إسرائيل. وأيضًا معجزات المسيح بإحياء الموتى وشفاء المرضى، كانت في صالح قومه. وعليه، فنرجح قراءة حمزة التي تتناسب مع طلب أهل مكة من محمد إجراء معجزة كالرسل الذين سبقوه، فيصبح معنى الآية: «نَأْكُلُ الطعام» من الجنة التي نُزِّلَت عليه، إذا كان بالحق رسولاً من عند الله.

---

١٤. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٢٧٥.
١٥. قارن: الزمخشري، الكشاف ٤: ٣٣٤.
١٦. الرازي، تفسير ٢٤: ٤٥. قارن: ابن كثير، تفسير ١٠: ٢٨٣.
١٧. انظر «إشكالية نَزَّلَ/أنزَلَ والخطأ التاريخي» في المجلد الأول من هذا الكتاب.

www.christianlib.com

لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ
فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٢٢ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ
عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا
وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ٢٤ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا
٢٥ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ٢٦
وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا
٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ
إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ
قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا
مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا
نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ
تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣
ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا
٣٤ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ٣٥
فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ٣٦

www.christianlib.com

٢٥: ٢١

حُذفت الألف من ‹عَتَوْ› خلافاً للقاعدة الإملائية. (انظر التعليق على قراءات (يونس ١٠: ٣٠)، ، صفحة ٥٣، وجدول نماذج إشكالية الألف الناقصة بعد واو الجماعة في المخطوطات القديمة للقرآن، ، صفحة ٥٥. وعلى النقيض، فالقرآن يحتوي على كلمات أضيف إليها حرف الألف بالخطأ، انظر نماذج إشكالية الألف الزائدة بعد الواو في المخطوطات القديمة للقرآن، ، صفحة ٥٤).

٢٥: ٢٥

يقصد بالآية يوم تشقق السماء «عن الغمام». وقد قال الفراء ذلك، شارحاً أن «السماء لا تتشقق بالغمام بل عن الغمام»[١٨]. وقد جاء في الطبري أن «الباء» جُعلت مكان «عن»[١٩]. فكيف للقرآن، الكتاب «السماوي»، أن يخلط بين حروف الجر؟!

٢٥: ٢٥

«قراءة الجمهور ‹وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ›»[٢٠]، وقد ذُكرت أكثر من عشر قراءات كذلك، وهي: «وَنُنْزِلُ»، «وَنَزَّلَ»، «أَنْزَلَ»، «وَأُنْزِلَ»، «وَنَزَلَ»، «وَتَنَزَّلُ»، «وَنُزِّلُ»، «وَنُنَزِّلُ»، «وَتَنَزَّلَت»، «وَنُزِّلَت»، «وَنُزِلَ»[٢١].

ونتساءل: سواء اختلف المعنى أو لم يختلف، فهل حقيقة وجود هذه القراءات العديدة، وكلها، حسب مقرئيها، مروية عن محمد نفسه، تعني أن محمداً كان يروي لكل مقرئ قراءة تخصه وتخص من قرأ بقراءته؟ أم أن جبرائيل كان يقرأ كل هذه القراءات على محمد؟ أم أن صعوبة النص القرآني وغموضه هو ما استدعى كل هذه القراءات؟

٢٥: ٣٠

قرأ ابن كثير: «الْقُرَانَ» بدلًا من ‹القرءان›. انظر التعليق على (الحجر ١٥: ١) ، صفحة ١٦٤.

---

١٨. الرازي، تفسير ٢٤: ٧٤.

١٩. الطبري، تفسير ١٧: ٤٣٦.

٢٠. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٣٤٠-٣٤١.

٢١. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٢٨١-٢٨٣، الخطيب، معجم القراءات ٦: ٣٤٠-٣٤٤.

www.christianlib.com

وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا
لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٣٧ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ
ذَٰلِكَ كَثِيرٗا ٣٨ وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَۖ وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا ٣٩ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ
عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ كَانُواْ
لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا ٤٠ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي
بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا

٢٥:٣٧

تقول الآية إن قوم نوح ‹كَذَّبُوا الرُّسُلَ› بصيغة الجمع، بدلاً من المفرد، على الرغم من أن الآية تتحدث عن تكذيب قوم نوح له. وهذه المفردة أوجدت مشكلة، حاول الشارحون حلها بتقديم الاحتمالات التالية: (١) إن قوم نوح كانوا من البراهمة الذين يرفضون كل الرسل، أو (٢) إن تكذيب القوم لنوح يعني تكذيباً لجميع الرسل. فمن يكذب واحداً، يكذب الكل، أو (٣) أن صيغة الجمع في «رُسل» كان يُقصد بها نوح، وأن هذا مثل قول البعض: «فلان يركب الأفراس»[٢٢].

هذا ما قدمه المفسرون في مسعاهم لتفسير صيغة الجمع، في حل لا ينسجم مع سياق الآية. ولكن لدى تحليل الآيتين السابقتين، أي (٣٥ و٣٦) نجد أنهما تتحدثان عن موسى وهارون. والقرآن، على إثر التوراة، يخبرنا بأن أعداء دعوة موسى انتهى بهم المطاف إلى الغرق. والآية (٣٧)

---

٢٢. الرازي، تفسير ٢٤: ٨١.

www.christianlib.com

تشير إلى غرق قوم نوح. ومن هنا، فالقاسم المشترك بين موسى وهارون ونوح هو غرق أعداء دعوتهم. فإن كان هذا الاحتمال في مكانه، فلعل الرابط هو ضمير: «هم»، ليكون لدينا النص على الشكل التالي: «فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً ، **هُمْ** وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً».

٢٥:٣٨

تورد الآية ذكر ‹أَصْحَابَ الرَّسِّ›، والرَس، نسبة لبئر يُسمّى الرَّس[٢٣]. واختلف المفسرون في هوية ‹أَصْحَابَ الرَّسِّ› على أقوال:

- أهل قرية من ثمود[٢٤].
- أهل قرية من اليمامة[٢٥].
- «هم قوم بأذربيجان، قتلوا أنبياء، فجفت أشجارهم وزروعهم، فماتوا جوعا وعطشا»[٢٦].
- قال آخرون إن الرس بئر بأنطاكية، قتل أهلها حبيبًا النجار، وهو أحد مؤمني قوم آل «يس»[٢٧].
- «وقيل: هم أصحاب الأخدود»[٢٨].

احتار المفسرون في شأن ‹أَصْحَابَ الرَّسِّ›، حتى أن القول الأول الذي يفيد بأنهم من ثمود، لم يلحظ أن الآية ذكرت ‹وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ›، كما لو أن الآية تقول: «وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ ثمود». ولا يوجد في المصادر التاريخية ذكر لأصحاب الرّس. ويبدو أن ذكرهم جاء في سياق إنشائي بلاغي، وليس استناداً إلى أخبار تاريخية أو قصص شفوية سائدة. وهذا ما أدى بالمفسرين إلى تقديم آراء لا تدعمها مستندات تاريخية.

---

٢٣. الطبري، تفسير ١٧: ٤٥٢.
٢٤. نفس المصدر.
٢٥. نفس المصدر.
٢٦. القرطبي، تفسير ١٥: ٤١٢. «رواية عن ابن عباس».
٢٧. نفس المصدر ١٥: ٤١١.
٢٨. نفس المصدر ١٥: ٤١٣.

عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾
أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمۡ
تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ
أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا
ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ
طَهُورٗا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ
كَثِيرٗا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٥٠﴾
وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ
جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾ ۞وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا

٤٣:٢٥

أن يحب المرء الإله إلى درجة الهوى هو أمر مستحب. لكن الآية لا تقصد ذلك. بل تقصد القول: «من اتخذَ هواهُ إلهه»[٢٩]. وقد سعى أحد المفسرين إلى توضيح العبارة، فقال إن المعنى: «أرأيت من اتخذ إلهه بهواه، فحذف الجار»[٣٠].

فلِمَ حُذف حرف الجر وأُربك القارئ؟

٢٩. الحريري، عالم المعجزات ٢٢٠.

٣٠. القرطبي، تفسير ١٥: ٤١٧.

www.christianlib.com

٢٥: ٤٣

تسأل الآية إذا ما كان محمد وكيلاً على «من اتَّخذ إلهه شهوتَه التي يهواها»[٣١]. وفي شأن نسخها لدينا قولان:

القول الأول: **إنها منسوخة**

قال بعض العلماء إنها منسوخة بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٣٢].

القول الثاني: **إنها غير منسوخة**

يقول أصحاب هذا القول إن الآية تخاطب محمداً وتقول له، هل أنت تحول بين المرء وبين أن يتبع هواه، وبالتالي لا نسخ هنا[٣٣].

هذه الفكرة موجودة في (هود ١١: ١٢)، و(الإسراء ١٧: ٥٤).

٢٥: ٤٤

تشبّه الآية الكافرين بأنهم مثل الأنعام. ويوضح الطبري بالقول: «ما هم إلا كالبهائم التي لا تعقل ما يقالُ لها ولا تفقه»[٣٤]. ومن جانب آخر، لدينا آية تقول إن كل شيء يسبح بحمد الله: ‹تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ› (الإسراء ١٧: ٤٤).

الإشكالية هنا هي أن النص يشبّه المشركين بالأنعام، لا من جهة التفكير والعقل، بل من جهة الإيمان. وبالتالي، فنحن أمام تشبيه مغلوط ضمن المنطق القرآني. فما دام كل شيء في الأرض يسبح، لكن البشر لا يفهمون هذا التسبيح، فكيف يوصف المشركون بالبهائم التي تُسبح.

٢٥: ٤٨

انظر التعليق على ‹الرِّيَاحَ بُشْرًا› في (الأعراف ٧: ٥٧) بالمجلد الأول من هذا الكتاب.

٣١. الطبري، تفسير ١٧: ٤٥٩.

٣٢. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤١٤، شعلة، صفوة الراسخ ١٥٩.

٣٣. نفس المصادر.

٣٤. الطبري، تفسير ١٧: ٤٦٠.

www.christianlib.com

مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ
ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ﴿٥٤﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ﴿٥٥﴾ وَمَآ
أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن
شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ
بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ
بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ
لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ

٢٥:٦١

- قراءة الجماعة: ‹بُرُوجًا›[٣٥].
- وقرأ ابن مسعود: «قُصُوراً»[٣٦].

إذا كان المقصود بقراءة الجماعة المعنى الحديث الذي ذهب إليه مرجع الجلالين (القرن الخامس عشر الميلادي): «﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا﴾ اثْنَيْ عَشَر: الْحَمَل وَالثَّوْر وَالْجَوْزَاء وَالسَّرَطَان وَالْأَسَد، وَالسُّنْبُلَة وَالْمِيزَان وَالْعَقْرَب وَالْقَوْس وَالْجَدْي وَالدَّلْو وَالْحُوت»[٣٧]، فهي قراءة مقبولة.

---

٣٥. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٣٧١.

٣٦. نفس المصدر.

٣٧. الجلالين، تفسير ٣٦٥.

www.christianlib.com

إلا أن هذا الشرح لا يوافق ما ذكره قدماء المفسرين. وعلى سبيل المثال فقد فسر الطبري معنى «بُرُوج» بالقصور، وذكر أيضاً قول أبي صالح بأن معناها النجوم الكبار، وقول مجاهد: الكواكب، وقول قتادة: النجوم. إلا أن الطبري يعود ويتبنى قول أبي جعفر بأن البروج هي «قصور في السماء؛ لأن ذلك في كلام العرب»[٣٨]، وقد ذكر آية (النساء ٤:٧٨) ‹أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ...› لتدعيم رأيه[٣٩].

وعلى الرغم من وجود بعض التفاسير التي تقول بأن معنى البروج هو النجوم والكواكب، إلا أن الغالبية ترى أنها مبانٍ مشيدة على شكل قصور. فلو كان هذا الأمر يخص الجنة، لكان هذا التفسير مقبولاً في عصرنا الحاضر. لكن فقهاء الإسلام اعتمدوا في شرحهم على ما جاء في القرآن، ووفقًا للإعتقاد العام لما يتصوره العرب، كما اتضح من قول أبي جعفر. والقرآن يخبرنا أيضًا بأنه يوجد بيت إسمه ‹البيت المعمور› (الطور ٥٢:٤) دون أن يحدد ماهية هذا البيت، أو يخبرنا أين هو! مما جعل المفسرين يجمعون على أن هذا البيت موجود في السماء. وذكر القرطبي قول علي وابن عباس: «هُوَ بَيْت فِي السَّمَاء حِيَال الْكَعْبَة، يَدْخُلهُ كُلّ يَوْم سَبْعُونَ أَلْف مَلَك»[٤٠].

فمن الواضح أن أوائلَ المفسرين المسلمين عرّفوا «البروجَ» كبُنًى ماديةٍ فخمةٍ في أجواءِ السماءِ. وهو وصفٌ عَكَسَ بشكلٍ غيرِ مستغربٍ معتقداتِ العرب حولَ الفَلَكِ أثناءَ القرنِ السابعِ الميلاديِّ. غيرَ أن قراءةَ الأغلبيةِ تحدّدُ البروجَ على أنها علاماتٌ فلكيّةٌ في السماوياتِ. ويقدّمُ مثلُ هذا التحديد أو التعريف فهمًا أكثرَ حداثة وعلميّة للفَلَكِ، ويمثّلُ دليلًا على تَغيُّرِ معنى الكلماتِ في القرآنِ معَ مرِّ العصورِ.

ونتسائل: (١) لماذا تَغيَّرَ معنى كلمةِ «بروج»، من «قصور» إلى «علاماتٍ فلكيةٍ»، مع مرِّ القرونِ؟؛ (٢) وهل يعكس هذا التغيُّر تطوّرًا لُغويًّا طبيعيًّا، أم أنه يمثّل محاولةً من المترجمين المسلمين لتحديثِ النصّ القرآنيّ ليتماشى على نحوٍ أفضل مع التقدمِ العلميِّ والمعرفةِ الحديثةِ؟

---

٣٨. الطبري، تفسير ١٧ : ٤٨٤.

٣٩. نفس المصدر ١٧ :٤٨٣-٤٨٤.

٤٠. القرطبي، تفسير ١٩: ٥١٤-٥١٥.

www.christianlib.com

فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن
يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا
خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾
وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾
إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟
وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾
يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ

٢٥:٦٣

تقول الآية إن صفة عابد الرحمن هي أن يرد على خطاب الجاهلين بالقول الحكيم، الذي يعبر عن الحلم. واختُلف في ما إذا كانت الآية منسوخة أم لا:

القول الأول: **إنها منسوخة**

(١) قال فريق إنها منسوخة بآية السيف (التوبة ٩: ٥)[٤١].

(٢) وذهب فريق ثانٍ إلى أنها نُسخت بمجمل الآيات التي تأمر بالقتال[٤٢].

القول الثاني: **إنها محكمة**

---

٤١. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤١٤-٤١٥، ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٩.

٤٢. مكي، الإيضاح ٣٧١.

www.christianlib.com

يرفض ابن الجوزي نسخ الآية، لأنه يرى أن معناها هو وجوب الرد السديد على الجاهل. وهذا لا يتعارض مع مبدأ القتال[٤٣].

٢٥:٦٨

- قراءة الجمهور: ‹أَثَامًا›[٤٤] بمعنى خطايا وذنوب.
- وقرأ ابن مسعود: «أَيَامًا»[٤٥].
- وقرأ ابن زيد وقتادة: «عِقَاباً»[٤٦].

إن الشرك وقتل النفس والزنا، كلها خطايا وذنوب وكبائر. فكيف تكون عاقبتها آثاماً؟ فإذا تمعّنا في قراءة ابن مسعود ‹أَيَامًا› نجدها تهديداً بأيامٍ عسيرة. أما قراءة ابن زيد وقتادة ‹عِقَاباً› فهي أكثر وضوحاً، إلا أنها لا توافق رسم المصحف كقراءة ابن مسعود. وعليه، تكون قراءة بن مسعود أكثر واقعية وأقرب للمعنى وتوافق السياق.

والواقع أن هناك فرقًا شاسعًا بين معنى ‹أَثَام›، و«أيام»، و«عقاب»؛ فاختلاف معنى القراءات يطعن في صحة ووحدانية النص القرآني.

---

٤٣. ابن الجوزي، نواسخ القرآن ٤١٥.
٤٤. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٣٧٩.
٤٥. الزمخشري، الكشاف ٤: ٣٧٢.
٤٦. عمر ومكرم، معجم القراءات ٤: ٢٩٥.

www.christianlib.com

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾
وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا
ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ
حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْۖ فَقَدْ
كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

٢٥:٧٤

أ. ‹قُرَّةَ›

- قراءة الجماعة: ‹قُرَّةَ› بالإفراد[٤٧].
- وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة: «قُرَّاتَ» على الجمع[٤٨].

ب. ‹وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا›

- قراءة الجماعة: ‹وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا›[٤٩].
- وقرأ جعفر بن محمد: «وَاجْعَلْ لَنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ إِمَامًا»[٥٠].

وردت الآية بصيغة الجمع ‹الَّذِينَ...› إلى نهايتها. فكيف تكون الجماعة إماماً بالإفراد؟ فالمفروض أن تكون «أئمة» بالجمع.

٤٧. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٣٨٦.
٤٨. ابن الجوزي، زاد المسير ٦: ١١١.
٤٩. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٣٨٧.
٥٠. نفس المصدر.

www.christianlib.com

فنرى أن قراءة جعفر بن محمد: «وَاجْعَلْ لَنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ إِمَامًا»، قد أزالت هذا الغموض بإضافة «مِنَ». فهي بالتالي أكثر ترجيحًا، وأفصح تعبيرًا. فهل سقط حرف الجر من الآية في مصحف عثمان؟

٢٥:٧٧

- قراءة الجماعة: ‹كَذَّبْتُمْ› بتشديد الذال[٥١].
- وقرأ ابن مسعود وابن عباس وآخرون: «فقد كَذَّبَ الكَافِرُون»[٥٢].

يبدأ السياق بالحديث عمّن تاب وأصلح وحسن مُقاماً (الجنة) في الآية ٧٠، ثم يظهر غموض مفاجىء في آخر الآية ٧٧، بذكر هؤلاء الذين لا يعبأ بهم الله لولا دعاؤهم، ثم يتهمهم بالتكذيب ويهددهم بالعذاب! فعلى من يعود الخطاب في كلمة ‹كَذَّبْتُمْ›؟ هل على مشركي قريش إذا كانت الآية مكية؟

وكما رأينا في مقدمة هذه السورة، فالآية مدنية بحسب رأي نولدكه[٥٣]، وهو ما يؤيده ابن حزم[٥٤] فبالتالي الخطاب موجه لأصحاب محمد الذين ذكرهم بالمقام الحسن!

ونتساءل: هل من المعقول أن يكون أصحاب محمد قد كذَّبوا الله (أو الرسالة)، وفي نفس الوقت يحصلون على الجنة؟

إذاً، فقراءة ابن مسعود وابن عباس ومن قرأ بقراءتهما «كَذَّبَ الكَافِرُون» تزيل هذا الغموض، بخبر ينفي دخول هؤلاء الذين كانوا يدعون الله ‹دُعَاؤُكُمْ› في التهديد والوعيد.

---

٥١. الخطيب، معجم القراءات ٦: ٣٩٠.
٥٢. نفس المصدر.
٥٣. نولدكه، تاريخ القرآن ١٢٠.
٥٤. ابن حزم، الناسخ والمنسوخ ٤٩.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

فهرست الأعلام

www.christianlib.com

فهرست الأعلام

أبَيّ بن كَعْب بن قَيْس (ت حوالي ٢١ هـ/ ح ٦٤٢ م)

من الأنصار من قبيلة الخزرج، وله إطلاع على الكتب المقدسة. ومن القلائل الذين كانوا يجيدون الكتابة في مجتمعه آنذاك. وبعد أن اعتنق الإسلام، صار يكتب لمحمد آيات الوحي، واعتبره محمد واحد من الأربعة الذين إئتمنهم على القرآن.

أبو إسحاق الزجاج (٢٤١-٣١١ هـ/ ٨٥٥-٩٢٣ م)

هو إبراهيم بن السريّ بن سهل، عالم لغوي كبير، عاش في بغداد. له تصنيفات كثيرة في علوم اللغة العربية وأيضا في علوم القرآن، أشهرها: «معاني القرآن وإعرابه».

أَبُو حنيفة (٨٠-١٥٠هـ/ ٦٩٩-٧٦٩ م)

اسمه النعمان بن ثابت، من الكوفة ينحدر من أصول فارسية، مؤسس المذهب الحنفي، أحد المذاهب السنية الأربعة. وكان محل تقدير رفيع من علماء المسلمين في زمانه. رفض العمل في قضاء الدولة، فسجن إلى أن مات في سجن.

www.christianlib.com

أبو ذر الغفاري (ت حوالي ٣٢ هـ/ ٦٥٢م)

اسمه جُندب بن جُنادة، من قبيلة بني غِفار، كان من أوائل الذين اعتنقوا الإسلام، ويحكى أنه أحد الخمسة الأوائل الذين التحقوا بمحمدٍ. انتقد بذخ السلطات في خلافة عثمان بن عفان، فنُفي إلى الربذة، خارج المدينة، وقد مات هناك.

أَبو هُرَيْرة (ت ٥٩ هـ/ ٦٧٩ م)

عبد الرحمن بن صخر الدوسي. روي أن اسمه الأصلي كان «عبد شمس» قبلما اعلن اسلامه فى المدينة، ولما أسلم سماه محمد «عبد الرحمن»، فكان يصاحب محمداً ويجالسه وقتاً طويلاً. ولهذا عُرف عنه حفظه للأحاديث المحمدية. ثمة جدل بشأنه، فأهل السنة يرونه محل ثقةً ، بينما ينظر إليه الشيعة بعين الشك، وفي المصادر التاريخية تفاصيل عن عدم أمانته حينما تولى إدارة البحرين أيام عمر بن الخطاب.

الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠-٩٥ هـ/ ٦٦٠-٧١٤م)

الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، وُلد في الطّائف. عمل الحجاج في شرطة الدولة الأموية، وتدرج في المناصب إلى أن أصبح والياً على العراق، فحكمها بالحديد والنار وله فضل ترسيخ سلطة الأمويين فيها. عُرف عنه فصاحة اللسان. وذكرت المصادر أنه أدخل بعض التعديلات على أحد عشر موضِعاً في القرآن.

الحسن البصري (٢١هـ-١١٠هـ/ ٦٤٢-٧٢٨م)

هو الحسنُ بن يِسار، ويلقب بأبي سعيد، ولد في المدينة، ثم انتقل إلى البصرة حيث تلقى العلم، وبعد سنوات أصبح أشهر فقهاء عصره. أثناء حياته كانت الفتن منتشرة في العراق، لكن الحسن أيد سياسة السلم بين الاهالى.

www.christianlib.com

الوَليدُ بن المُغِيرَة (ت ١ هـ/ ٦٢٢ م)

هو ابن عبد الله بن عمرو، من زعماء قريش، واشتهر بجودة الرأي، فكان يحتكم إليه الناس في نزاعاتهم. وهو أحد الذين حرّموا شرب الخمر قبل الإسلام، ولما أعلن محمد نبوته، رفض الوليد اتباعه. ومات بعد هجرة محمد للمدينة.

جواد علي (١٩٠٧-١٩٨٧ م)

مؤرخ عراقي كبير، كان قد حصل على درجة الدكتوراه من جامعة هامبورغ سنة ١٩٣٩ عن رسالته بعنوان «المهدي وسفرائه الأربعة». وبعد عودته إلى العراق صار أمين سر لجنة التأليف والترجمة. وفي سنة ١٩٥٦ أصبح عضواً في المجمع العلمي العراقي. كما عمل استاذاً في قسم التاريخ بكلية التربية ببغداد. وعمل أستاذاً زائراً في جامعة هارفارد (١٩٥٧ ـ ١٩٥٨).

من أشهر مؤلفاته العمل الموسوعي المسمى: «تاريخ العرب قبل الإسلام» (ثمانية مجلدات)، الذي صدر عن المجمع العلمي العراقي بين ١٩٥٦ ـ ١٩٦٠.

الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٢ هـ / ٧١٨-٧٨٩ م)

وُلد في عمان، ثم انتقل إلى البصرة. كان يحب حضور حلقات الفقهاء وعلماء اللغة والنحو. قرأ ترجمات عن العلوم الرياضية والإيقاع الموسيقي عند اليونان. وقد مكنه شغفه وثراء معرفته من وضع علم العروض، وتصنيف أول معجم منهجي للغة العربية سماه «معجم العين. وهو أول من صنف النقط، ورسمه في كتاب، وذكر علله، كما كان أول من وضع حركات الإعراب، والشدة، ورأس عين صغيرة للتدليل على وجود الهمزة.

زيد بن ثابت (ت حوالي ٤٥ هـ/ ٦٥٥ م)

زيد بن ثابت من قبيلة الخزرج الأنصارية. كان واحدا من الذين يكتبون الوحي لمحمد، ويحكى أن محمداً طلب منه تعلم العبرية والسريانية، فقيل انه تعلمهما في اسابيع قليلة. وليس لدينا ما يشير إلى أنه كان بالفعل يتقن أحدى هاتين اللغتين.

www.christianlib.com

شارك زيد بن ثابت في جميع لجان جمع القرآن من عهد أبي بكر إلى عهد عثمان. وتواترت الأخبار عن انتقاد ابن مسعود لتعيينه في رئاسة آخر اللجان ـ لجنة عثمان.

سَعِيد بن جُبَيْر (٤٥ ـ ٩٥ هـ/ ٦٦٥ ـ ٦١٤ م)

من الجيل الثاني من المسلمين، ذو أصل حبشي، سكن الكوفة، واشتغل بتدريس العلوم الدينية الإسلامية. ولما نشبت ثورة ضد الأمويين بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث، انخرط بها. وبعد فشل الثورة، توارى عن الأنظار، لكن قُبض عليه لاحقا، وأُعدم بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي.

عائِشة بنت أبي بكرٍ (٩ ق هـ ـ ٥٨ هـ/ ٦١٣ ـ ٦٧٨ م)

ابنة أبي بكر، صاحب محمد ورفيق دعوته، تزوجها محمد وليس لها من العمر إلا ست سنوات، بينما تجاوز هو الخمسين.

وقد استحوذت على قلب محمد، ربما لأنه لم يتزوج بِكرًا سواها. ولها مكانة كبيرة لدى السنة، أما الشيعة فيطعنون فيها لأنها أسفرت عن توجيه العداء لعلي بن أبي طالب.

عبدُ اللهِ بن الزّبير (١ ـ ٧٣ هـ/ ٦٢٢ ـ ٦٩٢)

عبد الله بن الزبير، من أسرة أسد القرشية. وهو أول مولود في المدينة من المهاجرين. ناصر علي بن أبي طالب في حربه ضد عائشة. وبعد وفاة مؤسس الدولة الأموية معاوية، رفض ابن الزّبير مبايعة يزيد ابن معاوية. وفي أتون المعارك الدامية التي بلغت حد إصابة الكعبة بحجارة المنجنيق، جاء خبر وفاة يزيد بن معاوية، اعترفت به أغلب البلدان خليفةً للمسلمين، فصار حاكماً للجزء الأكبر من الدولة الإسلامية، ما عدا بلاد الشام التي بقيت حصناً قوياً للأمويين، وبقيت رحى المعارك تدور إلى أن تمكن الحجاج بن يوسف أيام حكم عبد الملك بن مروان من القضاء على ابن زبير في مكة.

www.christianlib.com

عبد الله بنُ عبّاس (٣ ق هـ-٦٨ هـ/ ٦١٩-٦٨٧ م)

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ويُعرف في المصادر الإسلامية بلقبه فحسب، «ابن عباس». وُلد ابن عباس في مكة، ورافق محمداً في فتاويه، فأُشتهر برواية الأحاديث المحمدية. لقبه البعض «ترجمان القرآن».

عَبْدُ الله بنُ مَسْعودٍ (ت حوالي ٣٢ هجرية/ ٦٥٣ م)

من كبار صحابة محمدٍ، وكان ابن مسعود شجاعاً في إيمانه، إذ رُوي أنه أول من قرأ القرآن جهراً في مكة. وقد خدم ابن مسعود محمداً، فصار أمين أسراره ورفيقه في رحلاته. وشارك في جميع معارك محمدٍ. ولكن لم يُطلب منه المشاركة في لجان جمع القرآن، وما أثار حنقه أن عثمان بن عفان لما شكل لجنة لإصدار نسخة رسمية، استبعده منها.

عبيد بن عمير (ت ٦٨هـ)

هو عبيد بن عمير بن قتادة المكي. وُلد اثناء حياة محمدٍ، كان مفسراً وواعظاً. وهو من كبار التابعين، أي الجيل الثاني من المسلمي.

علي بن أبي طالب (حوالي ٢٣ ق هـ-٤٠هـ/ ٦٠٠-٦٦١ م)

هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب. وابن عم محمدٍ، وصهره، ذلك أن فاطمة بنت محمد كانت زوجته. يعتبر أول الفتيان إسلاماً. وقد شارك في أغلب معارك محمدٍ. يعتقد الشيعة أنه الخليفة الشرعي لمحمدٍ، وأن الخلفاء الثلاثة الأوائل اغتصبوا حقه في الخلافة. اعتلى كرسي الخلافة سنة (٣٥ هـ/ ٦٥٦ م). وحفلت سنوات خلافته بالفتن والنزاعات بين المسلمين. وهذا ما أدى إلى اغتياله في الكوفة. وقد جمعت خطبه وأقواله في كتاب «نهج البلاغة». وموثوقية الكتاب محل نقاش بين الباحثين الحياديين.

www.christianlib.com

عمر بن الخطاب (٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ/ ٥٨٤-٦٤٤ م)

قرشي من آل عُدي. ولهذا يطلق عليه لقب القرشي العَدوِيّ. آمن بدعوة محمد وصار ثاني شخص في حلقة محمد الضيقة بعد أبي بكر، الخليفة الأول. والجدير بالذكر أنه في أكثر من حالة رأى رأيًا معينًا، فأتى القرآن مؤيداً لرأيه في ظاهرة عُرفت «بموافقات عمرَ».

عمرو بن العاص (ت ٦٨٢ م)

قرشي كان معروفاً عنه الدهاء. بعد أن بدأ نجم محمد يعلو، ذهب عمرو بن العاص إلى المدينة سنة ٨ هجرية وأعلن إسلامه. كان ذلك عشية فتح مكة، مما يدل على بعد رؤية منه لأنه كان يرى آفاق نجاح محمدٍ. وقد تسلم قيادة حملات عسكرية. وفي فترة حكم عمر بن الخطاب، قاد حملة لاحتلال مصر، نجح فيها ثم صار حاكماً عليها لبعض الوقت. دعم معاوية بن أبي سفيان في مواجهة علي بن أبي طالب حينما اشتد الصراع بين الطرفين على الحكم.

النجاشي

النجاشي هو لقب حاكم الحبشة في المصادر الإسلامية. وفي مكة حينما آمن البعض بدعوة محمد، فإن جزءًا من الذين آمنوا كانوا بدون حماية من جانب عصبياتهم ولهذا نصحهم محمد بالهجرة إلى الحبشة، وبقوا هناك في رعاية ملكها المسيحي «النجاشي» لسنوات. ويقال إن خبر وفاته وصلت محمدًا سنة ٩ هجرية.

www.christianlib.com

نصر حامد أبو زيد (١٩٤٣-٢٠١٠م)

هو أكاديمي مصري، باحث في علوم اللغة. كان أستاذاً بكلية الآداب، جامعة القاهرة. وفي منتصف التسعينات من القرن الماضي، رُفعت دعوى حسبة ضده من جانب إسلاميين، كان نص الدعوة يتهم نصر حامد بالردة، وتطلب الدعوة بإصدار حكم قضائي بالتفريق بينه وبين زوجته، ابتهال يونس، الأستاذة في الأدب الفرنسي.عندما اشتدت الحملة ضده، وظهر أن القضاء منحاز إلى جانب المتطرفين، غادر نصر حامد وزوجته مصر إلى المنفى الاختياري في هولندا. له الكثير من الأعمال المتصلة بالقرآن، أشهرها: «مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن».

www.christianlib.com

www.christianlib.com

www.christianlib.com

تعريفات مختارة

www.christianlib.com

تعريفـات مختـــارة

الأحبار

سُميت سورة المائدة بسورة الأحبار (المائدة ٥: ٤٤، ٦٣)، والأحبار هم العلماء .وعن الجوهر: الحَبْرُ واحد من أحبار اليهود (علماء اليهود) من الحُبُور، وهو السرور وكذلك معناه النعمة، ويقال: حَبَرتُ الشيء تَحْبِيراً إذا حَسّنْتَه.

الأغادا Aggadah

أحد أشكال تفسير التلمود والكتابات اليهودية الحبرية، وتحتوي بشكل رئيس على طرق غير قانونية في التفسير مثل الاستناد إلى الحكاية والأسطورة.

يجب التفريق بين الأغَّادا «Aggadah» والهاغادا «Haggadah»: فالهاغادا سِفر صلوات وقصص وترانيم. وأول طبعة للهاغّادا ظهرت في إسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر.

www.christianlib.com

الالتِفات

مصطلح في علوم القرآن يشير إلى الانتقال من ضمير إلى آخر. وأنواعه:

١. الانتقال من ضمير المتكلم إلى المخاطب: ‹وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ› (يس ٣٦: ٢٢)؛ والأصل: «أرجع».

٢. الانتقال من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب: ‹إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ› (الفتح ٤٨: ١، ٢). والأصل: «لنغفر لكَ»؛

٣. من المخاطب إلى الغائب: ‹حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم› (يونس ١٠: ٢٢). والأصل «بكم»؛

٤. من الغائب إلى المتكلم: ‹وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا› (فصلت ٤١: ١٢)، والسياق يفترض «وزيَّن».

وتذكر كتب علوم القرآن بنودًا كثيرةً للالتفات، أبرزها نقل الكلام من خطاب الواحدِ أو الاثنين أو الجمع لخطاب الآخر، ومثاله: ‹وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ› (يونس ١٠: ٨٧).

الإنجيل

هو كتاب الله المُنزَّل على نبي الله عيسى بن مريم بحسب العقيدة الإسلامية ، وقد أعلن القرآن عن ذلك في مواضع كثيرة (المائدة ٥ :٤٦). والمشهور من قول الفقهاء أن الإنجيل الذي أُنزل على عيسى بن مريم نسخ بعض أحكام التوراة (آل عمران ٣: ٥٠)، أما الإنجيل (البشارة) الحالي الموجود بين يدي النصارى فقد تعرض بحسب الفكر الإسلامي إلى التحريف والتزوير لأنه لا يذكر البشارة بمحمد (النبي الأميّ). وعلى النقيض، فالقرآن يُطالب النصارى الحكم بالإنجيل وينعت من لم يحكم به منهم أنه فاسق (المائدة ٥ :٤٧)! بل يرفعهم (النصارى) درجات فوق الذين كفروا (أي اليهود) (آل عمران ٣: ٥٥) إلى يوم القيامة.

www.christianlib.com

الأنصار

هم كل من ناصر النبي محمد من سكان المدينة (يثرب)، أي الأوس والخزرج، بعد أن هاجر إليهم من مكة ومن معه من المهاجرين. فقد ناصروه باعتناقهم للإسلام وانضمامهم له في غزواته ضد قريش، وكانوا عونًا له في بناء الدولة «السياسية المحمدية». وقد طمعوا في الخلافة بعده نظرًا للدور الكبير الذي لعبوه في نشر دعوته، فقُتِل سعد بن عبادة الأنصاري (زعيمهم) بحسرته بعيدًا عن مجلس الشورى المزعوم (في اجتماع السقيفة) وقيل أن الجن رمته بالسهام.

أهل الكتاب

يطلق القرآن اسم ‹أهل الكتاب› على اليهود والمسيحيين. و تعود التسمية لأن لديهم كتب سماوية، التوراة والزبور والإنجيل. ويذكر القرآن أن أهل الكتاب يؤمنون بكتبٍ محرفةٍ (البقرة ٢: ٧٥؛ المائدة ٥: ١٥).

وفي جانب آخر ثمة غموض فيمن يُدرج بقائمة أهل الكتاب، ففي أحد النصوص يُدخل القرآن الصابئين في تعريف واحد مع اليهود والمسيحين (البقرة ٢: ٦٢؛ المائدة ٥: ٦٩)، دون أن يتضح ما هو الكتاب السماوي الذي يجعلهم ينتمون للتصنيف نفسه.

وقد اتسم موقف القرآن بعداء شديد نحو اليهود والمسيحيين، فكال لهم اتهامات أنهم يقولون أن لله ولدًا (التوبة ٩: ٣٠). ووصف اليهود أنهم قردة (البقرة ٢: ٦٥). وطلب من المسلمين عدم مصادقة اليهود والمسيحيين (المائدة ٥: ٥١). كما يفرض الإسلام على أهل الكتاب دفع الجزية (انظر تعريف الجزية).

آية الرجم

الزاني المحصن (أي المتزوج)، والزانية المحصنة (أي المتزوجة)، والمُحْصَنات (العَفائِفُ من النساء): من أُحْصِنَّ بأَزْواجِهِنَّ. وحكمهم في الشريعة الإسلامية هو الرجم حتى الموت. فمن أين جاء هذا الحكم؟ جاء في تفسير ابن كثير حديث رواه النسائي عن آية الرجم هذا نصها : «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم»؛ فهي من الآيات التي كانت متضمنة في سورة

www.christianlib.com

الأحزاب، فنسخ حرفها وبقي حكمها بقول أهل السُنة. وقد تمنى عمر بن الخطاب أن يُضيف هذه الآية للقرآن إلا أنه خاف أن يُتهم بالزيادة فيه؛ وبالتالي تكون هذه الآية مما أسقط عمدًا من القرآن.

آية منسوخة

الآية المنسوخة هي ثلاثة أنواع: (١) آية موجودة في القرآن ألغي حكمها واستبدل بحكمٍ غيره. (٢) آية ألغي حرفها وبقي حكمها بمعنى أنها لم تعد مدونة في القرآن لكن حكمها موجود في الشريعة الإسلامية. (٣) آية ألغي حرفها وحكمها، بمعنى أنها لم تعد مدونة في القرآن ولا يُعمَل بحكمها في الشريعة. والجدير بالذكر أن الأخبار الخالصة لا يجوز أن يدخلها النسخ؛ ولو دخلها النسخ لكان هذا كذبًا، فعلى سبيل المثال: لو قلنا «جاء فلانٌ البارحة»، فهذا خبر، فإذا نسخناه بقولنا «لم يأت فلان البارحة، بل أتى اليوم» يصبح ما قلناه سابقًا كذبًا، وبالتالي لا يجوز أن يُنعت كلام الله بالكذب. وكذلك فلا يجوز نسخ «صفات الله».

البسملة

جاء في لسان العرب: بسمل الرجل إذا كتب باسم الله، ويقال: قد أكثرتَ من البسملة أي منْ قولِ باسمِ اللهِ. وقد أجمع فقهاء الإسلام على أن البسملة هي القول «بسم الله الرحمن الرحيم». وهذه البسملة موجودة في أول كل سورة قرآنية، إلا سورة التوبة لأنها تدعو للقتال، أي أن عدم ذكرها جاء تماشيًا مع عادة العرب أنهم كانوا لا يُبسملون عند كتابة خطاب يدعو إلى الحرب. أما سورة النمل فقد تكررت البسملة فيها مرتين في أول السورة وفي الآية الثلاثين منها.

الترجوم

كلمة عبرية آرامية تعني الترجمة والتفسير للتوراة من أجل المجامع، وكان الترجوم لفترة طويلة يتناقل بطريقة شفهية ، فيتكيف مع الجمهور أو الوضع الذي يعيش فيه المؤمنون (اليهود) ، لهذا نحن أمام عدد من النسخات الترجومية لأسفار موسى الخمسة. أما التفسير الذي نجده في الترجوم، فهو يرتبط بالنشاط التأويلي القديم لدى اليهود. ويسمى المدراش.

www.christianlib.com

التلمود

التلمود، ويعني التعليم. وهو أهم كتاب في التراث اليهودي. ويضم أعمالًا وتعاليمًا وآراء علماء اليهود القدماء بشأن شرح وتطوير القوانين الدينية والمدنية للتوراة على مدى ثماني قرون (من ٣٠٠ ق. م إلى ٥٠٠ م). وللتلمود روايتان، الأولى التلمود البابلي (**تلمود باڤلي** Bavli) والثانية التلمود الأورشليمي (تلمود يروشاليم). وتشير هذه الأسماء إلى أصولهما.

أنجز التلمود البابلي حوالي سنة ٥٠٠، وبعد ١٠٠ سنة من التلمود الأورشليمي. وهو أكثر غنى وشمولية. وهو الأكثر رسمية؛ وحينما يدور الحديث عن التلمود يُقصد به على الأغلب التلمود البابلي.

الجاهلية

اسم الجَاهِلِيَّةِ من اسم الفاعل «جاهل». وقد أطلق المسلمون صفة الجَاهِلِيَّةِ على حال شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام. والتسمية لدى المسلمين لا تشير إلى حالة العلم عند عرب قبل الإسلام، بل إلى الجهل بالإسلام، أو الدين السماوي. وقد وردت في القرآن (آل عمران ٣: ١٥٤؛ الأحزاب ٣٣: ٣٣؛ الفتح ٤٨: ٢٦).

تسمية الجاهلية وإن كانت تطلق بالعموم على كل ما سبق الإسلام، إلا أن الميل الأكثر في الأدب الإسلامي هو في تطبيقها على الشعراء قبل الإسلام، فيقال عنهم: شعراء الجاهلية.

الجزية

يقسم الفكر الإسلامي الشعب في الدولة الإسلامية إلى فئتين: (أ) المسلمين و(ب) الذميين. ويفرض على الذميين دفع أتاوة سنويًا، مقابل الأمان، ويسميه عقد الذمة اتباعًا لحكم القرآن (التوبة ٩: ٢٩). ومن يرفض دفع الجزية من أهل الكتاب يُعاقب بالقتل.

الجزية هي غير الضريبة بالمفهوم المعاصر. فتدفع الجزية على الفرد الذي بلغ سن البلوغ سواء كان منتجاً أو لا، وبغض النظر عن قيمة الدخل الذي يتحصله المرء.

تشترط آية سورة التوبة أن يدفع الذمي الجزية وهو صاغر، أي أن يكون حال الدافع في صِغار وذل. فعلى سبيل المثال يطلب من المتسلّم المسلم أن يمسك بِخُناق من يعطي الجزية ويقول له: «أدِّ الجِزْيَة».

www.christianlib.com

الذِكر

وهو ما يجري على اللسان، وجاء في القرآن بمعانٍ عديدة منها: (١) الكتاب (الحجر ١٥: ٦ و٩)، (٢) الإنجيل، لأنه في سورة النحل والأنبياء أنزل (الذكر) على رجال قبل الإسلام. كما ورد بكل وضوح الذكر في آواخر سورة الأنبياء بمعنى التوراة، أو الكتاب الذي أنزل قبل الزبور (الأنبياء ٢١: ١٠٥)، وقد فرق النص القرآني بين القرآن والذكر حيث قال: ‹ص والقرآن ذي الذكر›، وبالتالي فالذكر هو الأصل والقرآن هو الفرع (سورة ص ٣٨: ١).

الذميون

الذميون هم أهل الكتاب الذين يعيشون تحت حكم الدولة الإسلامية ويلتزمون دفع الجزية (انظر تعريفي: أهل الكتاب والجزية).

الذين هادوا

بحسب العقيدة الإسلامية، (الذين هادوا) هم بنو إسرائيل (البقرة ٢: ٦٢)، ومعنى هادوا كانوا يهودًا أو دانوا بدين اليهود. وأصل اسم اليهود منقول في العربية من العبرانية وهو في العبرانية بذال معجمة في آخره (يهوذا). وهو عَلَم أحد أسباط إسرائيل. وقد انقسمت مملكة إسرائيل بعد موت الملك سليمان بن داود سنة ٩٧٥ ق م، إلى مملكتين: مملكة يهوذا (وعاصمتها أورشليم)، ومملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة، وقد أخبرنا ابن عاشور أن قوم مملكة السامرة انحرفوا عن الديانة الموسوية وعبدوا الأوثان إلى أن قُهروا على يد ملوك الآشوريين واستعبدوا بنقلهم إلى بلاد آشور. أما مملكة يهوذا فقد بقيت إلى سنة ١٢٠ ق م.

رمضان

هو شهر من الأشهر القمرية، يصوم فيه المسلمون منذ السنة الثانية للهجرة المحمدية (٦٢٤ م). والصيام في اللغة «مطلق الإمساك عن الشيء»، وأما في الاصطلاح الشرعي فهو «الإمساك عن

www.christianlib.com

المفطرات يومًا كاملاً، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس». ورمضان هو الشهر الذي أنزل فيه القرآن بحسب الآية (البقرة ٢: ١٨٥).

جاء في لسان العرب قول مُطَرّز: كان مجاهد يكره أن يُجمَعَ رمضان (جمع رمضان: رمضانات ورماضين وأرمِضاء وأرمِضَةٌ وأرمُضٌ) ، ويقول: بلغني أنه إسم من أسماء الله عز وجل؛ قال ابن دُرَيْدٍ: لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سمَّوها بالأزمنة التي هي فيها، فوافق رمضان أيامَ رَمَضِ الحرِّ وشدَّته، فسُمِّيَ بِهِ، بحسب ابن منظور.

الزبور

هو كتاب الله المُنزَّل على نبي الله داود بحسب القرآن (النساء ٤: ١٦٣، والإسراء ١٧: ٥٥)، وقد أخبرنا القرطبي على أن الزبور كتاب داود وكان مائة وخمسين سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام، وإنما هو حِكَم ومواعظ، والزبر الكتابة، والزبور بمعنى المزبور أي المكتوب. وكان داود عليه السلام حسن الصوت؛ وفي المعتقد الإسلامي، كان إذا أخذ داود في قراءة الزبور، اجتمع إليه الإنس والجن والطير والوحش لحسن صوته (سبأ ٣٤: ١٠).

الصابئون

هم أتباع الديانة الصابئية (المندائية) يعيشون على ضفاف الأنهار (دجلة والفرات). أما الصابئة الذين ذكروا في القرآن (البقرة ٢: ٦٢، و المائدة ٥: ٦٩) فقد عاشوا قبل الإسلام في مصر والجزيرة العربية، فانقرضوا وانقطعت أخبارهم. أما الصابئة الحالين فلهم تقاليدهم وعاداتهم ولغتهم. وقيل أنهم كانوا يعبدون النجوم ثم تبعوا النبي يحي بن زكريا (يُوحنا المعمدان). ويؤمن الصابئة أن الخالق أزلي منزه عن عالم المادة ، وأن للكون وجودين: سري وعلني وأن للوجود السري امتياز على الوجود العلني. كما يعتقدون أن الخير والشر مصدرهما الإنسان، والموت انتقال وفناء، فالنفس تعيش في عالم الأنوار.

أركان عقيدتهم : التوحيد والصوم والصلاة والتعميد في المياه الجارية (الوضوء في كل شيء). وأهم كتبهم المقدسة (الكنزاربّا) أي الكتاب العظيم أو الكتاب المنزل على آدم؛ وكتاب (أدرافشه ديهى)

www.christianlib.com

أي تعليم يحي، وكتب أخرى. أما الانتماء إلى دينهم فيتطلب شروطًا شبه تعجيزية مما يُفسر عددهم الضئيل.

الصحيح

الحديث الصحيح عند أهل الحديث هو الحديث الوارد عند البخاري. وحينما يأتي ذكر مفردة «الصحيحان»، فالمقصود بها «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم».

الصراط

يرد لفظ الصراط بالقرآن مقترنًا بـ «المستقيم»، و الصراط بمعنى الطريق، وللكلمة دلالة دينية. فكلمة صراط ترد في آداب يوم القيامة الإسلامي لتصف ما يُعتقد أنه الطريق الذي يجب أن يعبره كل إنسان للجنة، وتقع النار تحت هذا الصراط (الطريق)، وأن الخاطئ يسقط منه بينما يجتازه المؤمن. و استعمل القرآن نفسه كلمة صراط بمعنى الطريق، ولم يربط القرآن بين هذه اللفظة وبين الاعتقاد الموجود في المصادر الإسلامية. ويرى كثير من المستشرقين أن مصدر الفكرة زرادشتي. وأنها مأخوذة من الاعتقاد بخصوص «**جسر تشينڤات**»، أو «جسر المحتشدين»، الذي يجب على الجميع عبوره قبل أن يستطيعوا دخول الجنة. وحسب الاعتقاد الزرادشتي فإن أرواح المتقين وحدها قادرة على عبور هذه الجسر، بينا يسقط الأشرار منه إلى أسفل النار.

الفاحشة

هي كل قبيح من القول والفعل ، وكل أمرٍ لا يكون مُوافقًا للحق. وغالبًا ما تُعرفُ الفاحشة بفعل الزنى (الإسراء ١٧: ٣٢)، وعرفت كذلك بالمنكر والمكروه من التقليد والمعاصي (الأعراف ٧: ٢٨).

الفاصلة

يعرف الزركشي الفاصلة بأنها كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع.

www.christianlib.com

الفرق بين الصدقة والزكاة

الصدقة هي عطاء غير مفروض على الشخص المتصدق بل هي عمل تطوعي، يقوم به الفرد من باب التقرب إلى الله،والتودد إلى المعطى له. وهنا تصبح الصدقة أقرب إلى الهدية؛ لذلك كان محمد لا يقبل الصدقة بل يقبل الهدية (١).

أما الزكاة فهي عطاء مفروض وقيمته (ربع العشر بمعنى اثنين ونصف في المائة) وتقترن الزكاة بالصلاة في القرآن (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) (البقرة ٢: ٤٣) والزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة. ولا تجوز إلا لمن جاء ذكرهم في القرآن (التوبة ٩: ٦٠) من فقراء ومساكين ومن العاملين عليها (الذين يجمعون الزكاة) والمؤلفة قلوبهم (هم صنف من الكفار يُعطوا ليتألفوا على الإسلام وكانوا لا يسلمون بالقهر والسيف ولكن يُسلمون بالعطاء والإحسان)، والرِّقاب (تؤدى لتحرير العبد المسلم) ولصالح الغارمين (المديونون: لايقدرون إرجاع القروض) كما تؤدى الزكاة في سبيل الله (الغزوات والجهاد) ولصالح ابن السبيل (عابر السبيل المسلم).

الفرقان

هو اسم السورة الخامسة والعشرين بحسب ترتيب المصحف. وجاء (الفرقان) بمعنى الكتاب (الفرقان ٢٥: ١)، وكذلك بمعنى ما يُفرِّقُ بين الحق والباطل (الأنفال ٨: ٤١)، وهو كذلك كتابُ أُنزِلَ على موسى بمعنى التوراة (الأنبياء ٢١: ٤٨).

القدرية

الذين يقولون بالقدر. والمصطلح له تطبيق مزدوج، فالقائلون بالجبر يطلقونه على المعتزلة لأنهم يعلنون إن الإنسان صاحب أفعاله، في حين أن المعتزلة يسمون الجبريةَ قدريةً لأنهم يقولون إن الله خالق أفعال الإنسان بالمطلق.

وعند الجرجاني في كتابه التعريفات: القدرية «هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله».

www.christianlib.com

الكعبة

هو بناء مربع موجود فى مكة، و يعود تاريخ بنائه، حسب التراث الإسلامي، إلى عهد أبي الأنبياء إبراهيم الذي قام ببنائه بمساعدة ابنه إسماعيل، بل ومن العلماء المسلمين من يُرجع بناء الكعبة إلى عهد أبينا آدم، وفيهم من قال إن الملائكة قد بنتها قبل خلق الإنسان. فهي قبلة المسلمين في صلاتهم و يطوفون حولها في حجهم وإلى زيارتها تشتاق قلوبهم. سميت بالبيت الحرام لأن الله حرم القتال فيها، رغم أن جنود بني أمية استحلوا قتل المسلمين أتباع عبد الله بن الزبير فيها ٧٣هـ؛ وفي عهد أبي طاهر زعيم القرامطة سنة ٣١٧هـ/٩٣٠م أُبيحت الكعبة فقتل القرامطة الحجيج وسرقوا الحجر الأسود يوم التروية . كما أن لكعبة مكة إسم آخر :هو «الكعبة الشامية».

اللحن اللغوي

هو تعبير يُطلق على ترك الصواب في قراءة القرآن والنشيد . قال ابن بري وغيره: للحن ستة معانٍ: (١) الخطأ في الإعراب، (٢) اللغة، (٣) الغناء، (٤) الفطنة، (٥) التعريض، (٦) المعنى. فاللحْنُ اللغوي هو الخطأ في اللغة، واللحن الذي هو التعريض والإيماء أي الإشارة دون الإفصاح.

المحصنات

لقد جاء في القرآن ثلاثة تعريفات لكلمة المحصنات. الأول: المرأة العفيفة الشريفة، فشرفها وأخلاقها يكونان حصنًا لها من الرذيلة، وأعطى كمثال: (١) مريم العذراء (الأنبياء ٢١: ٩١، والتحريم ٦٦: ١٢). (٢) المرأة المتزوجة (النساء ٤: ٢٤)، التي يكون زوجُها حاميًا لها أما المحصنة التي وقعت في السبي فيجوز وطئها بعد استبراء رحمها . (٣) الحرائر من النساء (النساء ٤: ٢٥).

أما الرجل المحصن فهو الرجل المتزوج .

المعتزلة

هم فرقة كلامية اختارت لنفسها هذا الاسم (المعتزلة)، أو تقبلته حتى تكون فرقة مُحايدة، ولا تُناصر أحد الفريقين المتنازعين (أهل السنة ، والخوارج) على الآخر في مسألة السياسية الدينية.

www.christianlib.com

ظهرت هذه الفرقة في بداية القرن الثاني الهجري (٨٠هـ-١٣١هـ) في البصرة وقد ازدهرت في العصر العباسي، ومن أشهر المعتزلة : الجاحظ، والخليفة المأمون، والرازي، وابن الراوندي. وقد سميت كذلك هذه الفرقة (المعتزلة) باسم القدرية (يقولون إن الله غيرُ خالقٍ لأكساب الناس)، والعدلية، والموحِّدة. أهم أقوال المعتزلة: القول بأن الله تعالى قديم الذات وليس الصفات، كلامه مُحدّث وبالتالي فالقرآن مخلوق، وإرادته والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاتها، ورؤية الله تعالى بالإبصار في دار القرار (دار الآخرة) دون تشبيه أو تجسيم. وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها ، وسموا هذا النمط توحيدًا(الموحِّدة)، واتفقوا كذلك على أن العبد قادر، خالق لأفعاله: خيرها وشرّها (القدرية).. والمعتزلة يجمعون على القول بأصول خمسة وهي: (١)التوحيد ، (٢) العدل ، (٣) الوعد والوعيد ، (٤) المنزلة بين المنزلتين ، (٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

مكي/ المدني

في كتب علوم القرآن ينقسم النص القرآني إلى قسمين: القرآن المكي، وهو الذي تُلى على مسامع الناس في الفترة قبل الهجرة إلى المدينة. والقرآن المدني وهو الذي أعلن بعد الهجرة.

مدراش ربّا

مدراش في القاموس العبري-العربي معناه: تفسير، تأويل، شرح، بحث، دراسة . أما كلمة مدراش ربّا فمعناها: مجموعة التفاسير والأساطير حول الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس المعروفة بالتوراة. وتم تدوين هذه التفاسير وجعلها سفرًا ضخمًا بعدما كانت شفاهية قبل أواخر القرن الثالث الميلادي. وأشهر من دونها الربّاني «بارنحماني»، وهناك مدراش آخر يدعى «مدراش تنحوما»، جمعه الرّباني «تنحوما» بعد قرن من ظهور مدراش «بارنحماني».

لجنة عثمان

هي مجموعة كلفها عثمان بن عفان بكتابة المصحف إبان فتوحات أرمينية وأذربيجان (٢٥هـ) حيث حذر حذيفة بن اليمان الخليفة من اختلاف المسلمين في قراءتهم للقرآن فأرسل الخليفة

www.christianlib.com

لحفصة بنت عمر (زوج الرسول)، أن ترسل له الصحف التي جُمعت في عهد أبي بكر وعمر لنسخ مصحف على أن يردها إليها، فوافقت حفصة على هذا الطلب، فاستدعى رهطًا من قريش هم: زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن الزبير، وطلب منهم أن يكتبوه بلسان قريش في حالة اختلاف زيد بن ثابت مع الثلاثة الباقين، فعند انتهائهم من تدوينه أرسل عثمان بن عفان نسخًا للأمصار ثم أحرق المصاحف التي كانت بين أيدي المسلمين مثل مصحف ابن مسعود، وأبي بن كعب، وغيرها من المصاحف الأخرى. اعترض ابن مسعود على مصحف عثمان بن عفان وقال عن زيد بن ثابت، المسؤول الرئيسي عن جمع المصحف: «فكيف تأمروني أنْ أقرأ قراءة زيد، ولقد قرأت من فِيِّ رسولِ اللهِ بضعاً وسبعين سورة ولزيد ذؤابتان يلعب بين الصّبيان». «فو الذي لا إله غيره لقد أخذت من في رسول الله بضعا و سبعين سورة و زيد بن ثابت غلام له ذؤابتان يلعب مع الغلمان».

مصحف ابن مسعود

تتفق المصادر الإسلامية على أن مصحف ابن مسعود هو مصحف موجود قبل مصحف عثمان بن عفان ويتطابق ترتيب السور بينهما، في ثمانية مواضع بحسب الإتقان للسيوطي، إلا أن مصحف ابن مسعود لا يحتوي على فاتحة الكتاب ولا المعوذتين (الفاتحة ١، الفلق ١١٣، الناس ١١٤). حيث جاء في الإتقان للسيوطي بإيجاز: وليس فيه الحمد ولا المعوذتان. لقد حذف ابن مسعود سورة الفاتحة من مصحفه لأنه اعتبرها دعاءً لختمها بقول «آمين»، أما المعوذتان فقد اعتبرهما مما كان محمد يتعوذ بها من الجان وعين الإنسان.

مصحف أُبيّ بن كعب

يُعتبر من المصاحف التي كانت موجودة قبل مصحف عثمان بن عفان، حيث يحتوي على سورتين لا نجدهما في مصحف عثمان . وترد هاتان السورتان تارةً باسمهيما الخاصّين: «سورة الخلع»، و«سورة الحفد»، وتارة باسم الاختصار: «سورتا القنوت»، أو «دعاء القنوت»، أو «دعاء الفجر».

www.christianlib.com

سورة الخلع

بسم الله الرحمن الرحيم، اللّهُمَّ إنا نستعينك، ونستغفرك، ونثني عليك، ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك.

سورة الحفد

بسم الله الرحمن الرحيم، اللّهُمَّ إيّاك نعبدُ، ولك نصلّي ونسجدُ، وإليكَ نسعى ونحفدُ، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إنَّ عذابك بالكفارِ ملحقٌ.

إن دفعنا بأن هاتين السورتين دعاء، فماذا نسمي سورة الفاتحة، وخصوصًا أنها تنتهي بقول «آمين»؟ وربما هذا هو السبب الذي جعل ابن مسعود يحذفها من مصحفه!

مصحف عائشة

أَمَرَتْ عائشة بكتابة مصحف حتى تكون على مستوى ضُرتها (حفصة) حيث ورثت صحف القرآن التي جمعت في عهد أبي حفصة (عمر بن الخطاب)، وعهد أبي عائشة (أبي بكر)، بل وتتفوق عليها بمعرفتها للقرآن وما نقص منه في هذه الصحف! غير أن عثمان بن عفان لم يعبأ بمصحفها بل أحرقه مع باقي المصاحف، وأمر بالأخذ بصحف حفصة. يذكر لنا السجستاني، في كتابه المصاحف، أنه كان لعائشة مصحفًا أمرت أحد مواليها أن يكتبه لها وأمرته أن يتوقف عند بعض الآيات لتمليه ما هو غير موجود في صحف حفصة الذي اعتمد عليه عثمان بن عفان في جمعه للقرآن، مثل «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى» (البقرة ٢ :٢٣٨) ثم أمرته أن يُضيف: «والصلاة العصر». ثم قالت: سمعتها من رسول الله (صلعم). وكذلك «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» (الأحزاب ٣٣ :٥٦) ثم أضافت: «وعلى الذين يصلّون الصفوف الأولى».

مصحف علي بن أبي طالب

يعتقد الشيعة الإمامية أن مصحف علي موجود لا محالة، إلا أنهم اختلفوا في ما يحتويه ، فمنهم من قال إن فيه كل ما يحتاج إليه الناس من الأحكام الشرعية، اعتقادًا أن من أملاه إياه هو رسول الله.

www.christianlib.com

ويُسمونه بالجامعة وهي الصحيفة التي طولها سبعون ذراعًا، ومنهم من قال إن عليًا تفرغ لكتابته مباشرة بعد وفاة محمد، وهو قرآن بحسب الناسخ والمنسوخ، وترتيبه بحسب النزول. أما أهل السنة فلا يعتقدون بوجود مثل هذا المصحف لأنه حتى ولو كان عليًّا بالفعل قد كتبه، فلابد أن عثمان بن عفان قد أمر بحرقه. وهذا ما لم يصدقه نولدكه في كتابه تاريخ القرآن حيث يقول: كتابة علي بن أبي طالب لمصحفه بحسب ترتيب السور زمنيًّا رواية لا تستحق التصديق. ذلك لأن هذا الترتيب يفترض فترة عمل تفسيريّ علميّ طويلة. هذا إذا لم يكن القيام بهذا الترتيب مستحيلاً لأنّ محمد نفسه، في التدوين الذي أمر به، كان يربط الآيات الحديثة بالقديمة.

المهاجرون

هم أتباع محمد الذين هاجروا من مكة إلى الحبشة في المرة الأولى، حيث أن دعوته لم تجد أذانًا صاغية فاشتد الصراع بين أهل قريش والقلة التي تبعته. أما في المرة الثانية فكانت الهجرة معه إلى المدينة (يثرب)، حيث تحول من الجهاد الديني إلى الجهاد السياسي بعد أن قويت شوكته.

النفاق

حسب تعريف الجرجاني في كتاب التعريفات، المنافق «هو الذي يُضمر الكفر اعتقاداً ويُظهر الإيمان قولاً». والعقيدة الإسلامية تقصد بالمنافق من يشهر إسلامه وهو غير مؤمن بالإسلام.

يأجوج ومأجوج

شعبين ورد ذكرهما في القرآن (الكهف ١٨: ٩٣، الأنبياء ٢١: ٩٦)، الذي يروي أن ذا القرنين لما بلغ أقصى الأرض اشتكى له قومٌ خطر يأجوج ومأجوج، فقام ببناء سدٍ. ويحفل التراث الإسلامي المتعلق بنهاية العالم بأخبار عنهم؛ إذ يربط بين انطلاق يأجوج ومأجوج لغزو البلدان واقتراب نهاية العالم، ولكن الله في النهاية سيضع حدًا لوجودهم.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

قائمة المراجع العربية

www.christianlib.com

قائمة المراجع العربية

ملاحظة: «الـ» التعريف و«ابن» و«أبو» في أول الاسم لا تدرج في الترتيب الأبجدي للبحث. فعلى سبيل المثال، للبحث عن «ابن الأثير» يتم استبعاد «ابن» و«الـ» التعريف من الاسم، فيكون البحث فقط عن «أثير». وللبحث عن «ابن أبي شيبة» يتم استبعاد «ابن» و«أبي» من الاسم، حيث يكون البحث فقط عن «شيبة».

الأشوح، صبري. **إعجاز القراءات القرآنية: دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القرّاء**. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٨ م.

البحراني، السيد هاشم. **البرهان في تفسير القرآن**. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٦ ثمانية مجلدات.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. **الجامع الصحيح** [المعروف بصحيح البخاري]. تحقيق: محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي، قصي محب الدين الخطيب. الطبعة الأولى. القاهرة: المطبعة السلفية. ١٤٠٠ - ١٤٠٣ هـ.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. **تفسير البغوي «معالم التنزيل»**. تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع. ١٤٠٩ - ١٤١٢ هـ.

www.christianlib.com

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. **مجموعة فتاوى ابن تيمية**. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. السعودية: مجمع الملك فهد. ٢٠٠٤ م، سبعة وثلاثون جزءًا.

جواد علي. **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**. الطبعة الثانية. العراق: جامعة بغداد، ١٩٩٣م، عشرة أجزاء.

الجواليقي، أبو منصُور. **المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**. تحقيق: ف. عبد الرحيم. الطبعة الأولى. دمشق: دار القلم، ١٩٩٠ م.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي.
زاد المسير في علم التفسير. الطبعة الثالثة. بيروت ودمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٨٤ م، تسعة أجزاء.
نَواسخ القرآن. تحقيق: محمد أشرف علي الملباري. الطبعة الأولى. السعودية: المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٤ م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**. تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٤ م، جزئين.

الحبيب، ياسر. **الفاحشة الوجه الآخر لعائشة**. الطبعة الثانية. لندن: هيئة خادم المهدي، ٢٠١١ م.

الحداد، يوسف درّة. **أطوار الدعوة القرآنية**. سلسلة القرآن والكتاب (٢). الطبعة الثانية. جونيه، لبنان: المكتبة البولسية، ١٩٨٦ م.

الحريري، أبو موسى (الأب جوزيف قزي). **عالم المعجزات**، سلسلة الحقيقة الصعبة (٣). بيروت، ١٩٨٢ م.

ابن حزم الأندلسي، أبو عبد الله محمد. **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**. تحقيق: عبد الغفار سُليمان البنداري. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦ م.

الحلبي، علي بن برهان الدّين. **السِّيرة الحلبية في سَيرة الأمين المأمون**. بيروت: دار المعرفة، د. ت. ثلاثة أجزاء.

الحموي، ياقوت بن عبد الله. **معجم البلدان**. بيروت: دار صادر، ١٩٧٧ م، خمسة أجزاء.

الحنفي، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي. **حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي**. ضبط وتصحيح: محمد عبد القادر شاهين. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩ م، ثمانية أجزاء.

أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. **تفسير البحر المحيط**. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض وآخرون. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣ م، ثمانية أجزاء.

ابن خالويه، أبي عبد الحسين بن أحمد. **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**. القاهرة: مكتبة المتنبي، د.ت.

www.christianlib.com

ابن الخطيب. **كتاب الفرقان**. بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.

الخطيب، عبد اللطيف محمد. **معجم القراءات**. الطبعة الأولى. دمشق: دار سعد الدين، ٢٠٠٢ م، ستة أجزاء.

الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد.
ـــــــ **المحكم في نقط المصاحف**. تحقيق: عزة حسن. الطبعة الثانية. بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٧م.
ـــــــ **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**. دراسة وتحقيق: نورة بنت حسن بنت فهد الحميد. الطبعة الأولى. الرياض: دار التدمرية، ٢٠١٠ م.

الدرويش، محي الدين. **إعراب القرآن الكريم وبيانه**. الطبعة السابعة. دمشق وبيروت: اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩ م، تسعة مجلدات.

الذّهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. **سير أعلام النبلاء**. تريب: حسان عبد المنان. بيروت: بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٤ م، ثلاثة أجزاء.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. **غرائب آي التنزيل**. تحقيق: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي. طبعة أولى. الرياض: دار عالم الكتب، ١٩٩١ م.

الرازي، محمد فخر الدين بن عمر. **تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)**. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر، ١٩٨١ م، إثنان وثلاثون جزءًا.

الرّصافي، معروف. **كتاب الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس**. الطبعة الأولى. ألمانيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٢ م.

رينولدز، جبرائيل سعيد.**القرآن في محيطه التاريخي**. ترجمة: سعد الله السعدي. بيروت: منشورات الجمل، ٢٠١٢ م.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. **البُرهان في عُلوم القُرآن**. تحقيق: أبو الفضل الدمياطي. القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٦ م.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٨ م، ستة أجزاء.

السجستاني، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني الحنبلي. **كتاب المصاحف**. تحقيق: محب الدين عبد السبحان واعظ. الطبعة الأولى. بيروت: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢ م، مجلدان.

www.christianlib.com

ابن سلامة، أبو القاسم هبة الله. **الناسخ والمنسوخ**. تحقيق: ماهر عبد العظيم الطنطاوي. الطبعة الثانية. القاهرة: لبابي الحلبي، ١٩٦٧ م.

السُّيُوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.
______ **الإتقَان في عُلومِ القُرآنِ**. تحقيق: مركز الدّراسات القرآنية. السعودية: مجمع الملك فهد. د. ت، سبعة أجزاء.
______ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد السند حسن يمامة. الطبعة الأولى. القاهرة: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ٢٠٠٣ م، سبعة عشر جزءًا.
______ **أسباب النزول: المسمى «لُبَابُ النُقول في أسباب النّزول»**. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ٢٠٠٢ م.

شعلة، أبو عبد الله. **صفوة الراسخ في علم المنسوخ والناسخ**. تحقيق: محمد إبراهيم عبد الرحمن فارس. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٥ م.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكمي. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. إشراف: بكر بن عبد الله أبوزيد. جدة: دار علم الفوائد، د.ت، سبعة أجزاء.

الشيرازي، ناصر مكارم. **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**. قم: مدرسة الإمام علي، خمسة عشر مجلدًا.

ابن أبي الصلت، أمية. **ديوان أمية بن أبي الصلت**. تحقيق: سجيع جميل الجبيلي. الطبعة الأولى. بيروت: دار صادر، ١٩٩٨ م.

الطباطبائي، محمد حسين. **الميزان في تفسير القرآن**. تصحيح: حسين الأعلمي. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٧م، ٢٢ جزءًا.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. **تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد السند حسن يمامة. الطبعة الأولى. القاهرة: دار هجر، ٢٠٠١ م، ستة وعشرون جزءًا.

الطهراني، السيد مير علي الحائري. **تفسير مقتنيات الدرر**. الطبعة الأولى. تحقيق: محمد وحيد الطبسي الحائري، قم: دار الكتاب الإسلامي، ٢٠١٢ م، إثنا عشر مجلدًا.

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن. **التبيان في تفسير القرآن**. تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت، عشرة أجزاء.

ابن عاشور، محمد الطاهر. **تفسير التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م، ثلاثون جزءًا.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. تحقيق: علي محمد البجاوي. الطبعة الأولى. بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م، أربعة مجلدات.

عَبْدُ النّور، عَبّاس. **مِحْنَتِي مَعَ القُرْآن وَمَعَ الله فِي القُرْآن**. طبعة تجريبيّة. دمنهور، ٢٠٠٤ م.

www.christianlib.com

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١ م، ستة أجزاء.

العكبري، أبو البقاء. **إعراب القراءات الشواذ**. تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز. الطبعة الأولى. بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٦ م، جزءان.

العمادي، حامد بن علي. **الدُرُ المُستَطَاب في مُوافقاتِ عُمرَ بنِ الخَطّابِ وأبي بكر وعلي أبي تراب وترجمتهم مع عدة من الأصحاب**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦ م.

عمر، أحمد مختار، ومكرم، عبد العال سالم. **معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء**. الطبعة الثانية. الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٨ م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم.
ـــــ **أدب الكاتب**. تحقيق: محمد الدالي. بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.
ـــــ **تأويل مشكل القرآن**. تحقيق: السيد أحمد صقر. الطبعة الثانية. القاهرة: دار التراث، ١٩٧٣ م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر. **الجامع في أحكام القرآن والبيان فيما تضمنه من السنة وآي الفرقان**. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦ م، أربعة وعشرون جزءًا.

قطب، سيد. **في ظلال القرآن**. الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، بيروت، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣ م.

ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل. **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: مصطفى السيد محمد، ومحمد السيد رشاد وآخرون. الطبعة الأولى. الجيزة: مؤسسة قرطبة، والشيخ للتراث، القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر. ٢٠٠٠ م، خمسة عشر جزءًا.

دائرة المعارف الإسلامية. مجموعة من المؤلفين. الطبعة الأولى. الإمارات: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٩٨ م.

المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السُيُوطيّ. **القرآن الكريم بالرسم العثماني وبهامشه تفسير الإمامين الجليلين، مذيلا بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي [المعروف بتفسير الجلالين]**. تقديم: عبد القادر الأرناؤوط. دمشق : دار ابن كثير، ١٩٨٦ م.

مصحف المشهد الحسيني: المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان، نسخة المشهد الحسيني بالقاهرة. الطبعة الأولى. تحقيق: آلتي قولاج، طيار. استانبول: نمونه، ٢٠٠٩ م.

www.christianlib.com

مصحف طوب قابي: المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان، نسخة متحف طوب قابي. الطبعة الأولى. تحقيق: آلتي قولاج، طيّار، تقديم: ذكر الدين إحسان أوغلي. إستنبول: منظمة المؤتمر الإسلامي، ٢٠٠٧م.

المصحف بقراءة حفص. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة، وهذه النسخة «هدية لمستخدمي اللغة العربية في أرجاء المعمورة»، مسجلة تحت رقم إيداع: ١٤٢٩/٥٨٣٤ – رقم ردمك: ٨٠١٠-٩٩٦٠-٩٧٨.

مكي، أبو محمد بن أبي طالب القيسي. **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه.** تحقيق: أحمد حسن فرحات. الطبعة الأولى. جدّة: دار المنارة، ١٩٨٦ م.

منا، يعقوب أوجين. **قاموس كلداني-عربي.** الطبعة الثانية. بيروت: منشورات مركز بابل، ١٩٧٥ م.

ابن منظور. **لسان العرب.** تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي. القاهرة: دار المعارف، د. ت.

النّحاس، أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل.

ـــــ **إعراب القرآن.** تحقيق: زهير غازي زاهد. الطبعة الثانية. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٥ م، خمسة أجزاء.

ـــــ **الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك.** تحقيق: سليمان بن ابراهيم بن عبد الله اللاحم. الطبعة الأولى. القاهرة: مؤسسة الرسالة، ١٩٩١ م، ثلاثة أجزاء.

منتصر ، خالد. **وهم الإعجاز العلمي.** القاهرة: دار العين، ٢٠٠٥ م.

نولدكه، تيودر. **تاريخ القرآن.** ترجمة: جورج تامر. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة كونراد ـ أدناور الألمانية، ٢٠٠٤ م.

النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. **المستدرك على الصحيحين.** الطبعة الثانية. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ م. خمسة أجزاء.

ابن هشام. **ابن هشام، سيرة.** تحقيق: مصطفى الساقة، ابراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي. بيروت: المكتبة العلمية، أربعة مجلدات.

الهمداني، عبد الجبار بن أحمد. **تنزيه القرآن عن المطاعن.** بيروت: دار النهضة الحديثة، د.ت.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد. **أسباب نزول القرآن.** تحقيق: كمال بسيوني زغلول. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١ م.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

قائمة المراجع الأجنبية

www.christianlib.com

قائمة المراجع الأجنبية

Bladel, Kevin van. "The *Alexander Legend* in the Qur'ān 18:83–102." *The Qur'ān in Its Historical Context*. Ed. Gabriel Said Reynolds. London: Routledge, 2008. 175-203. Print.

Butler, Trent C. *Holman Bible Dictionary*. Nashville: Holman Bible, 1991.

De Lacy, Phillip, ed. and trans. *Galen: On Semen* (*Corpus Medicorum Graecorum, 5, 3, 1*). Berlin: Akademie Verlag, 1992. Print.

Déroche, Francois, and Sergio Noja Noseda. *Sources de la transmission manuscrite du texte coranique: Les manuscrits de style higāzī*. Vols. 1 and 2.1. Lesa, Italy: Fondazione Ferni Noja Noseda di Studi arabo islamici, 1998/2001. Print. Projet Amari.

Encyclopœdia Britannica Online. Encyclopaedia Britannica, 2017. Web.

Encyclopaedia Judaica [EJ]. Eds. Fred Skolnik and Michael Berenbaum. 2nd ed. 22 vols. Detroit: MacMillan, 2006. Print.

Encyclopaedia of the Qur'ān [EQ]. Gen. ed. Jane Dammen McAuliffe. 5 vols. plus index. Boston: Brill, 2001. Print.

Freedman, H., trans. and ed. and Maurice Simon. *Midrash Rabbah*. Vol. 1. London: Soncino, 1939. Print.

www.christianlib.com

Geiger, Abraham. *Judaism and Islam*. Madras: M.D.C.S.P.C.K. 1898. Print.

Jeffery, Arthur. *The Foreign Vocabulary of the Qur'an* [FVQ]. Baroda: Oriental Institute, 1938. Print.

"Life of Adam and Eve." Trans. and Introd. M. D. Johnson. *The Old Testament Pseudepigrapha*. Ed. James H. Charlesworth. Vol. 2. New York: Doubleday, 1985. 249-295. Print.

Lundquist, John M. *The Temple of Jerusalem: Past, Present, and Future*. Westport: Praeger, 2007. Print.

Luxenberg, Christoph. *The Syro-Aramaic Reading of the Koran: A Contribution to the Decoding of the Language of the Koran*. Berlin: Verlag Hans Schiler, 2007. Print.

Möller, Lennart. *The Exodus Case: New Discoveries of the Historical Exodus*. 3rd ext. ed. Greenville: Casscom Media/Scandinavia House, 2008. Print.

Puin, Elisabeth. "Ein früher Koranpalimpsest aus Ṣan'ā' (DAM 01-27.1), Teil II." *Vom Koran zum Islam: Schriften zur frühen Islamgeschichte und zum Koran, Band 4* [Vol. 4]. Eds. Markus Groß and Karl-Heinz Öhlig. Berlin: Hans Schiler, 2009. 523-581. Print.

---. "Ein früher Koranpalimpsest aus Ṣan'ā' (DAM 01-27.1), Teil III: Ein nicht-'uṯmānischer Koran." *Die Entstehung einer Weltreligion I: Schriften zur frühen Islamgeschichte und zum Koran, Band 5* [Vol. 5]: *Von der koranischen Bewegung zum Frühislam*. Eds. Markus Groß and Karl-Heinz Öhlig. Berlin: Hans Schiler, 2010. 233-296. Print.

---. "Ein früher Koranpalimpsest aus Ṣan'ā' (DAM 01-27.1), Teil IV: Die Scriptio inferior auf den Blättern 17, 18 und 19 der Handschrift DAM 01-27.1 (Sure 9:106-ende, dann 19:1-67 und weiter)." *Die Entstehung einer Weltreligion II: Schriften zur frühen Islamgeschichte und zum Koran, Band 6* [Vol. 6]: *Von der koranischen Bewegung zum Frühislam*. Eds. Markus Groß and Karl-Heinz Öhlig. Berlin: Hans Schiler, 2012. 311-397. Print.

www.christianlib.com

The Qur'ān: An Encyclopedia. Ed. Oliver Leaman. London: Routledge, 2006. Print.

The Qur'ān Dilemma: Former Muslims Analyze Islām's Holiest Book. Vol. 1. Seattle: Water Life, 2011. Print.

St. Clair-Tisdall, W[illiam]. *The Original Sources of the Qur'an* [OSQ]. London: Society for Promoting Christian Knowledge, 1911. Print.

Ünal, Ali. *The Qur'an with Annotated Interpretation in Modern English.* Somerset, NJ: Light, 2007. Print.

Weil, G. *The Bible, the Koran, and the Talmud or Biblical Legends of the Musselmans.* New York: Harper, 1846. Print.

Wherry, E[lwood] M[orris]. *A Comprehensive Commentary on The Qurán: Comprising Sale's Translation and Preliminary Discourse with Additional Notes and Emendation.* 4 vols. London: Paul, Trench, Trübner, 1898. Print.

www.christianlib.com

Early Qur'ānic Manuscripts

Arabe 328a. Bibliothèque nationale de France (BnF). Paris. مخطوطة باريس أ

Déroche, Francois, and Sergio Noja Noseda. *Sources de la transmission manuscrite du texte coranique: Les manuscrits de style higāzī*. Le manuscript arabe 328(a) de la Bibliothèque nationale de France. Vol 1. Lesa, Italy: Fondazione Ferni Noja Noseda di Studi arabo islamici, 1998. Print. Projet Amari.

Arabe 328b. Bibliothèque nationale de France (BnF). Paris. مخطوطة باريس ب

Déroche, François. *La transmission écrite du Coran dans les débuts de l'islam: Le codex Parisino-petropolitanus*. Leiden-Boston: Brill, 2009. Print.

E20. St. Petersburg Institute of Oriental Studies. St. Petersburg. مخطوطة سان بيترسبرج

Rezvan, Efim. "New Folios from "Uthmānic Qur'ān' I. (Library of Administration for Muslim Affairs of the Republic of Uzbekistan)." *Manuscripta Orientalia: International Journal for Oriental Manuscript Research* 10.1 (Mar. 2004): 69-70. Print.

---."The Qur'an and Its World: VI. Emergence of the Canon: The Struggle for Uniformity." *Manuscripta Orientalia: International Journal for Oriental Manuscript Research* 4.2 (June 1998): 13-47. Print.

---. "The Qur'an and Its World: VIII/2. West-Östlichen Divans (the Qur'an in Russia)." *Manuscripta Orientalia: International Journal for Oriental Manuscript Research* 5.1 (Mar. 1999): 32-64. Print.

Kodex Meknes. Tareq Rajab Museum of Islamic Calligraphy. Kuwait. مصحف مكناس

Corpus Coranicum (http://www.corpuscoranicum.de/handschriften/index/sure/5/vers/31?handschrift=2)

Mingana Islamic Arabic 1572a. University of Birmingham. مخطوطة برمنجهام

"Collections: Mingana-Islamic Arabic-Islamic Arabic 1572a." *VMR.bham.ac.uk*. Virtual Manuscript Room (University of Birmingham), 12 Sept. 2017. Web.(http://vmr.bham.ac.uk/Collections/Mingana/Islamic_Arabic_1572a/table/).

www.christianlib.com

Or. 2165. British Library. London. المخطوطة البريطانية

Déroche, Francois, and Sergio Noja Noseda. *Sources de la transmission manuscrite du texte coranique: Les manuscrits de style higāzi*. Le manuscrit Or. 2165 (f. 1 a 61) de la British Library. Vol 2.1. Lesa, Italy: Fondazione Ferni Noja Noseda di Studi arabo islamici, 2001. Print. Projet Amari.

Samarkand codex. Hast Imam Library. Tashkent. مصحف سمرقند

Coran coufique de Samarcand (facsimile). Eds. W. Ouspensky and S. Pissaref. St. Petersburg: Institute of Archaeology, 1905. Print.

Small, Keith E. *Textual Criticism and Qur'ān Manuscripts*. Lanham: Lexington Books, 2011. Print.

San'ā' Manuscripts مخطوطات صنعاء

DAM 01-25.1. Dār al-Makhṭūṭāt. Ṣan'ā'.
DAM 01-27.1. Al-Maktaba al-Sharqiyya and Dār al-Makhṭūṭāt. Ṣan'ā'.
DAM 01-29.1. Dār al-Makhṭūṭāt. Ṣan'ā'.
DAM 01-32.1. Dār al-Makhṭūṭāt. Ṣan'ā'.
DAM 20-33.1. Dār al-Makhṭūṭāt. Ṣan'ā'.

www.christianlib.com

القرآن

تحليل وبيان

٢

مالك مسلماني

محمد المسيح